جامعة بيرزيت
NO

٢٥٠ شاقل

العـــدد
السابع والستـــون
تشرين ثاني – ١٩٨٥

الكاتب ٦٧

للثقافة الإنسانية والتقدم .

- هل بقي مجال لتعامي البعض عن الحقيقـــة ؟.
- قضايا حرب النجوم وسباق التسلح ونزع السلاح – أسئلة وأجوبـــة .
- الفكر الاكاديمي السائد الى أيـن ؟
- الموقف السوفييتي من القضيـــة الفلسطينيـــة .
- نقد نظرات لاهوتية للنظريـــة الماركسية الليبيـــة .
- دراسة نقدية لابحاث المحامين المتدربيـــن .
- قضية الحرية الانسانية في الفكر التراثي العربي الاسلامي .
- جذور الخلاف في الحركة التشكيلية .
- قراءة جماعية في الحنون الحبلى .
- هل المكرمة الملكية تنقذ حياة الكتـــاب ؟.
- حول رواية "اخطية" خواطـــر وتعليقـــات .

مَصَالح طبقية ضيّقة وليس وطنيّة
وراء سياسة الاعتماد على اميركا

Digitized by Birzeit University Library

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

صاحب الامتياز - المؤسسة
أسعد الأسعد
القدس

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor -
Asa'd Al-Asa'd

P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

رئيس التحرير
أسعد الأسعد

مدير التحرير: محمد شاهين

هيئة التحرير

بسام الصالحي — تيسير عاروري

جميل السلحوت — فضل البورنو

محمد البطراوي — محمود الشيخ

السكرتير الإداري: يحيى شقير

صف ومونتاج: عبير أبو غوش

الراسلات:
الكاتب - ص.ب: ٢٠٤٨٩ القدس
تلفون ٨٥٦٩٣١

الاشتراكات:

بالبريد الجوي سنة واحدة

محليًا ١٥ دولار

بلدان أخرى ٤٠ دولار

المؤسسات

المحلية ٥٠ دولار

بلدان أخرى ١٠٠ دولار

ترتيب المواد في هذا العدد يخضع لضرورات فنية

لا ترد المواد المرسلة إذا لم تنشر.

Digitized by Birzeit University Library

كلمتنا

- هل بقي مجال لتعامي البعض عن الحقيقة ٢

سياسة

• بشير البرغوثي
- مصالح طبقية ضيقة وليس وطنية وراء الاعتماد على امريكا ٤
- قضايا حرب النجوم وسباق التسلح ونزع السلام ـ اسئلة وأجوبة ١٦
• رشا ـ الاتحاد السوفيتي
- الموقف السوفييتي من القضية الفلسطينية ٤٠

فلسفة

• منير كريم بدر
- نظرات لاهوتية للنظرية الماركسية ـ اللينينية ٤٥
• حسين مروه
- قضية الحرية الانسانية في الفكر التراثي العربي ـ الاسلامي ٦٩

دراسات وأبحاث

• محمد شاهين
- الى نقابة المحامين ـ مع الاحترام ٥٧
"دراسة نقدية لابحاث المحامين المتدربين" ٥٧

مداخلات

• حسن جميل البرغوثي
- الفكر الاكاديمي السائد الى اين؟ ـ ٢٩
• كريم دباح
- جذور الخلاف في الحركة التشكيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة. ٧٦

أدب ونقد أدبي

• ماجد ابو غوش. ماير مصور وخالد البطراوي.
- قراءة جماعية في الحنون الجبلي ٨٩
- هل المكرمة الملكية تنقذ حياة الكتاب ؟!. ٩٩
• محمود الخطيب
- حول رواية "اخطية" خواطر وتعليقات ١٠٣
• ابراهيم العلم
- الرمز الموضوعي في قصص فضل الريماوي ١٠٧

قصص

• فالح العطاوة
- عن حلم الفقراء وثلاث نجوم تحمل بشرى الفرح ١٠٩
• مصطفى مرار
- ج.ا.س.و.س. ١١٧

شعر

• يوسف حامد
- ايام من بقاياها علي ١١٩
• يعقوب احمد
- الحاجز ١٢٠
• عبدالله حسن
- الليل بطيء وأنت سريع ١٢١

شهريات

- قاموس مصطلحات الاشتراكية العلمية ١١٥
- سؤال الى المحرر ١٢٣
- اصداء ثقافية ١٢٧

Digitized by Birzeit University Library

حديثنا

بات واضحا الان وأكثر من أى وقت مضى ، أنه ما كان لرئيس الوزراء الاسرائيلي شمعون بيرس ان يطرح مشروعه بالشكل الذى طرحه من على منصة مجلس الامن ، لولا التشجيع الذى لمسه من الانظمة العربية وخاصة في مصر والاردن ، والتي دفعت باتجاه جر منظمة التحرير الفلسطينية الى وضع يسهل فيه الانفراد بصفقات وحلول انفرادية حسب رغبة الحكومة الاسرائيلية ، وبضغط من الادارة الامريكية .ليس هذا فحسب ،بل ان اوساطا اسرائيلية افادت يوم الجمعة ٨٥/١٠/٢٥ ان شمعون بيرس اطلع الملك حسين على الخطاب مسبقا ، وأخذ منه الضوء الاخضر والا لما كان بيرس طرح ما ورد في خطابـــه .

ان احدا لا يمكن ان ينكر اليوم ، ان الدرك الذى وصلت اليه القضية الفلسطينية ،كان احد اسبابه،السياسة قصيرة النظر،والنهج الانفرادى للقيادة الرسمية لمنظمة لتحرير الفلسطينية ،التي حاولت فرضه على الشعب الفلسطيني وجر بقية الفصائل والتنظيمات اليـــه .

فان كان بيرس قد تجاوز وتجاهل منظمة التحرير فان موقفه هذا يتساوق والموقف العربي الراغب في استبعاد منظمة التحرير ، والساعي منذ سنوات الى تجريد منظمة التحرير من عناصر القوة التي كانت تمتلكها حتى يسهل تجاوزها وأستبعادها من اى مخطط او حل يتعلق بالاراضي الفلسطينية المحتلة وقد نجحت هذه الانظمة في الوصول مع القيادة الرسمية لمنظمة التحرير الى محطة اتفاق عمان ،معمقة بذلك الشرخ الذى احدثته وهام بعض قيادات منظمة التحرير الرسمية ،في انه من الممكن ان تحقق بالتنازلات ،وباعتماد نهج اليمين ومغازلة الادارة الامريكية ،ما عجزت عن

Digitized by Birzeit University Library

هل بقي مجال لتعامي البعض عن الحقيقة؟!

تحقيقه بالتضحيات الجسام ، وها هي اليوم في موقع لا تحسد عليه ، بعد ان بدأت بعض انظمة اليمين العربي بالتخلي عنها ، بعد ان استخدمتها في الوصول الى ماتريد وبعد ان جردتها من عناصر قوتها وفي مقدمتها ، وحدتها وتلاحمها الداخلي ، وجرها بعيدا عن حلفائها ، حركة التحرر العربية والحركة الثورية العالمية وعن الاتحاد السوفييتي ، الامر الذى اتاح للامبريالية توجيه ضربات سياسية جديدة قد تكون غير قاتلة ، ولكنها كبيرة بمدلولاتها ، ذلك ان رفض استقبال عرفات في الامم المتحدة رضوخا لضغط الادارة الامريكية ، والغاء السوق المشتركة للاجتماع بالجانب الفلسطيني من الوفد الاردني الفلسطيني المشترك ، بناء على الغاء وزير خارجية بريطانيا اجتماعه بالوفد المذكور ، وتبنّي الملك حسين لموقف الحكومة البريطانية من موضوع الغاء الاجتماع ، والحديث عن دعوة البرلمان الاردني في اوائل شهر تشرين ثاني الجارى ، وبضمنه نوّاب الضفة الغربيّة ، يدفعنا الى التأكيد على ان التقارب الاردني الفلسطيني ، الذى أدى الى التوقيع على اتفاق عمان كان لصالح طرف واحد ، وهاهي الاحداث تؤكد ان اتفاق عمان ، كان محطة ضروريّة للتمهيد لسحب تمثيل الشعب الفلسطيني . بصورة الامر الواقع ، وليس بصورة شرعية ، وذلك ما حذّرنا منه طول الوقت ، وأكدنا على ان سياسة الاعتماد على انظمة اليمين العربي ، سوف تؤدى الى الغاء دور منظمة التحرير ، وسحب البساط من تحتها ، وبعد ... اليس من المعيب بعد كل ذلك ، ان تجد من يدافع عن اتفاق عمان ، وعن نهج اليمين الفلسطيني الذى اوصلنا الى ما نحن فيه ؟!

الكاتب

Digitized by Birzeit University Library

مصالح طبقية ضيّقة وليس وطنية وراء سياسة الاعتماد على امريكا

بقلم بشير البرغوثي

رغم كافة الاخفاقات المتوالية لنهج الاعتماد على الامبريالية الامريكية لحل القضية الفلسطينية، فما زالت نفس الاوساط التي مارست هذا النهج لعشرات السنين تواصل التشبث به. لكنها تحاول، بين الحين والاخر، اعطاء هذا النهج بعض المصداقية بتقديم وجوه جديدة سبق ان كانت تعارض او لا تبدى الحماس تجاهه من قبل.

وقد كان تصدر السادات، خليفة جمال عبد الناصر، مجموعة القوى السائرة على هذا النهج محاولة لتبييض صفحته، وايهام الجماهير العربية بوجود موقف جديد لدى الامبريالية الامريكية غير ما كان لها من قبل ولم يخيب السادات امل اولئك الذين اعتمدوا عليه. وخرج، مستندا الى الرصيد الذى اكتسبه في حرب اكتوبر، ليغطي به تحوله نحوالولايات المتحدة، في طريق قاده الى كامب ديفيد.

وبعد افتضاح امر تلك الاتفاقات التي وقعت في ذلك المعسكر، ووضوح طبيعتها الخيانية لمصالح الشعب الفلسطيني والشعب المصرى ومجمل حركة التحرر العربية، اصيبت هذه السياسة، سياسة الاعتماد على امريكا بنكسة كبيرة. واضطر اصحاب هذه السياسة من الحكام العرب الى القبول بقرارات قمة بغداد، دون التخلي عن تلك السياسة، او ايقاف الارتباط بالسياسة الامريكية في مختلف المجالات السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وقد اوجد العدوان الاسرائيلي الامريكي على لبنان الفرصة مجددا للعودة الى المشاريع الامريكية. وبادر ريغان الى اعلان مشروعه فور خروج المقاتلين الفلسطينيين من بيـــروت.

وعلى خلفية المصاعب الجديدة التي برزت امام منظمة التحرير نتيجة العدوان الاسرائيلي والحملة المتعددة الجوانب ضد

Digitized by Birzeit University Library

سوريا والاتحاد السوفييتي بهدف زعزعة معاقبة الاسس التي يرتكز اليها الصمود الفلسطيني والعربي في وجه المشاريع الامبريالية الاستسلامية، نشطت مجددا القوى العربية الرجعية المرتبطة بالامبريالية لادخال منظمة التحرير الفلسطينية في قافلة القوى الساعية للعودة الى اعتماد الدور الامريكي لحل القضية الفلسطينية. وقد ساعد على ذلك حالة اليأس التي انتابت بعض القيادات الفلسطينية، وتفوق الاتجاه اليميني المرتبط بالانظمة الرجعية العربية، وتبلور هذا السعي في اتفاق عمان بين القيادة الرسمية للمنظمة والنظام الاردني، مما جعل العودة الصريحة الى نهج الاعتماد على الامبريالية تجرى تحت مظلة فلسطينية.

ان الاحداث والاسباب والعوامل التي ادت الى اتفاق عمان معروفة. وليست الغاية في هذه المقالة التعرض لها من جديد. ولكن اصحاب الاتفاق يحاولون تصويره وكأنه مجرد "اجتهاد" ضاربين عرض الحائط بتجارب عديدة سابقة في الاعتماد على الامبريالية الامريكية. وتعبير "الاجتهاد" هذا استخدم مرات كثيرة، في السابق، لتمويه الدوافع الطبقية وراء المواظبة على نهج الاعتماد على واشنطن.

لقد تغير حكام كثيرون في العديد من البلدان العربية. وانتقل الحكم في عدد منها من ايدي كبار الملاكين والاقطاعيين الى البرجوازية الوطنية والى البرجوازية الصغيرة في بعضها. ومع ذلك، فقد حافظ ممثلو كبار الملاكين والبرجوازية والجناح اليميني للبرجوازية الصغيرة على نهج الاعتماد على الامبريالية الامريكية لحل القضية الفلسطينية، بصفة خاصة، وعلى الارتباط بها اقتصاديا وثقافيا وعسكريا وسياسيا بدرجات متفاوتة.

ان هذه المثابرة على هذا النهج، رغم تباين المصالح تعطي الدليل على ان هذه القوى الطبقية من كبار الملاكين العقاريين حتى الجناح اليميني من البرجوازية الصغيرة تنطلق في علاقتها بالولايات المتحدة من القاسم المشترك فيما بينها وهو كونها طبقات مالكة تجمعها مع الولايات المتحدة ارضية طبقية مشتركة بغض النظر عن ضآلة المساحة التي تشغلها على هذه الارضية ـ ارضية الرأسمالية العالمية.

ولا ينفي هذا وقوع تناقضات بينها حول القضية الفلسطينية، وحول امور اخرى كالتزويد بالسلاح، وفي مجال العلاقات الاقتصادية. وكانت محاولات هذه القوى لحل هذه التناقضات تتراوح بين اتخاذ مواقف علنية معارضة للسياسة الامريكية، والتقارب مع الاتحاد السوفييتي، واتخاذ بعض الاجراءات ذات النزعة الاستقلالية عن السياسة الامريكية لكن هذه المحاولات كانت اقرب الى ردود الفعل الوقتية منها الى توجه سياسي جذري لفك الارتباط بالسياسة الامريكية والسير على طريق مستقل.

غير ان هذه التناقضات قد خفت حدتها بعد الطفرة النفطية وما نجم عنها من امكانية تعويض نقص التراكم الرأسمالي الداخلي بأموال النفط، ونمو دور البرجوازية البروقراطية والطفيلية، وتعاظم القدرة على الانفاق الاستهلاكي الداخلي، وتعزيز مواقع الرأسمالية في الاقتصاد الوطني، وتغطية نفقات استخدام اعداد متزايدة في الاجهزة الامنية والاعلامية والاكاديمية، للدفاع عن

Digitized by Birzeit University Library

انظمة اليمين العربي وتبرير سياساتها والترويج للمفاهيم الفردية والاستهلاكية في المجتمع، ولتشويه سمعة البلدان الاشتراكية، ومسيرة الحركة التحررية العربية، والحط من انجازاتها .كما امكن بالمال النفطي "تحييد" بعض قوى البرجوازية الصغيرة من خارج الجناح اليميني، والانتقال في ظل هذه الظروف الى التعامل الصريح مع الامبريالية .

حتى اصبح ماكان يعتبر خيانة في سنوات الخمسينات ،جزءا من السياسات والممارسات المعلنة لبعض الانظمة العربية، مثل المناورات العسكرية المشتركة مع امريكا ،والقواعد العسكرية ،والتسهيلات لقوات الانتشار السريع الامريكية، والاستعداد للتنازل عن حقوق الشعب الفلسطيني .

وفي ضوء هذه التحولات اصبح الخلاف بين اليمين العربي والولايات المتحدة حول القضية الفلسطينية محصورا في" الوسائل" وطرق "اخراج" الحلول وليس في الاهداف .

ومع تزايد وتيرة النمو الرأسمالي، وتشابك الاستثمارات والمصالح المصرفية وغيرها، وزيادة الارتباط بالسوق الرأسمالي العالمي زاد وضوح وقوة ارتباط المصالح الاستراتيجية بين الامبريالية العالمية ودول اليمين العربي وخاصة النفطية منها . واصبحت القضايا المحلية والتناقضات التي كانت تنشأ بين الحين والاخر بشأنها بين هذه الدول والولايات المتحدة تخضع، بقدر متزايد ،لاعتبارات المصالح الاستراتيجية المشتركة للرأسمالية العالميـــة .

غير ان اليمين العربي يحاول اخفاء الطابع الطبقي لسياسته، وتغليبه مصالحه الطبقية الضيقة على المصالح الوطنية من خلال تشبثه بسياسة الاعتماد على الامبريالية الامريكية في حل القضية الفلسطينية. ويستند في ذلك الى واقع ان الولايات المتحدة لم تقم باستعمار مباشر لاى من البلدان العربية، كما يحاول بعث الوهم الذى الم بالحركة القومية العربية بعد الحرب العالمية الاولى اثر اعلان الرئيس الامريكي ويلسون عن مبادئه الاربعة عشر، ويخفي، في نفس الوقت، مختلف جوانب السياسة العدوانية والاستغلالية التي مارستها وتمارسها الامبريالية الامريكية ضد الشعوب العربية مثل العدوان على ليبيا والجزائر في مطلع القرن التاسع عشر بحجة تعرض "القراصنة" لتجار الافيون الامريكيين في البحر المتوســـط .

ان نشيد مشاة البحرية الامريكية الرسمي .الذين نزلوا على شواطيء لبنان في عام ١٩٥٨، وعام ١٩٨٢. ما زال مطلعه" من شواطيء طرابلس حتى هضاب ميسوتاما، حاربنا في البر والبحر والجو معارك الوطن" وما زالوا يهددون شواطيء العديد من البلدان العربية حتى اليوم، وطائراتهم هي التي اختطفت الطائرة المدنية المصرية .

كما تتجاهل اجهزة اليمين العربي ومؤسساته الاكاديمية تاريخ السياسة العدوانية للامبريالية الامريكية في جنوب شرقي اسيا وفي امريكا اللاتينية بشكل خاص .

وهي تحاول تصوير كل تحرك جديد نحو الامبريالية الامريكية وكأنه مقطوع الصلة بالتحركات الفاشلة السابقة. وتنشر المزاعم، لتبرير ذلك، بوجود" تغيير" في الموقف الامريكي، او باحتمال ظهور "تغيير"، وفي الحقيقة ان هذا " التغيير" يأتي من طرف اليمين العربي الذى يقوم بتقديم تنازلات

Digitized by Birzeit University Library

جديدة تثير اهتمام الامبريالية الامريكية .

ان هذه الحقيقة تدعمها الوقائع التاريخية، وهي ذاتها تؤكد ان الموقف الامريكي العدائي تجاه حقوق الشعب الفلسطيني، ومن قضية استقلال ووحدة البلدان العربية لم يتغير منذ نهاية الحرب العالمية الاولى على اقل تقدير .

وبالمقابل فان سياسة الاعتماد على الامبريالية الامريكية واستعطافها من جانب ممثلي كبار الملاكين العقاريين العرب والبرجوازية بما فيها الجناح اليميني من البرجوازية الصغيرة لم تتغير . وفي سبيل تبرير هذه السياسة يحاولون تزييف الحقائق. ويقبلون الاسلوب المهين والمخادع الذى تعاملهم به الامبريالية الامريكية .

فلقد اعترف اسماعيل فهمي، وزير خارجية السادات، والذى اكتسب شهرته في الاوساط الرجعية بدعوته للتوجه الى واشنطن في ايام حكم عبد الناصر بأن كيسنجر " لم يعلمنا بأن الولايات المتحدة تنوى التوقيع على اتفاقيات بعيدة المدى مع اسرائيل حتى جاء الى مصر للتوقيع النهائي على اتفاقية سيناء الثانية ". ورغم ان مقدمة "مبادئ العلاقات والتعاون بين مصر والولايات المتحدة" التي وقعت قبل ذلك . تنص على ان "مفاوضات السلام ستكون ضمن اطار مؤتمر جنيف الا انه ، كما يقول فهمي ايضا ، ورد في تلك الاتفاقيات مع اسرائيل "تعهد بتأييد ان تكون جميع المفاوضات ثنائية بين اسرائيل وكل بلد عربي ." (١)

ومع ذلك استمروا في الثقة بالسياسة الامريكية. وفيما بعد واجه خلف فهمي، محمد ابراهيم كامل نفس الاسلوب. فقد وعدهم الامريكيون، في كامب ديفيد ،بأن يتقدموا بمشروع خاص بهم بعد ان حصلوا من المصريين على تنازلات هامة. وانتظر مصريو كامب ديفيد المشروع الامريكي الى ان جاء ايليتس، السفير الامريكي في القاهرة، الى محمد ابراهيم كامل ليقول له بكلمات الاخير "اني آسف يا محمد فلقد حدث شيء لم يكن في الحسبان. لقد قدم لهم بيغن التعهد الكتابي الذى سبق ان وقعه كيسنجر للحكومة الاسرائيلية سنة ١٩٧٥ بالتزام الولايات المتحدة بعدم التقدم بأى مشروع يتعلق بتسوية النزاع العربي الاسرائيلي قبل التشاور عليه مقدما. ويضيف الوزير "عندما تلقينا المشروع الامريكي في صباح اليوم الثاني،الاثنين ١١ سبتمبر (ايلول) كان بعيدا كل البعد عن تصوراتنا . فمن ناحية لم يتضمن المواقف الامريكية المعلنة الثابتة بشأن تسوية النزاع العربي الاسرائيلي، ولا هو تضمن غالبية النقاط التي عرضها علينا فانس في الاجتماع المصرى الامريكي الذى تم يوم الجمعة الماضي." (٢)

ومع ذلك قبلوه.ووقع السادات على اتفاقات كامب ديفيد. ورغم هذا فان هذه الاوساط، منطلقة من ضيق الافق الطبقي ،ترفض ان تخرج بالاستنتاج الصحيح عن عداء السياسةالامريكية للمصالح الوطنية للشعوب العربية وللشعب الفلسطيني، وتحاول تقديم التبريرات والقاءاللوم على "الظروف" او على" الاشخاص" كالسادات مثلا، او على اصوات اليهود الامريكيين.

حتى ان اسماعيل فهمي، الذى كتب مذكراته بعد اغتيال السادات، والذى كان الساعد الايمن للسادات في كل تعامله مع

Digitized by Birzeit University Library

السياسة الامريكية حتى عشية زيارته للقدس لم يجد سببا لما آلت اليه الامور، ولاستمرار الاحتلال الاسرائيلي سوى اقصاء نيكسون عن رئاسة الولايات المتحدة. وقد اورد ذلك في مذكراته بالقول" لوبقي في الحكم لاستخدم مركزه لتحقيق الانسحاب الاسرائيلي من الاراضي العربية. " (٣)

وتناسى فهمي حالة" الاستنفار النووي" التي اعلنها نيكسون عندما كانت اسرائيل تتقدم غرب قناة السويس وترفض الانصياع لقرار وقف اطلاق النار، واعلان الاتحاد السوفييتي عن عزمة على التدخل لمساندة مصر اذا لم تتوقف اسرائيل .

وبالمقابل فان ما كتبه ديان ورابين عن نيكسون يعطي صورة مغايرة تماما لتقديرات الوزير المصري. فقد روى ديان في مذكراته ان نيكسون قال له في البيت الابيض بحضور روجرز ،وزير الخارجية، وليرد،وزير الدفاع، في معرض تعليقه على الغارات الاسرائيلية في العمق المصري" اسحقوهم"(٤) كما ذكر موريس، وهو ممثل لوزارة الدفاع في مجلس الامن القومي الامريكي في عهد نيكسون، ان نيكسون" كان يحب ان يرى الاسرائيليين يسفكون الدماء "(٥).

كما طرح رابين تصورا مشابها عن ادارة نيكسون في تقرير له للحكومة الاسرائيلية اثناء عمله سفيرا لاسرائيل في واشنطن، وفيه يقول " ان على المرء ان يكون اعمى وأصم حتى لا يرى مقدار التحبيذ الذى تكنه الادارة الامريكية تجاه عملياتنا العسكرية ... وهكذا فان الرغبة في تزويدنا باسلحة اضافية تتوقف على تصعيدنا لنشاطنا العسكرى ضد مصر اكثر مما تتوقف على انقاصه. "(٦)

ان من الصعب الموافقة على ان المسؤولين المصريين كانوا على جهل بهذه الوقائع خصوصا وانها كانت تنفذ على ارضهم لكنهم لا يجدون من مصلحتهم الطيفة الافصاح عنها حتى لا تطالبهم جماهيرهم باتخاذ مؤاقف حاسمة من السياسة والمصالح الامبريالية الامريكية في منطقة الشرق الاوسط. ولهذا فهم لا يكتفون بمجرد انكار تلك الوقائع . بل يحاولون تصوير الولايات المتحدة الامريكية في صورة "الوسيط النزيه"، والحريصة على " العدل والحرية ".

وعلى الرغم من كل سياسات الولايات المتحدة الداعمة لاسرائيل فان الملك حسين في خطابه امام الجمعية العامة للامم المتحدة في اواخر ايلول الماضي وصف الولايات المتحدة بأنها " دولة عظمى تحرص على السلام العالمي، وتنادى بحقوق الانسان، وتقوم على الايمان بالحرية وحق تقرير المصير"(١).

وان المرء ليدهش من" توارد الخواطر" بين الملك الاردني واسلافه في المؤتمر السوري العام سنة ١٩١٩. حينما اعطوا نفس الاوصاف تقريبا للولايات المتحدة في المذكرة التي قدموها الى لجنة كنغ ـ كرين .

لقد ذهب هؤلاء الى حد المطالبة بأن توضع البلاد العربية تحت الانتداب وقد جاء في تلك المذكرة " ان المبادئ التي اعلنها الرئيس ويلسون تعزز ثقتنا بأن امالنا النابعة من اعماق قلوبنا ستكون العامل الحاسم في تقرير مستقبلنا، وان الرئيس ويلسون والشعب الامريكي الحر سيكونان مؤيدينا في تحقيق امالنا ".

وتضيف المذكرة" مستندين الى تصريحات

Digitized by Birzeit University Library

الرئيس ويلسون بأن هدفه من شن الحرب كان لوضع حد لاطماع الفتح والاستعمار، فاننا نعتبر الانتداب المنصوص عليه في ميثاق عصبة الامم معادلا لتقديم المعونة الفنية والاقتصادية التي لا تضر باستقلالنا الكامل. ورغبة منا في ان لا تقع بلادنا فريسة للاستعمار، ولان الولايات المتحدة ابعد ما تكون عن اى تفكير بالاستعمار، وليس لها اطماع سياسية في بلادنا فاننا سنسعى لان تكون المعونة الفنية والاقتصادية منهـــا ".(٧)

قد لا يكون اعضاء المؤتمر السورى العام على علم بأن الرئيس ويلسون كان يضغط على الحكومة البريطانية لاصدار وعد بلفور، وانه وافق على صيغة الوعد التي وضعتها الحكومة البريطانية قبل اعلانها. ومن الممكن ان لا يكونوا على علم بمذكرة اللورد بلفور، صاحب الوعد، بتاريخ ١٩١٩/٩/١٩ اى بعد شهرين من تاريخ مذكرتهم الانفة الذكر وفيها يقول ان" الحلفاء الاربعة ملتزمين تجاه الصهيونية" "لاعطاء فلسطين للصهيونيين بغض النظر عن رغبات القسم الاكبر من السكان ".(٨)

من الواضح ان الحكام العرب الذين يجطون صورة الامبريالية الامريكية هذه الايام يعلمون بهذه الحقائق، ويعلمون ايضا ان الموقف الامريكي منذ ذلك التاريخ لم يتغير.

وفي نطاق سياسة التجميل والتبرير لمواقف الامبريالية الامريكية تبرز بصورة مثابرة في اجهزة اعلام اليمين العربي موضوعة "الخضوع الامريكي" المزعوم لاسرائيل وللاصوات اليهودية في انتخابات الرئاسة الامريكية.

ان هذا الزعم تكذبه الوقائع. فأصوات اليهود الامريكيين لا تشكل اكثر من ٣ بالمئة من اصوات الناخبين الامريكيين، وهي تتوزع، في العادة على مرشحي الحزبين الكبيرين، وقد حصل ريغان على اكثر من ٦٠ بالمئة من اصوات الناخبين في الانتخابات الاخيرة. وكان واضحا حتى قبل اجراء الانتخابات انه ليس بحاجة الى اصوات اليهود الامريكيين للفوز. ومع ذلك فان ريغان لم يفوت فرصة الا وانتهزها ليؤكد تأييده للسياسة الاسرائيلية ضد الشعب الفلسطيني والبلدان العربية.

لقد اكد ريغان مرة نظرته لاسرائيل بأنها "كنز استراتيجي" للولايات المتحدة. وقبله فعل مسؤولون اخرون. وليس هناك افضل من الاستشهاد بما قاله شولتز في خطاب له بتاريخ ٢١ نيسان الماضي امام المؤتمر السنوى لجمعية العلاقات العامة الامريكية الاسرائيلية. قال وزير الخارجية الامريكية" الامريكيون يعرفون بأن ليس لدينا صديق يمكن الاعتماد عليه في العالم اكثر من اسرائيل". وحتى يبدد شولتز اية اوهام لدى الموقعين على اتفاق عمان الذين كانوا ينشرون المزاعم عن احتمال تغير موقف ريغان في فترة رئاسته الثانية، وهي التي بدأت قبل خطاب شولتز المذكور بعدة اشهر، قال وزير الخارجية الامريكية في نفس الخطاب :" اننا ندرك جميعا الحاجة الى التفاوض من موقع القوة، لا من موقع الضعف، كما اننا ندرك جميعا الحاجة الى اليقظة المستمرة ضد المعتدين الذين يقوم الاتحاد السوفييتي بتسليحهم تسليحا مكثفا ....، لقد شكلنا الفريق السياسي والعسكرى المشترك لتحسين التعاون كي يصبح بوسعنا مقاومة تهديدات تحدق بمصالحنا المشتركة في الشرق الاوسط. وقد تعلمنا دروسا كثيرة مهمة على مر السنين. وأحد هذه

Digitized by Birzeit University Library

الدروس هو ان التزاما امريكيا قويا ومرئيا ودائما بأمن اسرائيل يوفر افضل امل في السلام. وعلى هذا المبدأ تقف الولايات المتحدة واسرائيل معا في صلابة الصخر".

اما اليمين العربي فلا يقدم شولتز سوى الوعد بحمايتهم اذا ما قبلوا بالشروط الامريكية الاسرائيلية. ومما يجدر ذكره ان هذا الخطاب جاء في اعقاب زيارات الملك فهد وحسين ومبارك الى واشنطن، اضافة الى هذا فان السؤال الذي يتهرب من الاجابة عليه منظرو اليمين العربي وانواقه هو اذا كان لاصوات الناخبين اليهود كل هذا التأثير في السياسة الامريكية بصفتهم يهودا فلماذا اذن -وفق هذا الاعتبار لو كان صحيحا - ايدت الادارة الامريكية تركيا ضد اليونان في قضية قبرص مع ان الجالية اليونانية اكثر عددا واوسع نفوذا بما لا يقاس من الجالية التركية في الولايات المتحدة ؟ .

ليست اصوات اليهود الامريكيين هي التي تقرر السياسة الامريكية تجاه منطقة الشرق الاوسط . وانما الاحتكارات الامريكية والمجمع العسكري الصناعي بصورة خاصة. وفي هذا المجمع ليست الصفة الدينية لاعضائه هي التي تحدد مصالحة بل تكديس الارباح من خلال سباق التسلح ،وممارسة سياسة عدوانية ضد شعوب المنطقة وحركاتها التحررية، واستخدام اراضيها وموانئها وطاقاتها المختلفة لصالح تلك السياسة العدوانية على النطاق الدولي .

وفي اطار هذه السياسة تفرد الامبريالية الامريكية لاسرائيل موقعا خاصا ومتميزا ، وتعتبرها على حد تعبير ريغان ومسؤولين امريكيين اخرين " كنزا "استراتيجيا للامبريالية الامريكية، وعلى هذه القاعدة كان اتفاق التعاون الاستراتيجي بينهما ، وكذلك اتفاق" التعاون ضد الارهاب" الذي جرى وضعه اثناء زيارة بيرس للولايات المتحدة بعد مغادرة الملك حسين والرئيس مبارك لها ، وبعد ان تكشف وجود هذا التعاون الذي كان يجري في الخفاء في اعقاب تنفيذ الغارة الاسرائيلية على تونس ومقر منظمة التحرير هناك. وفي عملية اختطاف الطائرة المدنية المصرية كذلك .

ولما كانت الادارة الامريكية تعتبر حركات التحرر الوطني حركات ارهابية، فان اتفاق "التعاون ضد الارهاب" سوف لا يقتصر على الحوادث الارهابية التي لا تكون الادارة الامريكية طرفا فيها ، وانما ستمتد لتشمل حركات التحرر الوطني في المنطقة .

لقد قدمت اسرائيل خدمات استراتيجية عديدة للامبريالية الامريكية. وقد قال شارون ذات مرة في معرض تعليقه على مساعدات الولايات المتحدة ان اسرائيل قدمت خدمات تزيد عن مائة بليون دولار مقابل مساعدة الثلاثين بليون دولار التي حصلت عليها من الولايات المتحدة منذ قيامها . كما قال بيغن ردا على سؤال لاحد الصحفيين عن مدى صحة الانباء القائلة بأن الادارة الامريكية ستجمد تسليم بعض المساعدات لاسرائيل، " ان المساعدات لا تسير في طريق وحيد الاتجاه ،فنحن ايضا نقدم مساعدات للولايات المتحدة ".

وليس سرا ان اسرائيل قامت نيابة عن الولايات المتحدة بدور نشيط في تنفيذ سياسة الاستعمار الجديد في عدد من الدول الافريقية المستقلة حديثا. وفي تسليح

Digitized by Birzeit University Library

وتدريب جيوش دول تابعة للامبريالية الامريكية في افريقيا وامريكا الوسطى والجنوبية وفي عرقلة تطور الثورة الوطنية الديموقراطية في البلدان العربية، فضلا عن "حماية" بعض الانظمة العربية الموالية لامريكا واستخدام "العصا الغليظة" ضد البلدان والحركات التي تناضل ضد مشاريع الهيمنة الامبريالية الامريكيـــة .

ولا يقل عن ذلك اهمية الدور الذى تلعبه اسرائيل والصهيونية العالمية في تأجيج حملة العداء للاتحاد السوفييتي باسم " السماح بهجرة اليهود "، وحول "حقوق الانسان" التي يزعمون انها تنتهك في الاتحاد السوفييتي، وفي محاولات الامبريالية الامريكية" زعزعة" بعض الانظمة غير الموالية لها، وفي التعاون القائم بين اجهزة البلدين في الدعاية وجمع المعلومات وما شابه ذلك .

والى جانب كل هذا، وهو ليس قليلا في حد ذاته، فان الولايات المتحدة تملك استثمارات كبيرة في اسرائيل. وقد بلغت استثماراتها في اسرائيل عام ١٩٨١ وحده مبلغ ٤٠٥ مليون دولار، وهي نسبة تساوى ٢٠٪ بالمئة من مجموع استثمارات الولايات المتحدة في الشرق الاوسط . وهناك ايضا ٢٠٠ شركة اسرائيلية تعمل في صناعة الاسلحة هي اما مدعومة او مملوكة جزئيا من قبل شركات امريكية .

من هنا ليست اصوات اليهود الامريكيين هي العامل المقرر للسياسة الامريكية في المنطقة بل دور اسرائيل ومكانها في المخططات الاستراتيجية للامبريالية الامريكية

لكن اليمين العربي المعتمد على امريكا لا تنقصه الذرائع . ومنها ذلك الادعاء الذى شجعت عليه وروجت له الاوساط الامريكية ذاتها . وهو ان الرأي العام الامريكي يجهل وجهة النظر العربية بخصوص القضية الفلسطينية، وان هذا الجهل هو السبب في الموقف الامريكي المعادى للشعب الفلسطيني. وقد ضخمت اهمية هذا الادعاء حتى يبدو الموقف الامريكي بريئـــا .

ولا جدال في اهمية اطلاع الرأى العام الامريكي على وجهة النظر العربية من القضية الفلسطينية، ومن الحاجة لمواجهة الدعاية المعادية للعرب في الولايات المتحدة. لكن اعتبار هذا النقص السبب الحاسم وراء الموقف الامريكي من القضية الفلسطينية امر يخالف الواقع .فلقد زادت وسائل الاتصال العربي بالرأى العام الامريكي، وكثرت مكاتب الدعاية العربية بدءا من الجامعة العربية وسفارات دولها وملحقيها الصحفيين والاعلاميين، وانتشرت مكاتب العلاقات العامة والجمعيات والروابط العربية، وانفقت اموال باهظة على هيئات ورجال صحافة وسياسة في الولايات المتحدة .وزاد التبادل التجارى والتبادل السياحي ،وانتشر الخبراء ورجال الاعمال الامريكيون في العديد من البلاد العربية ، كما انتشر الطلاب والاكاديميون العرب في معظم الجامعات والولايات الاميركية .

ومع ذلك فان الموقف الامريكي من القضية الفلسطينية يزداد علنية في عدائه لحقوق الشعب الفلسطيني عما كان عليه في الخمسينات مثلا قبل وجود ما تقدم من ادوات اتصال ودعاية ففي تلك الايام اى في ١٩٥٤/٣/٢٨ خاطب هنرى بايرود، مساعد وزير الخارجية الامريكية لشؤون الشرق الادنى وآسيا وافريقيا، وهو نفس المنصب الذى

Digitized by Birzeit University Library

يشغله ريشارد ميرفي في الوقت الحاضر ، الاسرائيليين بالقول" تخلوا عن مسلك الفاتح وعن الاعتقاد بأن القوة وسياسة الرد بالقتل هي السياسة الوحيدة التي يفهمها جيرانكم . ان عليكم ان تجعلوا اعمالكم تتطابق مع اعلاناتكم المتكررة عن الرغبة في السلام .(١٠)

اما شولتز ،وزير الخارجية الامريكية الحالي فقد قال في خطاب له بعد ثلاثين سنة من اقوال بايرود السالفة الذكر في خطاب له امام جامعة دينية يهودية (يشيفا) بنيويورك في كانون اول ١٩٨٤، " ان استخدام القوة امر مشروع . واذا ما كان هناك من يتطلع الى نموذج لكيفية معالجة الامم معضلة محاولة الموازنة بين القانون والعدل والحفاظ على الذات فيكفيه ان ينظر الى اسرائيل ".

ان الولايات المتحدة تضع ،في الوقت الحاضر، الاعتراف باسرائيل شرطا مسبقا للجلوس مع منظمة التحرير دون تعيين لحدود هذه الدولة،وبعد ان ضمت رسميا القدس وهضبة الجولان وفي ظل احتلالها للضفة الغربية وقطاع غزة. ولكن سلف ميرفي، اى هنري بايرود ،صرح في الاول من ايار عام ١٩٥٤ بأن "للعرب الحق في معرفة حدود هذه الدولة الجديدة. ان مخاوفهم تغذيها المعرفة بأن الحد المفروض في القانون الاساسي للدولة على الهجرة الى اسرائيل هو، في الحقيقة، المجموع الكلي لليهود في العالم ، وهم يرون نتيجة واحدة فقط لذلك وهي محاولة التوسع الاقليمي في المستقبل ."(١١)

ان هذا التباين في المواقف بين بايرود وخلفائه بعد ثلاثين سنة يدحض مقولة ارجاع سبب هذه المواقف الى نقص الدعاية داخل الولايات المتحدة. والصحيح ان هذا التباين ،في المواقف الامريكية الحالية عما كانت عليه في فترة الخمسينات لا يتعلق بجوهر هذه المواقف ، وانما بحجم الدور الاسرائيلي ضمن المخططات الامبريالية الامريكية، وبتزايد عدوانية السياسة الامريكية في المنطقة، وازدياد حاجتها للسيطرة عليها بعد انحسار نفوذ الدول الاستعمارية القديمة عنها ، وتعاظم نفوذ حركة التحرر العربية، وتحقيقها انتصارات عديدة في ميداني التحرر السياسي والتقدم الاجتماعي .

وقد زاد هذا الواقع الجديد من اهمية الدور الاستراتيجي لاسرائيل في حسابات الولايات المتحدة الاستراتيجية في وقت كانت تفقد فيه الامبريالية العالمية الموقع بعد الاخر في البلاد العربية، وتتعرض للتهديد الجدي لا المصالح الاحتكارية للدول الامبريالية وفي مقدمتها الامبريالية الامريكية وحسب، بل وكذلك الرأسمالية كنظام اجتماعي في عدد من بلدان المنطقة .

ان الولايات المتحدة التي كانت تدرك مدى ضعف الانظمة العربية الموالية لها وضيق قاعدتها الاجتماعية، كانت ترى في اسرائيل ولا تزال الشريك الاستراتيجي ،والقوة الضاربة في حماية المصالح الامبريالية الامريكية في المنطقة. وقد قامت اسرائيل بهذه المهمة ولا تزال. وعلى اساس ذلك اطلق عليها المسؤولون الامريكيون لقب" ضمان الاستقرار في المنطقة، وهم يعنون "استقرار" مصالحهم الامبريالية، والانظمة الموالية لهم .

ومن جهة اخرى فان الانظمة العربية الموالية للامبريالية ازدادت ، في تلك الفترة ، تبعية للولايات المتحدة للوقوف في وجه

Digitized by Birzeit University Library

حركة التحرر العربية، وتفاقمت تنازلاتها عن المصالح الوطنية لصالح تأمين الحماية الامبريالية لعروشها وحكامها. الامر الذى شجع واشنطن على التخلي عن الحذر في تعاملها مع اسرائيل مجاملة لبعض الدول العربية. والذى جعل هذه الانظمة تتخلى هي الاخرى، عن الحذر في اظهار تبعيتها للامبريالية. فقد استدعى شمعون مشاة البحرية الامريكية الى لبنان في عام ١٩٥٨ ضد الثورة. ونزلت قوات المظليين الانكليز في الاردن بطلب من الملك حسين وعبر أجواء اسرائيل بعد انتصار ثورة تموز في العراق، واتسع نطاق الوجود العسكرى للولايات المتحدة في السعودية ودول الخليج.

وقد ازدادت عدوانية الامبريالية الامريكية شراسة ضد حركة التحرر العربية في الستينات بعد توجه فصائل رئيسية في هذه الحركة، من ابرزها مصر وسوريا والجزائر، الى طريق التحولات الاجتماعية العميقة ذات التوجه الاشتراكي.

وخلال هذه الفترة جرت محاولات عديدة من قبل الامبريالية الامريكية واتباعها في المنطقة، وخاصة الرجعية العربية، لتنظيم وتمويل وتشجيع المؤامرات الداخلية لقلب الانظمة التقدميـــة.

لكن اخطر ما واجهته هذه الانظمة ومجموع حركة التحرر العربية كان العدوان الاسرائيلي في حزيران ١٩٦٧. وما نجم عنه من احتلال لاجزاء من الاراضي العربية. فقد كان هذا العدوان موجها، في الاساس، لاسقاط تلك الانظمة وتصفية الحسابات مع حركة التحرر العربية بمجموعها واعادة المنطقة العربية الى دائرة النفوذ الامبريالي الصريح والمباشر.

واذا كانت هذه المهمة لم تتحقق فان واقع الهزيمة قد افسح المجال للقوى العربية اليمينية التي تضررت مباشرة من الاصلاحات الاجتماعية، وتلك التي كانت تخشى من تأثيرها عليها في البلدان الاخرى الى نشوء المزاعم التي تضع مسؤولية الهزيمة العسكرية وما اسفرت عنه على عاتق السياسة التقدمية المعادية للامبريالية التي كانت تمارسها بعض الانظمة العربية ومجموع حركة التحرر الوطني. واخذت هذه القوى الرجعية التقليدية المتحالفة مع البرجوازية البيروقراطية والطفيلية تستغل المصاعب التي اوجدها الاحتلال الاسرائيلي في المناداة بتجميد عملية استكمال مهمات الثورة الوطنية الديموقراطية، و"تحسين" العلاقات مع الامبريالية الامريكية باسم اقامة علاقات "متوازنة" مع الشرق والغرب، وتخطئة مسيرة حركة التحرر العربية التقدمية، وسياستها الحازمة العداء للامبريالية.

لقد وجدت هذه الاوساط فرصتها الملائمة للدعوة الى ضرورة استرضاء الامبريالية الامريكية، والابتعاد عن التعاون مع الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية كسبيل لاستعادة الاراضي العربية المحتلة في حزيران عام ١٩٦٧. وهي تعني بالاسترضاء التراجع عن كافة الاجراءات التقدمية، واعادة فتح الابواب للاحتكارات والمصالح الامبريالية وللتطور الرأسمالي على حساب الجماهير الكادحة. وكانت هذه الاوساط تأمل من وراء ذلك استعادة مواقع النهب والاستغلال التي كانت تشغلها، والسلطة السياسية التي فقدتها او زيادة نفوذها داخل السلطة القائمة.

وكانت وفاة عبد الناصر ووصول السادات الى السلطة في مصر، المركز الرئيسي لحركة

Digitized by Birzeit University Library

التحرر العربية انذاك، حسما لصراع كان يدور داخل السلطة المصرية وخارجها لصالح ممثلي اغنياء الفلاحين والبرجوازية البيروقراطية والطفيلية، وبقايا الاقطاع والبرجوازية الكبيرة. وقد اخذت هذه القوى منذ انفرادها بالسلطة في تنفيذ برنامج متكامل يقوم على الارتباط بالامبريالية الامريكية، وعلى تصفية منجزات الثورة المصرية في مختلف المجالات. وفيما بعد، وعلى طريق التبعية هذا جرى التوقيع على اتفاقات كامب ديفيد، وخيانة المصالح الوطنية للشعب الفلسطيني والشعب المصرى وباقي الشعوب العربية.

وكانت لهذه الردة في مصر انعكاساتها على الصعيد العربي حيث اخذت قوى الرجعية الحاكمة في عدد من البلدان العربية تظهر ميلا اكبر الى الاستسلام والى الترويج لسياسة التبعية للامبريالية الامريكية.

لقد اظهرت الردة في مصر المضمون الطبقي لسياسة الاعتماد على الامبريالية، والنتائج التي تؤدى اليها على مختلف الاصعدة الداخلية والعربية والدولية. وبان، بوضوح اكبر، الترابط العضوى القائم بين المهمات الداخلية لاى فصيل في حركة التحرر العربية ومهماتها تجاه القضية الفلسطينية والعربية.

وتأكد بقوة ان اولئك الذين يدعون بأن الاعتماد على الامبريالية الامريكية لحل القضية الفلسطينية هو مجرد "اجتهاد" انما يدعون، بقصد او غير قصد، الى تصفية مكاسب حركة التحرر العربية والتمهيد لاخضاع البلدان العربية لمشاريع الهيمنة الامبريالية.

لقد بدأ السادات والقوى الطبقية التي تدعمه، ولها امثال في باقي البلدان العربية ،بالدعوة للاعتماد على امريكا باسم استعادة الاراضي المحتلة ولكن هذه الدعوة انتهت لا الى استعادة الاراضي المحتلة وانما الى استعادة امتيازات اصحاب الدعوة التي فقدوها او تعرضت لتضييقات اثناء العهد الناصرى، والى اطالة امد الاحتلال الاسرائيلي.

واذا كان هذا الترابط المتبادل التأثير بين شعار الاعتماد على الامبريالية الامريكي لحل القضية الفلسطينية، وبين الوقوع في اسار التبعية الاقتصادية والسياسية والعسكرية للامبريالية، فان هذا الشعار بالنسبة للدول العربية التابعة للامبريالية اصلا يشكل امتدادا لسياستها الداخلية. ويعني الاستعداد للقبول بالحلول الاستسلامية بالنسبة للقضية الفلسطينية طالما ان هذه الدول تمارس مثل هذه الحلول في داخل بلدانها وتجاه طموحات شعوبها واهدافها لصالح الامبرياليين.

وبالتالي ليس هناك مكان للجمع بين حركة وطنية وشعار الاعتماد على الامبريالية الامريكية. لان المحصلة الوحيدة لمثل هذا الجمع هو اما الارتداد وفقدان الصفة الوطنية او مواجهة التصفية. ويشهد على هذا المأزق الذى تواجهه القيادة الرسمية لمنظمة التحرير في الوقت الحاضر.

ان دول اليمين العربي لا تجد من وسيلة لديها لاستعطاف واشنطن سوى التحذير من "سيطرة الراديكاليين "على حد تعبيرهم"، وهذا التحذير يعكس الطابع الرجعي لسياسة الاعتماد على الامبريالية الامريكية، والاهداف العدائية لحركة التحرر العربية وللقوى الثورية منها بصورة خاصة التي يريد اليمين العربي تحقيقها.

Digitized by Birzeit University Library

ان القيادة الرسمية لمنظمة التحرير التي وقعت على اتفاق عمان واندفعت في " تحرك مشترك " نحو امريكا تواجه، في الوقت الحاضر مأزق التخلي عن الاهداف الوطنية او مواجهة خطر التصفية اذا ما استمرت متشبثة بهذه السياسة .

وقد استفادت الاطراف الاخرى من هذا التحرك على حسابها وحساب الاهداف الوطنية الفلسطينية، اما هي، باختيارها طريق التحالف مع النظامين الاردني والمصري، فقد قدمت تنازلات هامة في مقدمتها هدف الدولة الفلسطينية المستقلة ، والاستعداد للموافقة، او الموافقة على الاصح، على قرار مجلس الامن رقم ٢٤٢، وحق التمثيل المستقل . واستنادا الى هذه التنازلات، وبحكم اليتها او ديناميكيتها ، وهو تعبير محبب هذه الايام، لمنظري القيادة الرسمية، انطلق الاخرون في المطالبة بتنازلات جديدة، ويقدمون بعضامنها .

وبحكم هذا التحالف عزلت القيادة الرسمية نفسها عن القوى الثورية في داخل البلدان التي تحالفت مع انظمتها الرجعية، وكذلك في خارجها ، مثلما عزلت نفسها عن القوى الثورية العالمية وفي مقدمتها الاتحاد السوفييتي والبلدان الاشتراكية الاخرى .

ومع ذلك فانها لم تستطع تحقيق ما كانت تبرر به هذا "التحرك المشترك"، وفي نفس الوقت لم تستطع كسب رضى الامبريالية الامريكية ،التي اعلنت، من خلال الغارة على تونس، وبالتصريحات التي اعقبت خطف الطائرة المدنية المصرية انها عازمة على تصفيتها . وجاءت مهزلة الوفد المشترك الى بريطانيا والاذلال الذى تعرض له القسم الفلسطيني من الوفد، وانفصال الطرف الاردني عنه، وتأييد الملك حسين للموقف البريطاني اشارات محددة واضحة على النية المبيتة لاستبعادها حتى من الطريق الذى قبلت السير عليه، وهو طريق التحرك نحو امريكا والاعتماد على مشاريعها .

وفي هذه النتيجة تأكيد صارخ على ان هذا الطريق لا يخدم المصالح الوطنية بل يخدم المصالح الطبقية للبرجوازية البيروقراطية والطفيلية الموالية للامبريالية.

المراجـــع :-

١ - فهمي اسماعيل : التفاوض من اجل السلام ، بالانكليزية ، كروم هل ، لندن ، ١٩٨٣ ص ١٦٤

٢ - كامل ، ابراهيم ، السلام الضائع . الشركة السعودية للابحاث والتسويق ، بدون تاريخ ص ٥٣١ ، ٥٤٣ .

٣) التفاوض من اجل السلام مصدر سبق ذكره .

٤) هيرش ، سيمور : ثمن السلطة (بالانكليزية) ، سامت بوكس ، نيويورك ١٩٨٣ ، ص ٢١٧ .

٥) نفس المصدر ، ص ٢١٨ .

٦) لاكر ، والتر وباري ، روبين ، اسرائيل اراب ريدر ، بلكان ، ١٩٨٤ ، طبعة رابعة ، ص ٣٢

٧) شديد ، محمد ، الولايات المتحدة والفلسطينيون (بالانكليزية) ، كروم هـل ، لندن ١٩٨١ ، ص ٢٥ .

٨) مجلة الشرق الاوسط ، اذار ١٩٨٣ ، ص ١٨ .

٩) نف ، دونالد ، محاربون على السويس ، (بالانكليزية ، سايمون وشاستر ، نيويورك ، ١٩٨١ ص ٤٦ .

Digitized by Birzeit University Library

قضايا حرب النجوم وسباق التسلح ونزع السلاح - اسئلة واجوبة

ان المحادثات السوفييتية الامريكية التي اتفق عليها وزيرا خارجية الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية في جنيف بتاريخ كانون الثاني عام ١٩٨٥ ستتناول بالبحث اهم مسألة في عصرنا هذا، اى درء خطر اندلاع حرب نووية وضمان سلام دائم .

واما موضوع المحادثات فانه يشمل كل المسائل المتعلقة باسلحة الفضاء الخارجي والاسلحة النووية. وقد فرضت نفسها وجهة النظر السوفييتية الصائبة والمتجاوبة مع مصالح الشعوب والسلام والتي تفيد بانه لا يمكن معالجة مسألة الاسلحة الاستراتيجية ولا مسألة الاسلحة النووية المتوسطة المدى دون معالجة مسألة الحيلولة دون سباق التسلح في الفضاء الخارجي .

ويعتبر مسعى الاتحاد السوفييتي المتسم بالحزم والاصرار والرامي الى اجراء محادثات ناجحة مع الولايات المتحدة الامريكية والى ضمان سلام دائم بمثابة تشجيع كبير لجميع قوى السلام في العالم .

ويوطد المسعى هذا الثقة بامكانية ووجوب حل اية قضية عالقة كانت بوسائل سلمية ومهما كانت معقدة ويمكن لقوى السلام، اذا ما اتحدت في ائتلاف عالمي للحكمة والواقعية ان تقوم بمساهمة كبيرة في تحقيق اتفاقيات جنيف لصالح جميع الشعوب.

ان الانعطاف لصالح السلام لم يتحقق بعد . بيد ان هنالك امل له ما يبرره وفرصة كبيرة لكي يمكن الحوار المفتتح بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية ان يؤدى الى نجاح تام .

لماذا يعتبر اليوم نزع السلاح موضوعا متكاملا ؟

ان الطابع التكاملي للمفاوضات وارد وبشكل واضح في البيان المشترك السوفييتي الامريكي وذلك على النحو التالي : " يتفق الجانبان على ان موضوع المفاوضات سيكون

Digitized by Birzeit University Library

المجموعة المتكاملة للمسائل التي تتعلق بأسلحة الفضاء الخارجي والاسلحة النووية والاستراتيجية والمتوسطة المدى، علما بأن كافة المسائل هذه تعالج وتحل على اساس العلاقة المتبادلة بينها، وسيكون هدف المفاوضات صياغة اتفاقيات فعلية تستهدف الحيلولة دون سباق التسلح في الفضاء الخارجي وإنهائه على الارض وتحديد وتخفيض الاسلحة النووية وتوطيد الاستقرار الاستراتيجي.

وهذا ما يعني من ناحية بأن المفاوضات هذه هي مفاوضات جديدة وشاملة تتناول بالبحث الاسلحة النووية والاستراتيجية والمتوسطة المدى واسلحة الفضاء الخارجي على حد سواء. كما وانها تشمل من الناحية الاخرى البحث عن تلك الحلول والاتفاقيات التي تراعي العلاقة المتبادلة القائمة بين جميع الاصعدة المتلاثة.

ويعني هذا بالتحديد ما يلي: لكي يمكن التخفيف من خطر اندلاع حرب بالاسلحة النووية وبالتالي درئه، يجب الحيلولة دون سباق التسلح في الفضاء الخارجي غير القائم هناك حتى الان، ووضع حد له على الارض.

ومن ثم ما هو جدوى تحديد عدد الصواريخ العابرة للقارات او المتوسطة المدى او ازالتها من على وجه الارض والقيام في نفس الوقت بنشر اسلحة جديدة واخطر في الفضاء الخارجي. وان شحن الفضاء الخارجي بكميات متزايدة باستمرار من الاسلحة يعني ابداة كل ما تم خلقه على وجه البسيطة ومحوه فعلا وبصورة كلية.

واذا ما اتسع نطاق السباقات العسكرية وشمل الفضاء الخارجي ايضا ـ وهذا ما تهدف اليه مشاريع واشنطن بشأن "حرب النجوم" فان ما يترتب عليه وبصوره حتمية هو اشتداد سريع من كل مضمون والعكس بالعكس اى ان الاحتفاظ بالفضاء الخارجي لاستخدامه لاغراض سلمية واستمرار خلوه من انظمة لاسلحة معاده للصواريخ والاقمار الصناعية ومن اسلحة هجومية واية اسلحة اخرى على الاطلاق يجعل من السهل تحقيق التقدم في اتجاه اتخاذ اكثر الاجراءات جذرية في مضمار نزع السلاح ولغاية الحظر التام لكافة الاسلحة النووية وبالتالي ازالتها. ولذا ينبغي على المرء ان يحول دون تحقيق حتى بدايات عسكرة الفضاء الخارجي التي تسعى اليها الولايات المتحدة الامريكية.

ومهما كان الجانب الذى ينطلق منه المرء في معالجة القضيتان ما يتضح هو ان هنالك بين عدم عسكرة الفضاء الخارجي وتحديد وتخفيض وازالة الاسلحة النووية على وجه الارض علاقة وثيقة، بل واكثر من ذلك، اى علاقة تأثير واشتراط متبادل ولهذا فان للحيلولة دون عسكرة الفضاء الخارجي دور حاسم في تحقيق تقدم بالنسبة للمفاوضات السوفيتية الامريكية.

وان كل موقف يؤدى الى جعل الفضاء الخارجي نقطة الانطلاق لمخاطر جديدة بالنسبة للبشرية هو امر غير مقبول. وقد مثل الاتحاد السوفييتي هذا الرأى في جنيف بشكل حازم. كما ويؤيد هذا الرأى جميع من يهمه في العالم صيانة السلام والقضاء على المجابهة العسكرية ويسترشد بالحكمة والتفكير الواقعي.

Digitized by Birzeit University Library

لماذا تحظى الحيلولة دون عسكرة الفضاء الخارجي بالاولوية القصوى؟

اذا ما تحدث المرء عما يسمى بحروب النجوم فانه يتحدث بذلك عن الحياة والموت وحتى اشد الكلمات تعبيرا تكون ضعيفة للتعبير بها عن الخطر الجسيم الذى قد يترتب على نشر الاسلحة في الفضاء الخارجي وجعل سباق التسلح يمتد اليه. ويسود الاستنكار في العالم كله ازاء سيناريو البنتاغون بشأن الفضاء الخارجي ذلك السيناريو الذى يعني تحقيقه الطريق الاكيد للغاية نحو جحيم نووى .

وقد جعلت واشنطن من " حرب النجوم " الذى هوعنوان لفيلم علمي خيالي من هوليوود ، شعارا لمخطط انطوى من الاسلحة التي من المزمع نشرها في الفضاء الخارجي. ومما لا شك فيه هو ان كلمة"حرب النجوم" تفهم ايضا وفي العالم كله كمرادف لالفاظ رنانة وادعاءات فارغة وساخرة يحيط بها المحرضون على عسكرة الفضاء الخارجي هذا البرنامج. ويستعرض خطر الجحيم النووى وابادة البشرية اللذان يترتبان على ذلك كمسرحية لهوليوود .

ولقد تم تخصيص ٢٦ مليار دولار لمشاريع البحث الاولى وحدها . واما مدى تقدم العمل في تحقيق مشاريع واشنطن فانه يتضح من الحقيقة في ان "مبدأ الملاحة الجوية والفضائية" للولايات المتحدة الامريكية يستهدف "تحقيق الهيمنة في الفضاء الخارجي ومن ثم الحفاظ عليها وبما ان الوثيقة هذه تتناقض كل التناقض مع اتفاقية جنيف لذا فان المسؤولين في واشنطن يسعون الان، الى ترويج خدعة مفضوحة جديدة مفادها ا سيتم في البداية القيام بابحاث تتعلق بمشروع حرب النجوم فقط .

ويستفسر المرء في العالم كله بقوله

لماذا يجب اجراء البحوث لتسليح الفضا الخارجي اذا ما كانت الولايات المتحد الامريكية تريد الحيلولة دون سباق التسلح وكما اعلنت في جنيف سوية مع الاتحاد السوفييتي .

ولا يمكن ان يتحقق الا احد الامرين. اضف الى ذلك من يمكنه ان يضمن وقف الاعمال بعد انتهاء بحوث باهظة التكاليف كهذه؟ ومن هو الساذج الى حد بحيث يعتقد بأن احتكارات الصناعة الحربية تكف عن السعي لجني مليارات اخرى من الدولارات (تقدر بما يبلغ ٥٠٠ مليار دولار) بعد المليارات الـ ٢٦ الاولى ؟

وهذا ما لا يهم استراتيجيو البنتاغون والقائمون بالدعاية لمخططاتهم . ويواصل هؤلاء بذل كل ما في وسعهم لتضليل الرأى العام العالمي بشأن برنامج تطوير وتجربة ونشر أسلحة في الفضاء الخارجي واظهاره كـ " مظلة دفاعية "و" مبادرة دفاعية استراتيجية".

الواقع هو ان الامر برمته لا يمت للدفاع بأية صلة على الاطلاق، بل ان البرنامج هذا هو من حيث الجوهر برنامج هجومي او، بتعبير ادق، عدواني. وهذا ما تدل عليه حقائق متعددة هي : اولا، ان الانظومات المعينة كالاقمار الصناعية الحربية والمركبات الفضائية او مدافع الليزر هي محددة لتدمير اهداف على الارض وفي الفضاء الخارجي. فمثلا الاقمار الصناعية القاذفة للقنابل والتي يمكن وضعها بمساعدة مركبات فضائية في مكان

Digitized by Birzeit University Library

يحدد سلفا هي عبارة عن قنابل نووية يمكن تدميرها باصدار امر لاسلكي .

ثانيا ، يستخدم ما يسمى بالدرع الوقائي لتعطيل انظومات الجانب الاخر الاستراتيجية المماثلة.

وثالثا ، يستهدف برنامج حرب النجوم بهذا تعبير التوازن العسكرى الاستراتيجي لعالم الولايات المتحدة الامريكية. وكتبت صحيفة"ذى نيويورك تايمس" بهذا الصدد تقول: من الطبيعي ان الشيء المهم والخطير هو ان محاولة تحقيق الهيمنة العسكرية في الفضاء الخارجي تستهدف في الواقع تحقيق السيطرة على الارض ."

وهكذا فان الولايات المتحدة الامريكية تريد ببرنامجها بشأن " الدفاع الاستراتيجي" باستخدام اسلحة الفضاء الخارجي توفير الامكانية لتوجيه ضربة الى الاتحاد السوفييتي باسلحة نووية وبقائها هي سالمة وذلك بحماية المرء لنفسه من الانتقام بـ " مُطلة مضادة للصواريخ ". ومما يذكر في هذا الشأن هو تقرير آخر لصحيفة "ذى نيويورك تايمس" جاء فيه بأن الولايات المتحدة الامريكية لا تبحث فقط عن امكانية تطوير " نظام مضاد للصواريخ في الفضاء الخارجي بل وتعمل ايضا على تطوير" نظام لمناورات تضليلية" يستهدف منه تمكين صواريخ الولايات المتحدة الامريكية من تحطيم نظام اسلحة العدو المضاد للصواريـــخ .

ولقد حذر الاتحاد السوفييتي بشدةمن النتائج التي تترتب على تمسك الولايات المتحدة الامريكية بمشروع" حرب النجوم" فتمسك الولايات المتحدة الامريكية بهذا المشروع يلحق الفشل بالمفاوضات التي تتلخص هدفها المعلن بالذات في صياغة اتفاقيات فعلية للحيلولة دون سباق التسلح في الفضاء الخارجي ولانهائه على الارض. وبدلا من ذلك قد يؤدى هذا الى فتح الابواب على مصاريعها لسباق في التسلح بابعاد لم يسبق لها مثيل حتى الان . وبهذا يتم تقويض كل امل في تحديد التسلح . ونزع السلاح واما النتيجة النهائية التي قد تترتب على ذلك فهي ان الوضع في العالم سيكون اعقد واخطر مما كان عليه قبـــلا .

وتوضح وسائل الاعلام الالكترونية والصحف في العالم اجمع يوميا مدى ادراك رجالات دول وساسة وعلماء واناس من شتى المعتقدات لجسامة المخاطر الناجمة عن سباق التسلح وفي تحليل واف لمشروع البنتاغون بشأن الفضاء الخارجي قام به الساسة البارزون والموظفون الاربعة ذوى المراتب العليا في حكومات سابقة للولايات المتحدة الامريكية، أي مكبوندى ، تيتان، مكنامارا وسمث توصل هؤلاء الى الاستنتاج الذى يفيد" بأن مشروع الفضاء الخارجي هذا تترتب عليه نفقات ومخاطر ضخمة جديدة بالنسبة لبلدنا والبشرية اذا لم يوصد الباب في وجه بشكل محكم" .

واما كيفية ايصاد الباب في وجه ذلك المشروع فان هنالك ما يكفي من المقترحات العملية بشأنها فقد سبق للاتحاد السوفييتي وان تقدم الى هيئة الامم المتحدة في آب عام ١٩٨٣ بمشروع " قرار " حول استخدام الفضاء الخارجي لاغراض سلمية فقط ومن اجل رخاء البشرية" وفي ١٣ كانون الاول عام ١٩٨٤ وافقت ١٥٠ دولة ـ وباستثناء الولايات المتحدة الامريكية التي امتنعت عن التصويت ـ على المبادئ المصاغة في المشروع الانف

Digitized by Birzeit University Library

الذكـــر .

واما ما يتعلق بموقف الاتحاد السوفييتي فانه يستند الى التفكير البسيط والسليم التالي : ان من يريد باخلاص نزع السلاح سوف يسعى وعليه ان يسعى اولا لكي لا تنشر اية انظومات من الاسلحة الجديدة والخطيرة في المكان الذى ما يزال يخلو في الوقت الحاضر منها ، اى في الفضاء الخارجي وذلك سواء من الفضاء الخارجي بالذات او من الارض او الجو . كما وينبغي ان تحظر بصورة تامة كافة الاسلحة التي يمكن استخدامها من الفضاء الخارجي ضد كوكب الارض وبغض النظر عما اذا كانت موجهة ضد اهداف على الارض وفي المياه او في الجـــو .

وهكذا فقد وفر الجانب السوفييتي اساسا متينا لاجراء مفاوضات جدية ومؤدية الى نتائج بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية حول تلك المسألة التي تحتل مكان الصدارة في اطار وحدة متكاملة تشمل انواع الاسلحة الثلاثة كلهـــا .

ان تحقيق حظر عام للاسلحة في الفضاء الخارجي يعني في الواقع ايصاد الباب باحكام في وجه سباق التسلح ،الامر الذى يطالب به الناس في العالم كله ويمكن ايضا من درء اكبر خطر على حياة البشرية حتى الان . كما وانه يمكن من نفي " حرب النجوم " ومن جديد الى هناك ، حيث جاءت منه ، اى الى كواليس الافلام السينمائية في هوليوود .

لماذا لا يمكن اجراء مفاوضات الا على اساس المساواة والامن المتكافيء ؟

يجب لمبدأ المساواة والامن ان يكون القاعدة الوطيدة للمفاوضات المتفق على اجرائها في جنيف بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية . ولا وجود لاية قاعدة اخرى ويمكن ان يبدو هذا كأمر بديهي . بيد ان خبر الماضي وبعض التصريحات الواردة عبر المحيط الاطلسي تدل على ان التأكيد الشديد على هذا المبدأ ومراعاته بدقتها ضروريات للغاية وملائمان للعصر . وفي الاونة الاخيرة اطلعت صحيفة" واشنطن بوست" القارئ على مبدأ القوات الجوية للولايات المتحدة الامريكية الذى يدعو الى " الهيمنة على الفضاء الخارجي ومن ثم الحفاظ عليها"

ولا يمكن لهذا المبدأ العدواني ان يتفق مع مبدأ المساواة والامن المتكافيء اطلاقا . فهو يتناقض بوضوح مع هدف المفاوضات المتفق عليه في جنيف بين وزيرى خارجية الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية والذى يتلخص في صياغة اتفاقيات فعلية تستهدف الحيلولة دون سباق التسلح في الفضاء الخارجي وانهاءه على الارض وتحديد وتخفيض الاسلحة النووية وتوطيد الاستقرار الاستراتيجـــي .

واذا ماريد لهذا الهدف ان يتحقق يجب على كل من الجانبين معالجة الموضوع بجد . ولا يجوز لهما اللجوء الى استخدام خدع ومحاولة الاحتيال على الجانب الاخر وتحقيق اية منافع كانت بانتهاك مبدأ المساواة والامن المتكافيء . وباختصار نقول : ينبغي على كل من طرفي المفاوضات ان ينطلق من ان الطرف الاخر سوف لن يسمح بالانحراف على هذا المبدأ . وعلى كل من الطرفين ان يعتبر الطرف الاخر مساويا له ويعترف له بحقه في نفس القدر من الامن . ولا يمكن اجراء مفاوضات

Digitized by Birzeit University Library

بصورة جدية وموضوعية الا بمراعاة ذلك.

وليست مصلحة كل من الطرفين في المفاوضات هي وحدها التي تستلزم الاعتراف المطلق والتمسك الدقيق بهذا المبدأ، بل ان ذلك تقتضيه ايضا، المصالح الحيوية لكل الشعوب في درء خطر الحرب النووية وضمان سلام دائم.

ويترتب على نشر سباق التسلح الى الفضاء الخارجي تجريد المحادثات من الاهمية والجدوى. غير ان من الممكن اتخاذ خطوات فعالة لتحديد وتخفيض التسلح اذا ما حوفظ على التوازن العسكري الاستراتيجي التقريبي على مستوى اخفض فاخفض. وان ما ينبغي تحقيقه هو ضمان امن متكافيء للجميع وذلك بمقدار اقل فاقل من الاسلحة.

هل تتوفر امكانيات للبدء فورا بخطوات لتحديد التسلح ونزع السلاح دون الاعتماد في ذلك على المفاوضات؟

ان البدء باجراء المفاوضات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية هو خطوة اولى على طريق طويل وشاق بلا شك. وهل ينبغي ان يعني هذا بانه لا يمكن اتخاذ خطوات اخرى وتحقيق نتائج ملموسة في اتجاه تحديد التسلح ونزع السلاح الا في وقت بعيد؟

هنالك في الغرب من يحاول عرض هذا السؤال بهذه الصورة. غير انه ينبغي الاجابة على هذا السؤال بنفي قاطع. فهنالك بالنسبة للاسلحة النووية جملة من المسائل التي يمكن حلها الان ولو انها او بالذات لانها لا تشكل موضوعا للمفاوضات.

وقد تكون احدى هذه المسائل والمهمة للغاية هي التزام كافة الدول المالكة لاسلحة نووية بان لا تكون البادئة باستخدام هذه الاسلحة. ومن المعروف هو ان الاتحاد السوفييتي قد تعهد بذلك منذ زمن بعيد. كما وتعهدت به جمهورية الصين الشعبية ايضا ولا حاجة لاجراء مفاوضات لكي تدلي بقية الدول النووية بدورها ايضا ببيان مماثل، اذ لا يلزم لذلك سوى اتخاذ قرار وطني من قبل هذه الدول. وقد تكون حقا خطوة كبيرة الى الامام اذا ما اقتدى الجميع بالاتحاد السوفييتي اذ انه في حالة عدم اقدام اية دولة على البدء باستخدام اسلحة نووية فان من البديهي هو انه لا تستخدم اسلحة كهذه على الاطلاق.

ومن ثم قد يكون من غير المعقد نسبيا ـ واذا ما توفرت الارادة الطيبة لدى كل الاطراف ـ لو تم التوصل الى عقد اتفاقية لـ "تجميد" جميع ترسانات الاسلحة النووية، اى ابقائها على مستواها الحالي وعدم اضافة اية اسلحة نووية جديدة اليها. وقد سبق للاتحاد السوفييتي وان تقدم فيما مضى باقتراح كهذا وما يزال متمسك به. وهنالك في الولايات المتحدة الامريكية حركة واسعة النطاق تسعى لتحقيق هذا الهدف، تلك الحركة التي قامت حتى بتسمية نفسها بالمطلب "تجميد". ولن يخسر احد اى شيء لو تم "تجميد" التوازن التقريبي القائم بالنسبة لهذه الاسلحة على المستوى الحالي. بل على العكس من ذلك، اذ ان عقد اتفاقية كهذه لا يمكن ان يؤدي الا الى تحسين قاعدة الانطلاق لاجراء مفاوضات مثمرة حول المجموعة المتكاملة للاصناف الثلاثة من الاسلحة.

اضف الى ذلك هو ان من الممكن عقد معاهدة حول وقف التجارب باسلحة نووية بغض

Digitized by Birzeit University Library

النظر عما توصلت اليه المحادثات من النتائج في الميادين الثلاثة المتفق عليها. ولماذا يحتاج المرء لاجراء تجارب اذا ما كان يريد صياغة اتفاقيات فعلية تستهدف الحيلولة دون سباق التسلح في الفضاء الخارجي، وانهاءه على الارض وتحديد وتخفيض التسلح النووي وتوطيد الاستقرار الاستراتيجي ؟ وقد اقترح الاتحاد السوفييتي، ومنذ زمن طويل ايضا، عقد معاهدة كهذه. وقد امكن المشروع بتنفيذ المعاهدة بشأن تفجيرات نووية لاغراض سلمية والمعاهدة بشأن مسائل تخص التجارب بالاسلحة النووية التين تم التوقيع عليهما من قبل الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية قبل عدة سنوات. واما ما يعتبر ضروريا لذلك فهو ليس الا ان تتخلى الولايات المتحدة الامريكية عن موقفها الهدام التي ما زالت تتمسك به حتى الان .

ويدرك كل امرئ ماذا يعني بالنسبة لافاق المفاوضات لو اعقبت الخطوة الاولى، اى اتفاق جنيف، خطوات اخرى وبسرعة. وهذا ما يدركه حتى اولئك الذين يسيرون بقامات منتصبة واذرع مشدودة في الاتجاه المعاكس اى يتبعون نهج اشعال نيران جحيم نووي. ولهذا فانهم يبذلون كل ما في وسعهم للحيلولة دون وقف التسلح النووي، بل لتشديده. ولو انهم يعلمون بان هذا الامر قد يجعل المفاوضات غير ذى اهمية ويلحق بهذا الفشل لذا فانهم يلحون على تحقيق المشروع الجنوني بشأن الفضاء الخارجي .

وينبغي الان الضرب على ايدى اولئك الذين يواصلون التسلح بدلا من التفاوض او يريدون – وعلى الاقل اثناء المفاوضات – متابعة التسلح. وهذا ما تعنيه منظمات السلام الامريكية التي تعارض نصب صواريخ امريكية اخرى في اوروبا الغربية. وهذا ما تعنيه ايضا حركة السلام في جمهورية المانيا الاتحادية التي لا تريد الانتظار، بل "تشديد" السعي من اجل السلام وكما يفعل الخضر. وبهذا المعنى تدعو حاليا قوى اجتماعية وحيثما كان في العالم ،الى تعزيز النضال المشترك وبالذات في الوقت الحاضر، حيث تبدو – ورغم كل التعقيد – امكانية التوصل الى اتفاقيات فعلية في المفاوضات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية.

ما هو التأثير الذى قد يمارسه وقف فورى لنصب الصواريخ في الغرب والشرق على المفاوضات ؟

من المعروف انه ينبغي معالجة قضايا اسلحة الفضاء الخارجي والاسلحة النووية ذات المدى الاستراتيجي والمتوسط بشكل متكامل وبعلاقاتها التي لا تنفصم مع بعضها البعض، في المفاوضات بين كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية. ولا يمكن للمرء – وهذا هو صلب الموضوع – ان يحل قضايا الاسلحة النووية الاستراتيجية والاسلحة الذرية متوسطة المدى بنجاح، اذا ما لم يتم منع عسكرة الفضاء ولكن ايضا هناك علاقة متبادلة وثيقة بين الاسلحة النووية ذات المدى الاستراتيجي والمتوسط ، التي جرت بشأنها مفاوضات خاصة في الماضي بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية، والتي يجب ان تؤخذ بعين الاعتبار في المفاوضات الجديدة .

Digitized by Birzeit University Library

وفي الماضي ارتبطت المفاوضات الخاصة بالامل، على انه من الممكن عن هذا الطريق ايجاد اتفاقيات اسهل. الا ان ما ثبت بشكل واضح هو انه لا يمكن التوصل الى اتفاقيات بشأن الاسلحة الاستراتيجية بدون التوصل الى حل لتلك القضايا المتعلقة بالاسلحة متوسطة المدى. وكان ذلك غير ممكن، لان تمييز الاسلحة النووية وفقا للمسافة فقط، التي يمكن ان تجتازها الوسائل الحاملة لها، لا تتجاوب مع طابع هذه الاسلحة.

وهكذا تعتبر صواريخ بيرشنغ ٢ وكروز بالنسبة للولايات المتحدة الامريكية في جمهورية المانيا الاتحادية وفي بلدان اوروبية غربية اخرى حسب مواصفات مداها فقط اسلحة متوسطة المدى، لكن من حيث طبيعتها وقوتها الضاربة اسلحة استراتيجية، اذ انها هي صواريخ الولايات المتحدة الامريكية التي بامكانها ان تصل الى اراضي الاتحادالسوفييتي وبالمقابل لا يمكن للصواريخ السوفييتية متوسطة المدى ان تصل الى اراضي الولايات المتحدة الامريكية. وهذه هي الحقيقة بكل بساطة، اذا ما اراد المرء مرة ان يدع جانبا ضباب الدعاية التي تقوم بها واشنطن وحلف الناتو حول صواريخ ٥٠٠ ك.

ان مسألة الاسلحة الاستراتيجية لا يمكن على هذا الاساس مناقشتها بمعزل عن الاسلحة متوسطة المدى. ولا يمكن فصل هاتين القضيتين بدورهما عن قضية الاسلحة في الفضاء الخارجي التي تعتبر القضية الاساسية.

ان العلاقة الموضوعية القائمة، والتي ينبغي ان تؤخذ في الحساب لدى القيام بمفاوضات جديدة، تستوجب في الوقت نفسه لما فيه مصلحةنجاح هذه المفاوضات، عدم القيام من خلال زيادة حدة التوتر ـ ولا حتى في اى ميدان من الميادين الثلاثة لموضوع المفاوضات المتكامل ـ باضافة مزيد من الصعوبة على الوضع المعقد اصلا. واذا ما استمر الامريكيون بنصب اسلحتهم النووية متوسطة المدى في اوروبا فان الوضع يصبح اكثر تعقيدا وستكون المفاوضات موضعا للشك.

وعلى العكس من ذلك تماما، فان" تجميد كافة الاسلحة النووية سيوفر مناخا مناسبا للمفاوضات. وستكون هذه الخطوة بالفعل النتيجة المنطقية التابعة عن الهدف المتفق عليه في جنيف بين وزيرى خارجية كل من الاتحاد السوفييتيوالولايات المتحدة الامريكية، والذى يتضمن الحد من الاسلحة النووية وتقليصها. وعلاوة على ذلك: فقط صاغ بيان جنيف كهدف نهائي الابادة التامة والشاملة للاسلحة النووية. فلماذا اذن ينبغي نصب مزيد من الاسلحة النووية متوسطة بمثابة مهمتها النهائية؟ ولن يلحق باى احد اذى او خسارة في مجال الامن من جراء ذلك، عندما يتفقالطرفان على مثل هذا التعهد.

ان مثل تلك الخطوة، التي تعتبر في نفس الوقت بمثابة دليل على الارادة الطيبة، تتجاوب ايضا معالارادة المتزايدة وضوحا في الايام الاخيرة بالذات. للناس المحبين للسلام في جميع انحاء العالم. ان حركة السلم الفرنسية تطالب بحزم بايقاف نصب صواريخ جديدة في اوروبا. وثلاثة ارباع مجموع البلجيكيين يعبرون عن تأييدهم لتأجيل النصب المقرر للصواريخ النووية للولايات المتحدة الامريكية في بلدهم. ويعبر رئيس الحزب الديموقراطي الاجتماعي الالماني فيلي براندت، عما تريده اوساط واسعة في

Digitized by Birzeit University Library

جمهورية المانيا الاتحادية، عندما يقترح يجعل الوقف الشامل لنصب الصواريخ العابرة للقارات والمتوسطة المدى، جزءا اساسيا لعملية المفاوضات. وتصرح الاحزاب الديموقراطية الاجتماعية في شمال اوروبا بشكل مشترك، بان تجميد الاسلحة النووية سيكون بمثابة القاعة الافضل للمفاوضات المقبلة.

لماذا تشترط الرقابة التامة نزع السلاح التام ؟

ان الاتفاقيات حول اجراءات ملموسة لنزع السلاح تستوجب رقابة فعالة. فبدون الرقابة الدقيقة لا تبلغ مثل هذه الاتفاقيات في النهاية النتيجة المرجوة، فبيانات التعبير عن النوايا وحدها لا تكفي. فقد جمدالاتحاد السوفييتي في هذا المجال خبرات عديدة، ولا يمكنه ان يعتمد على ضمير واشنطن.

ان الموقف السوفييتي في هذه المسألة هو واضح ولا لبس فيه. انه يؤيد اتخاذ خطوات جذرية لنزع السلاح ويؤيد الرقابة التامة. والتأكيد في هذا المضمار على نزع السلاح. فاذا لم يتم اتخاذ وتطبيق خطوات ملموسة من اجل تقليص ونزع السلاح، فليس هناك من شيء ايضا يمكن ان تتم مراقبته.

ليس هناك اية دولة حتى الان قدمت اقتراحات جذرية وبعيدة المدى تتعلق بقضايا المراقبة مثل الاتحاد السوفييتي ففي حزيران عام ١٩٤٦ تقدم في هيئة الامم المتحدة بالاقتراح الاول في التاريخ حول حظر انتاج واستخدام الاسلحة النووية، والذي تم استكماله من خلال الاحكام المتعلقة بالمراقبة الشاملة والعميقة. ولسنوات عديدة طالب الاتحاد السوفييتي قبول اقتراحه حول نزع السلاح العام مع الرقابة الشاملة. ولكن الغرب هو رفض ذلك مرار.

ونظرا لذلك، فان ما تدعيه اوساط غربية، بان الاتحاد السوفييتي لا يحترم قضية المراقبة، هو ادعاء باطل. وما هو المهم في هذا المجال فقط هو انها تصدر تماما عن تلك القوى الامبريالية، التي لا ترغب بالتوصل لاتفاق لنزع السلاح، والتي تريد ان تلقي المسؤولية على عاتق الطرف الاخر ـ وفقا لطريقة" اوقفوا اللص". وهذا ما اكده في هذه الايام المدير السابق لهيئة الرقابةعلى الاسلحة التابعة للولايات المتحدة الامريكية باول سي. فارنكه عندما قال: " ان اعداءنزع السلاح غالبا ما يسترون عدم رغبته بقلقهم اللامبرر حول التصديق"، اى الرقابة. ان هذا "القلق" هو لذلكغير مبرر ايضا لان التطور العاصف للعلم والتكنيك قد حسن من امكانيات الراقبة بصورة اساسية.

لقد دلت خبرات العقدين الاخيرين: بانه اذا ما كانت هناك رغبة ايضا من جانب واشنطن للتوصل الى اتفاقيات حول الحد من الاسلحة ونزع السلاح، لم لان تشكل الرقابة عائقا. ويجدر الذكير هنا بالاتفاقيتين المتعلقتين بالحد من الاسلحة الاستراتيجية سالت ١وسالت ٢ او بمعاهدة موسكو حول حظر تجارب الاسلحة النووية وبمعاهدة حظر نصب الاسلحة النووية في قاع البحار او الميناق المتعلق بالاسلحة الجرثومية. ان تلك الاتفاقيات سواء اكانت ثنائية بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية او متعددة الاطراف، تتضمن احكاما للمراقبة فعالة بما فيه الكفاية.

Digitized by Birzeit University Library

اى هناك ادلة كافية على ان الاتحاد السوفييتي ليس اقل ،بل اكثر اهتماما من الولايات المتحدة الامريكية برقابةموثوقة ، وباجراءات مناسبة وملموسة للحد من الاسلحة ولنزع السلاح .

ومثال آخر على ذلك من الاونة الاخيرة : لدى مناقشة الاتفاقية الضرورية منذ فترة طويلة حول حظر الاسلحة الكيماوية في مؤتمر جنيف لنزع السلاح، اقترح الاتحاد السوفييتي في العام الماضي اجراءات تصديق بعيدة النظر على صعيد وطني كما على الصعيد الدولي . وهكذا ينبغي ان تتم مراقبة ابادة ترسانات الاسلحة الكيماوية من قبل رقابة دولية منتظمة في المواقع التي هي قائمة فيهـا .

ولكن كيف ردت الولاياتالمتحدة الامريكية باقتراح بخصوص اجراءات المراقبة. بانه ينبغي على كافة الدول الموقعة على المعاهدة" ان تضع كافة مواقعها العسكرية او الحكومية وكذلك التي تخضع لمراقبة الدولة تحت تصر هيئة تفتيش دولية" . ولم يتطرق هذا الاقتراح بأية كلمة عن المؤسسات غير الحكومية، اى المؤسسات الكيميائيةالتابعة للملكية الخاصـــة .

وبلا خجل استهدف هذا الاقتراح المتعلق بالمراقبة من الناحية العملية، الى ان يكون في وسع المفتشين الامريكيين وحتى في كل وقت، مراقبة كل معمل سوفييتي فهي كلها كما هو معروف تابعة للدولة، في حين تبقى الصناعة الكيمياوية للولايات المتحدة الامريكية التابعة لملكية خاصة ما عدا بعض الحالات الاستثنائية، غير خاضعة لمثل اعمال التفتيش تلك . هذا هو مثال راهن على كيفية محاولة الامريكيين التملص من اجراءات المراقبة الحقيقيه والتي يسرى مفعولها على الجميع .

ان اتهام الاتحاد السوفييتي بعدم احترام قضية المراقبة او الصاق تهمة انتهاك المعاهدات به لا يخدم القضيةمن قبل او بعيد تماما . ان مذكرات وملاحظات واشنطن المعهودة تحاول اثارة الانطباع بان الاتحاد السوفييتي لن يفي بالتزامات التي تم التعهد بها . ولكن لما كانت مثل هذه الاتهامات منافية للحقيقة بكل وضوح، فانها تواجه باللامبالاة في العالم . فالممارسة العملية تدحضها بشكل واضح . فالاتحاد السوفييتي لا ينتهك التزاماته المثبتة في المعاهدات .

ان مراقبة تنفيذ المعاهدات ـ وهي من ضمن الف باء الحد من الاسلحة ونزع السلاح. وتنطبق عليها نفس القاعدة المطبقة بشأن الاتفاق حول خطوات ملموسة لنزع السلاح ـ مع احترام مبدأ المساواة والامن المتكافئ ، ومع توفر الارادة السياسية المناسبة، تصبح قضايا المراقبة قابلة للحل . وهذا ما ينطبق بالطبع ايضا على المفاوضات السوفييتية ـ الامريكية، كما ينطبق على الاتفاقيات التي يتأملها الرأى العام العالمي .

لماذا يـهم جميـع الـدول ،كبيـرة ام صـغيرة التـوصـل الـى نتائج مـفاوضـات ايجـابيـة ؟

ان منع عسكرة الفضاء الخارجي، والحد من الاسلحة النووية وتقليصها هي موضوعيا ومن دون ادنى شك في مصلحة الشعوب . بومثل ماهو عليه الامر بالنسبة للشعوب فيتعزز ايضا الادراك لدى عدد متزايد من السياسيين المسؤولين في البلدان الغربية وفي دول حلف الناتو ذاتها، حول المجازفات الخطيرة

Digitized by Birzeit University Library

التي تهدد المستقبل السلمي للبشرية، تلك المجازفات الناجمة عن مواصلة ادارة لولب التسلح ولا سيما المتولدة عن عسكرة الفضاء. ومهما اختلفت وتنوعت خطط ومشاريع هذا البلد او ذاك فيما يخص تطوره المستقبلي، سواء اكان ذلك على صعيد اجتماعي او اقتصادي او على صعيد ثقافي، فان لهم جميعا شرط مشترك حاسم الا وهو : التأمين الدائم للســـــلام.

ولما كان الامر يتعلق باهم قضية لكافة الدول والشعوب، الا ان المفاوضات نفسها تجرى بين دولتين هما الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية، فانه يتم تبعا لذلك طرح التساؤل فيما اذا كان في وسع الاخرين فعل ما هو اكثرمن التمني والانتظار بان تؤدى هذه المفاوضات الى نتائج ايجابية وغنية. ويجب الرد على هذا التساؤل بالايجاب بطى حزم واصرار. ولا يجوز ان تستثني اية دولة مهما كانت صغيرة عندما يتعلق الامر بتصفية خطر القوى الكبرى التي تمتلك موارد ضخمة، هي التي ينبغي ان تقود النضال من اجل الحد من الاسلحة ونزع السلاح، اذ ان الامر يعنيها بشكل خـــاص.

ومن الطبيعي ان الامر يتوقف بشكل خاص على القوى الكبرى، فيما اذا تم تحقيق خطوات متقدمة على هذا الطريق الى ان النضال وصولا لهذه الغاية. والنضال من اجل السلام هو قضية كافة الدول. انه حق وواجب الكبار كما هو حق وواجب الصغار والدول الصغيرة جدا. ويمكن لدولة ان تكون صغيرة، الا ان الايعني انها لا تستطيع ان تبوح بالحقيقة الكبرى، وان ترفع صوتها عاليا من اجل السلام وضد الحرب، لا سيما اذا عملت الدول الصغرى باتجاه واحد وبصورة موحدة.

ما هي الاتفاقيات المتعلقة بالحد من الاسلحة الذرية التي لا زالت سارية المفعـــــــول حتـــى اليـــوم ؟

فيما يتعلق بالمفاوضات السوفييتية - الامريكية حول المجموعة المتكاملة لاسلحة الفضاء والاسلحة النووية، فان الامر يتعلق بمفاوضات جديدة تماما. ومع ذلك فهي ليست بدون اية شروط. فهي يمكن ان تعتمد الى درجة معينة على اتفاقيات لا زالت سارية المفعول، اذ يمكن ان تقترن مثلا الى مانع الاتفاق عليه في المفاوضات بين الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية من عام ١٩٦٩ حتى عام ١٩٧٩ حول الحد من التسلح الاستراتيجي، اى في اتفاقية سالت.

اما ما يتعلق باتفاقيات سالت ١ التي ابرمت في ايار عام ١٩٧٢ اى في عهد الرئيس الجمهوري للولايات المتحدة الامريكية نيكسون فان الامر واضح تماما : ان " الاتفاقية المؤقتة حول بعض الاجراءات في ميدان الحد من الاسلحةالاستراتيجية الهجومية"، التي تتضمن فرض قيود على بناء منصات اطلاق للصواريخ البالستية على الغواصات هي سارية المفعول اساسا لمدة خمسة سنوات فقط. ولكنْ في عام ١٩٧٧ تبادل الطرفان بيانات رسمية حول استمرار سريان مفعول الالتزامات المتفق عليها وهي لا زالت سارية المفعول. والاتحاد السوفييتي على استعداد للتمسك بها في المستقبل ايضا بهذا الشكل.

ومن الطبيعي انه يسرى ايضا مفعول المعاهدة التابعة لاتفاقية سالت ١ حول الحد من النظم المضادة للصواريخ، والتي يطلق

Digitized by Birzeit University Library

عليها باختصار اسم معاهدة ABM وهذه الاتفاقية هي منذ البداية بدون مدة محددة. ومن بين ما تنص عليه الاتفاقية، على انه يجوز لكل طرف من جانبه حماية منطقة واحدة فقط من اراضيه من خلال نظام مضاد للصواريخ ضمن حدود ١٠٠ صاروخ مضاد . وكانت هذه الاتفاقية ولا زالت تعتبر ذات اهمية كبيرة من اجل تخفيف سباق التسلح النووي. اذ انها جمدت في الواقع انتاج وتركيب انظمة اسلحة جديدةمن هذا النوع وباهظة التكاليف الى ادنى مستوى، وادت عن هذا الطريق بدرجة معينة الى عرقلة سرعة تطور الاسلحة الهجومية الاستراتيجية .

ان النظام الضخم المضاد للصواريخ الذي يرعاه" اصحاب حرب النجوم" للبنتاغون، والذي هو في النهاية جزء من مخطط عدواني بالمعنى الكامل، من شأنه ان يحول هذه المعاهدة ذات القيمة الى مجرد قصاصةمن ورق وهذا هو ايضا رأى العديد من الساسة الامريكيين والخبراء العسكريين والعلماء، وكذلك شخصيات اوروبية غربية مشهورة .

وتختلف الامور في اتفاقية سالت ٢ عما هي عليه في اتفاقية سالت ١ . فالوثيقة التي وقعها كل من ليونيد بريجنيف وجيمي كارتر في حزيران عام ١٩٧٩. في جنيف لم تصدق عليهاكما هو معروف الولايات المتحدة ، ولذلك لم يتسنى للالتزامات التي تعهد بها الطرفان ان تصبح سارية المفعول من الناحية القانونية. ومنذ التوقيع على اتفاقية سالت ٢ وضع الامريكيون اضافة الى ذلك انظمة اسلحة جديدة عديدة فيميدان الخدمة. وبذلك اصبحت بعض احكام الاتفاقية، والمتعلقة منها مثلا بالصواريخ المجنحة لاغيـــة. اذ ان البنتاغون كان قد شرع في تلك الاثناء بتجهيز قواته المسلحة الجوية والبحرية والبرية بعدة آلاف من مثل تلك الصواريخ، اى صواريخ كروز وفي نفس الوقت تم في اوروبا الغربيةنصب العديد من صواريخ بيرشنغ ٢ والصواريخ الطوافة ذات الطابع الاستراتيجي، لانهـــا نصبت على مقربة مباشرة من الدول الاشتراكية.

وفضلا عن ذلك تهدد، كما اعلنت صحيفة "انترناشيونال هيرالد تريبيون"، الرحلة البحرية التجريبية للغواصة الذرية المزودة بصواريخ تريدنت، التي جرت في ايلول عام ١٩٨٥، تهدد باختراق" سقف" سالت، ومواصلة ادارة لولب تصعيد التسلح. والسقف الاعلى لاتفاقية سالت ٢ ينص على انه ينبغي الا يكون في مستودعات اسلحة الطرفين اكثر من ٢٤٠٠ من الاسلحة الهجومية الاستراتيجية على ان لا يزيد عدد الاسلحة التي تحمل من بينها عدة رؤوس متفجرة اكثر من ١٣٢٠ صاروخـــا .

وكان من اللازم المحافظة على كل ما هو ذو اهمية ايجابية في اتفاقية سالت ٢ وتطبيقه عمليا، كالقاعدة المذكورة اعلاه التي تضع حدا لتطوير نرسانات الاسلحة. هذا هو رأى الاتحاد السوفييتي ازاء اتفاقية سالت ٢. واذا ما اتخذت واشنطن موقفا مماثلا، فان ذلك سيكون مفيدا للسعي من اجل وقف سباق التسلح وبالتالي ايضا لمجرى المفاوضات بين الاتحادالسوفييتي والولايات المتحدةالامريكية.

واذا ما نظر المرء الى ميدان المفاوضات المتفق عليها يجد ان هناك مجموعة من النقاط التي يمكن ان يستند اليها كل من الاتحاد السوفييتي والولايات المتحدة الامريكية. ولكن خلافا للمفاوضات التي جرت

Digitized by Birzeit University Library

بين الطرفين حتى الان، وهذا ما هو عليه الحال بالنسبة للمفاوضات حول سالت، سكون المفاوضات الجديدة ذات ابعاد متعددة، اى انها ستشتمل على اسلحة الفضاء والاسلحة الاستراتيجية والاسلحة النووية متوسطة المدى بشكل متكامل. والمفتاح الاساسي لتحقيق اى نجاح يكمن في الربط المباشر للمبادين الثلاثة جميعها، ومعالجة هذه القضايا بعلاقاتها المتبادلة مع بعضها البعض.

هل يعتبر التخلص التام من الاسلحة النووية هدفا واقعيا للمفاوضات ؟

ان ما يمكن تقييمه بصورة ايجابية بلا شك ،هو انه لدى اجراء مفاوضات تتعلق بمجموعة متكاملة من المسائل الخاصة بأسلحة الفضاء والاسلحة النووية الاستراتيجية ومتوسطة المدى ،لا يتضح فقط موضوع المفاوضات بل الهدف منها ايضا: فحسب رأى الجانبين يجب ان تؤدى المفاوضات في النهاية شأنها شأن كافة المساعي في مجال الحد من الاسلحة وتقليصها الى الابادة التامة والشاملة للاسلحة النووية.

لقد جعل الاتحاد السوفييتي من الهدف العظيم الرامي لتخليص الكرة الارضية من وسائل الابادة الجماعية النووية منطلقا لسياسته. وقام لهذا الغرض بمبادرات مستمرة وفي العقود الاربعة التي انقضت منذ ذلك الحين كانت الولايات المتحدة الامريكية هي التي ترفض دائما تلك المبادرات السوفييتية وقامت بدلا من ذلك من جديد بانتاج وسائل الابادة الجماعية الذرية وبالتالي تصعيد سباق التسلح النووى بلا هوادة .

وعلى هذا الاساس فانه ليس من المستغرب ان يكون هناك عدد ليس بالقليل من الاصوات المتشائمة في العالم، بسبب موقف واشنطن من مسألة تحقيق هدف المفاوضات. وهذا ما يتأكد اكثر، عندما تنوى الولايات المتحدة الامريكيه خلافا لهدف المفاوضات المتفق عليه المتضمن منع سباق التسلح في الفضاء، التمسك بمشاريعها الخاصه" بحرب النجوم" كما اعلن ذلك على سبيل المثال رئيس البنتاغون فاينبرغر.

وانه لمن المؤكد تماما، فيما يتعلق بعملية تقييم واقعية ،ان يتم النظر الى الامور بموضوعية وان لا يتم في هذا الاطار تجاهل خبرات الماضي ايضا ! ان الوضع الدولي يدعو للشعور بقلق جدى. فلا زال برنامج التسلح الضخم للولايات المتحدة الامريكية الذى لم يعرف له مثيل في التاريخ حتى الان قائما على قدم وساق. وما زالت واشنطن متشبثة بسعيها لتحقيق تفوق عسكرى ولتغيير التوازن العسكرى الاستراتيجي لصالحها، ولا سيما عن طريق برنامج الفضاء.

ولكن قوى السلام التي تخوض النضال ضد سياسة المجابهة وتصعيد التسلح، هي ليست اقل ضعفا ، بل اصبحت اشد قوة. كما يزداد تأثير النظام الاشتراكي وسياسته السلمية الثابتة . وهذا ما انعكس اخيرا وليس آخر في المباشرة بالمفاوضات .

ان جميع اولئك الذين يؤيدون توطيد السلام، وايجاد عالم خال من الاسلحة النووية، يرون في ذلك تشجيعا اكثر من اى وقت مضى لعمل كل ما من شأنه الوصول الى هذا الهدف. وقد تعززت القناعة بانه ليس من الممكن فقط احداث تحول من سباق التسلح الى نزع السلاح، ومن المجابهة الى التعاون، بل بالتالي ايضا القضاء كليا على اسلحة الابادة الجماعية النووية .

Digitized by Birzeit University Library

الفكر الاكاديمي السائد الى اين ؟

بقلم : حسين جميل البرغوثي

في العدد (٦٥) من مجلة الكاتب كتب د. سعيد زيداني ، من جامعة بيرزيت ، مقالا عن "وطنية المؤسسة الاكاديمية" ، وهو من النماذج الجيدة على التفكير الاكاديمي ، وخطورة المقالة تكمن في نمط التفكير السائد فيها ، وفي النتائج التي يصل اليها هذا المنهج في مسألة حساسة جدا عندنا .

منذ البداية لا يقوم د. زيداني بتحديد المؤسسات الاكاديمية التي يقترح مقياسا لوطنيتها . لا بد لنا لتجنب التحليق فوق التاريخ مثل طائر الرخ الخرافي ، من الاشارة الى ان المؤسسات الاكاديمية تنقسم عندنا الى اربعة اقسام تشكل معا جهاز التعليم البرجوازي . اولا ، المدارس التبشيرية الخاصة المرتبطة بتغلغل الفكر والثقافة البرجوازيين مثل الفرندز والفرير ، والتي نشأت في القرن الماضي والحالي مع تغلغل العلاقات الرأسمالية في فلسطين ككل . وثانيا ، مدارس ومعاهد وكالة الغوث التي انشأتها الرأسمالية العالمية لتعليم الذين دمرت هي نفسها قراهم ، وحولتهم الى لاجئين ، فمع تغلغل العلاقات الرأسمالية في النصف الاول من هذا القرن دمرت الرأسمالية الاسرائيلية مئات القرى ، وجردتهم من الملكية ، وتبلورت الرأسمالية الاسرائيلية في دولة مستقلة . وثالثا ، المدارس الحكومية التي توسعت الى حد هائل نسبيا بعد الحاق الضفة الغربية بالاردن حتى سنة ١٩٦٧ ، وكان توسعها — ضمن الركود الاقتصادي — جزءا من توسع جهاز الدولة الاردني والانفاق الحكومي والسوق المحلية وقاعدة الحكم ، أي ضمن سياسة الاستعمار الجديد كما سميت فيما بعد . ورابعا مجموعة من الجامعات والمعاهد والكليات الخاصة (كليات المجتمع ، جامعة بيرزيت والنجاح وبيت لحم الخ) التي نشأت او نمت بعد سنة ١٩٦٧ والالحاق القسري للضفة والقطاع باسرائيل . لقد كان تكون جهاز التعليم البرجوازي هذا ، على حساب التعليم ما قبل الرأسمالي كالكتاتيب الدينية ، جزءا من الالحاق الكلي لفلسطين بالرأسمالية .

Digitized by Birzeit University Library

والان كيف يحدد د . زيداني "وطنية." كل هذا الجهاز ، وغيره ، بشكل عيني وملموس؟ المقياس الذي يقترحه لتحديد وطنية الشيء هو ان هذا الشيء يكون وطنيا عندما : "يعمل على خلق او تقوية او حماية ارتباط الفرد بالفرد داخل الوطن او / وبالوطن ".

هنا ايضا لا يقوم د.زيداني بتحديد المفاهيم التي يستعملها : "فرد" و"وطن". انه يشترط ضمنا ان الفرد والوطن هما مفهومان لا تاريخيان ، متحجران ، ثابتان. بهذه الطريقة يحول التاريخ الفعلي ، الواقعي ، الى كلمات " مجردة". فلنأخذ مدينة غزة مثلا : — مدينة من المخيمات كالشاطئ وجباليا ، والازقة والفقر ، هذا وطن من خلق الرأسمالية التي حولت الفلاحين الى لاجئين — حسب التسمية السائدة — . وبقرب المخيمات منطقة الرمال ،منطقة غنية جدا وبرجوازية. بحر ومخيمات وغنى برجوازي! هذه هي غزة. وملايين الاشجار كالزيتون قطعت لتحول الى فحم للقطارات، وخشب للخنادق اثناء الحرب العالمية الاولى التي تقاسمت بعدها الدول الامبريالية الامبراطورية العثمانية. والان هل " الوطن " بقي هنا نفس الشيء ، نفس" الوطن" وحتى البقعة التي يقيم اللاجئون عليها هل هي " نفس البقعة"؟. وفي كل غزة تنتشر دكاكين تجارية تبيع مصنوعات اسرائيلية وامريكية ويابانية وكورية الخ هل " داخل الوطن" هنا بقي نفس الشيء ، اى "داخل الوطن" ام اصبح" داخل الوطن امتداد لنظام رأسمالي عالمي موجود "داخل" و"خارج" الوطن معا ، اى ان داخله صار شكلا آخر لخارجه ان جاز التعبير ؟ . ان اللغة اللاتاريخية هنا لا تجدى فتيلا الا في الهرب من التاريخ الفعلي الى ضبابيات المنطق الشكلـــي .

واذا حاولنا استنتاج معنى كلمة" وطن" من السياق الكلي للمقال لن نعثر على شيء حقيقي. مثلا يقول د. سعيد " فوطن لا يشعرك بالدفء ليس وطنا" .اى ان الوطن ليس وطنا عندما لا يشعر الفرد بالدفء. هذا يعني انه عندنا " وطن" وليس عندنا "وطن" : ان كنا نشعر بالدفء ففلسطين وطن، وان كنا لا نشعر بالدفء ففلسطين ليست وطنا. وان كان البعض يشعرون بالدفء ، والبعض على العكس، فان فلسطين هي وطن وليست وطنا؛ الوطن له وجود فقط بالنسبة لمن يشعر بالدفء ،ولا وجود له لمن لا يشعر بالدفء. هكذا نصل للخطوة التالية بعد تحويل التاريخ الفعلي، ذهنيا، الى كلمات لا تاريخية : تصبح الكلمات لعبة ذاتية محضة، وبالتالي يمكن اللعب بالتاريخ الفعلي كما نشاء. جزء من هذه اللعبة تغيير معنى الكلمة حسب الحاجة. من هنا يقول د. زيداني " ان وجود الجامعة داخل حدود الوطن يمكنها من ويسهل عليها، القيام بمهامها الاكاديمية والوطنية ".

فلنلاحظ هنا تعبير "حدود الوطن" حيث يعني الوطن منطقة جغرافية ماءلها حدود معينة ،وفي داخل الحدود يوجد جامعات ومدن الخ (كما سنرى لاحقا). هل وجود هذه المنطقة الجغرافية مرهون بالحالة النفسية ؟ طبعا لا ! انها موجودة موضوعيا سواء اشعرنا بالدفء كلنا ، ام لا . الحل الوحيد الذي يسمح بتسمية هذه المنطقة وطنا هو القول بان

Digitized by Birzeit University Library

المنطقة والحدود تشعرانا بالدفء وبالتالي هي وطن، وهذه نتيجة تعني ان الاحتلال الإسرائيلي، مثلا، لا يؤثر على "شعورنا بالدفء"، والا فلا توجد الا منطقة جغرافية محددة ليست وطنا لانها لا تشعرنا بالدفء، اي لا توجد "حدود للوطن" لانه لا يوجد وطن (١).

والان نأتي لمفهوم الحدود نفسه. كانت فلسطين في طوال المرحلة العثمانية جزءا من سوريا الكبرى، ولم تكن هناك اي تأثير من الزمن كانت فيها الحدود الجغرافية والسياسية شيئا واحدا، وبعد انتهاء الحكم التركي وحتى الان كل حدود كانت من خلق الرأسمالية كليا والكلام المجرد عن "حدود الوطن" يخلع بـ "الوطن" وحدوده من التاريخ لكي يعثر على مفاهيمي يفصل "داخل الوطن" عن "خارج الوطن". هذا شرط مركزي لاسقاط الرأسمالية العالمية، ـ وفلسطين مجرد جزء من العالم الرأسمالي ـ من الحساب عند الحديث عن "الفرد" و"الوطن".

يقول د. زيداني بأن الشيء الوطني هو الذي "يعمل على خلق او تقوية اوحماية ارتباط الفرد بالفرد داخل الوطن او/ بالوطن" لا يوجد شيء قام ليس فقط بخلق او تقوية او حماية "ارتباط الفرد بالفرد" بل بخلق الفرد البرجوازي نفسه اكثر من الحاق فلسطين بالرأسمالية. وسائل المواصلات الحديثة من سيارات وباصات الخ قصرت الزمن اللازم لقطع المسافات بين قرية وأخرى، وبين كل القرى والمدن، وبين فلسطين كلها والبلاد الاخرى. عدة ساعات كافية الان للدوران حول فلسطين كلها، ونفس الساعات ان لم يكن أقل كافية للوصول الى اوروبا. كون وسائل المواصلات مستوردة يشترط وجود تجارة مع الخارج. كونها مستوردة من الدول الرأسمالية الصناعية كامريكا واليابان يعني علاقة تجارية مع الدول الصناعية الرأسمالية تحديدا. اى ان الفلاح المنعزل صار يستهلك سيارات وباصات الخ شارك الالاف بل والملايين في صنعها على المستوى العالمي. وكوننا ندفع ثمنها بالمنتوجات الزراعية، مثلا، يعني ان الزراعة صارت زراعة تجارية، بضائعية، ويعني ان كل قرية تقيم علاقة مع العالم الرأسمالي ككل (شاءت ام ابت)، "خارج الوطن وداخل الوطن" ايضا، وبالتالي نمت شبكة تجارية لتسويق البضائع، ونمت طبقة من التجار والموزعين والوكلاء الخ. وباختصار، خلقت علاقات لا حصر لها، جديدة، بين كل "فرد" و"فرد". واختفت علاقات قديمة لا حصر لها ايضا، تم طرد الفلاحين من اراضيهم وتحويلهم، عبر الحرمان من الملكية، الى العمل المأجور، ونشأ رأسماليون يشترون قوة عمل هؤلاء لانهم يملكون الرأسمال ـ مصانع، الات، الخ *. وعملية تجريد الفلاحين هذه الملكية انتهت بتدمير مئات القرى في الاربعينات، ولم تزل عملية التجريد ـ بشكل او بآخر ـ سارية حتى الان. جمع الروابط التي كانت تربط الفلاح بالحمولة والقرية والمدينة وبنمط الحياة القديم كله قلبتها الرأسمالية الى هذا الحد او ذاك، اى غيرت وقلبت ارتباط الجماعة بنفسها فنشأت طبقات جديدة، وحولت العلاقات الى علاقات

* طبعا لم تحول الكل الى عمال مأجورين، وسنرجع في مقال آخر لهذه المسألة ككل

Digitized by Birzeit University Library

بضائعية الى حد كبير . هكذا وبالتدريج صارت العلاقات بين الناس عبر السوق والتجارة والبيع والشراء والمال (ورأس المال الخ) تأخذ شكل علاقات بين البضائع (مهر البنت مثلا صار يصل ارقاما خيالية نعرفها حاليا)، اى بين الاشياء، وهذانفسه انتج الاغتراب المتبادل بين الناس، اى انتج الفرد البرجوازى والفردية البرجوازية. امثلة على ذلك ؟ البرجوازية الصغيرة التي نمت الى حد هائل بعد ١٩٥٠ ، اذن فان" الوطنية" هي تقوية وحماية وخلق العلاقات البرجوازية، حسب تعريف الدكتور، هي خلق وحماية وتقوية العلاقات البضائعية بين الناس، هي خلق وتقوية الفردية والاغتراب ــ شئنا ام ابينا ــ بينهم ، "وعدم الاحساس بالدفء" نتاج طبيعي لهذا، و د .زيداني نفسه يتكلم ولو بمواربة عن الاغتراب في الجامعات. لا يوجد اذن من هو اكثر وطنية من التجار والتجارة والصرافين والمثقفين البرجوازيين ورأس المال المحلي والاجنبي الخ لان كل ممثلي البرجوازية هؤلاء ساهموا ويساهمون في خلق وتقوية وحماية " ارتباط "الفرد بالفرد" عبر تقسيم العمل الدولي والمحلي الخ.

بالتأكيد ان د . زيداني لا يرضى عن "وطنية" من هذا النوع، لان تشريد مئات الالاف، وتدمير مئات القرى، والمخيمات، والصراع الدموى، وفقدان" الاحساس بالدفء" هو نتاج حتمي لعملية التطور الرأسمالي. لا يمكن تحويل الفلاحين الى عمال مأجورين يبيعون قوة عملهم في السوق، بدون سلب وسائل معيشتهم الاخرى ــ الارض اساسا . وهذا ما حدث وما لم يزل يحدث حتى الان ، منذ النصف الثاني من القرن التاسع عشر وحتى هذه اللحظة. تدمير القرى مجرد لحظة عملية التجريد من الملكية هذه، سمرة الاراضي لحظة اخرى، وليس هنا وقت الدخول في التفاصيل. المسألة ليست في ان د . زيداني لا يدرك ذلك، ولا في كونه لا يرفض هذه " الوطنية" ، بل في كونه لا يدرك العلاقة الديالكتيكية ، الفعلية التي تجمع نقيضين في وحدة واحدة، لا يدرك ان التخلص من قطب التناقض السالب هو ايضا ، جدليا ، تخلص من الموجب ، أى لا يمكن التخلص من سلبيات الرأسمالية بدون التخلص من الرأسمالية كرأسمالية. لهذا يضع د .زيداني شرطا اضافيا للتعريف السابق عن الشيء الوطني الذى " يربط الفرد بالفرد". هذا الشرط هو "ان يثير الاعجاب والاستحسان". فالثقافة الوطنية ،مثلا ، "تقوم بمهمة ربط الفرد بالفرد داخل الوطن او / وبالوطن بصورة قوية، وتكون في نفس الوقت مصدر فخر واعتزاز واعجاب القائل او المستمع. هذا كله يفترض ، ايحاءا ان لم يكن صراحة، بأن الوطني، اذا كان رديئا ، يكاد يكون مساويا للاوطني".

هنا يقع د .زيداني في الذاتية التي تكلمنا عنها سابقا. ما هو معيار الاستحسان والاعجاب؟ لا يحدد اى معيار موضوعي بل يترك تحديد المعيار لذاتية القائل او المستمع الخ. تماما كما ترك تحديد وجود او عدم وجود وطن للشعور. والان، في التاريخ وليس خارجه، هل الرأسماليون في الضفة وغيرها "لا يستحسنون" الرأس مال وملكيتهم لوسائل الانتاج ولا يعجبون بها ؟ والمقابل، هل" يستحسن" العمال الرأس مال وملكية الرأسماليين لوسائل الانتاج التي تسحقهم وهل يعجبون بها ؟ . ان معرفة التاريخ تجيب

Digitized by Birzeit University Library

الرأسماليون" يستحسون" الرأسمال، والعمال "لا يستحسونه" كرأس مال! .اذن فان الشيء الوطني الذي " يربط الفرد بالفرد" هو وطني من حيث انه يربط ، ولكنه، من حيث الاستحسان، وطني لطبقة الرأسماليين ولا وطني للطبقة العاملة. اذن فرابطة الاستغلال التي يقوم عليها كل المجتمع الرأسمالي كنظام عالمي هي وطنية ولا وطنية، للرأسمالي حسنة وبالتالي وطنية، وللعامل رديئة وبالتالي لا وطنية !. اذن فما هو وطني هو ابدا لا وطني: والفرار للدانية الطبقية التي، دائما، تستند للقوة من سجن وحبش الخ. وبالتالي فان اضافته لشرط جديد ما هي الا اضافة ذاتية تسهل اللعب بالتاريخ الفعلي. ونترك للقارئ ان يستخرج بقية التناقضات من الفقرة السابقة، لا مجال هنا لمتابعة التفاصيل.

فلنلاحظ هنا ان د. زيداني يحول، في ذهنه، العلاقات الفعلية بين البشر الفعليين الى كلمة مجردة: "ارتباط". بهذا يدفن الطابع الخاص، الملموس، لكل علاقة فعلية، والعلاقات الفعلية التي تفتقر لكل طابع خاص هي " الارتباط". العامل لا يملك والرأسمالي يملك. والاول يبيع قوة عمله للثاني والثاني يشتريها. الاول مستغل (بفتح الغين) والثاني مستغل (بكسر الغين) كون الاول لا يملك وسائل الانتاج كالالات والمصانع الخ ويبيع قوة عمله ويستغل هي العلاقة الملموسة التي تجعل بشرا معينا عاملا مأجورا، وكون الثاني يملك ويشترى قوة عمل العامل ويستغله هو ما يجعل بشرا آخر رأسماليا. ارتباط العامل بالرأسمالي ليس مجرد ارتباط بشر بآخر بل ارتباط عامل مأجور برأسمالي من الممكن، في المنطق الشكلي، دفن علاقة الاستغلال كليا بواسطة تعبير مجرد، عام، شكلي تماما، هو ارتباط بشر بآخر، تتخلص من وجود عمال ورأسماليين وتتحدث عن وجود بشر، تماما كما تتخلص من ارتباط الحراق بالذئاب وتتحدث عن ارتباط الحيوانات معا، بشكل عام. وبما ان كل فرد هو بشر، كما ان كل ذئب حيوان وكل خروف حيوان، فاننا نهمل كونه "فردا" بالقول ان كل بشر هو فرد، ونبدأ في الحديث عن الارتباط بين الفرد والفرد (٢) وابناء الوطن والوطن الخ. كلمات عامة ترتبط معا بشكل عام ونلعب، عبرها، بالتاريخ كله. لا يمكن ضمن هذا المنطق الشكلي الا الانتهاء، كما سنرى، بالحديث عن " لصق" الفرد بالفرد، عن علاقة شكلية خارجية صرف، الاستغلال يصبح "لصقا"، استغلال الذي يملك لمن لا يملك يصبح ارتباطا"، من هنا لا بد من خلق علاقة خيالية، مجردة، بين " ابناء الوطن".

هكذا يقول د.زيداني: " والعلم الوطني هو علمي بقدر ما هو علمك، وان تباين استعدادنا في خدمته، الشيء الوطني ليس ملكا لفرد او حكرا على فئة". هكذا يرتبط كل ابناء الوطن في خدمة العلم (بتحريك اللام) ،والشيء الوطني ملك للجميع، تماما كما يتحد الذئب والخروف في "خدمة الحياة" وان تباين الاستعداد بينهما في خدمتها بحيث ان الخروف سيكون " ساندويشا". التاريخ الفعلي يبرهن العكس: الرأسمالي والعامل " يرتبطان" في علاقة استغلالية ولكن في نفس الوقت" لا يرتبطان " : من طبقتين مختلفتين في المصالح، في العلاقة بوسائل الانتاج، في اسلوب المعيشة ونمطها ومستوى

Digitized by Birzeit University Library

المعيشة واشكال التفكير الخ الخ . ولكن هنا نسأل ما معنى قول الدكتور ان " الشيء ، حين يكون وطنيا ، لا يكون عاملا على التفرقة بين ابناء الوطن، او بين ابناء الوطن والوطن، الشيء الوطني له نزعة " لصق " الناس بعضهم ببعض ، وبقعة الارض التي يحتلونها " ؟.

هذا يعني ان الشيء الوطني يلصق وبالتالي وطني، ويهمل الدكتور زيداني القطب السالب لنفس العلاقة ، اى انه ايضا " يفرق " ولا يلصق، اى لا وطني، اى ان الشيء الوطني هو لا وطني في نفس الوقت ، اى اننا امام كلام فارغ. انه لا يفهم الوطنية كشيء متناقض بل يفهم التناقض كلا وطنية .

وبما ان التناقض لا وطنية يجب اسقاط القطب السالب لكي يصبح بالامكان الحديث ، شكليا ، عن المغناطيس الذى له قطب موجب فقط ، أى شحنة موجبة " بتعبير الدكتور زيداني، موجبة فقط، عن وطنية مجردة يمكن تذويب كل تناقض فعلي فيها. من هنا يمكن عبر المنطق الشكلي تحقيق وحدة خيالية بين "ابناء الوطن ككل" ، وحدة مجردة تصبح حلا سحريا لكل التناقضات الفعلية، ويمكن عبر هذا بالذات الاقرار الفعلي بكل علاقات الاستغلال. في الواقع الفعلي لا يمكن حل التناقضات الفعلية الا بطريقة فعلية : الغاء تقسيم العمل الرأسمالي، الغاء الملكية الخاصة الحديثة، البرجوازية، الغاء الطبقات كلها ومجمل شروط وجودها، الغاء الطبقة العاملة والبرجوازية معا، الغاء التجارة والمال والبضاعة ورأس المال والفرد والفردية البرجوازيين الخ الخ .

هكذا يقر الدكتور زيداني بكل علاقات الاستغلال عبر فلسفة الاستغلال واستغلال الفلسفة، ويقول ما يلي : " ان الجامعة الوطنية لا تحرم، ولايجب ان تحرم، طالبا من الالتحاق بها بسبب من فقره او انتمائه الطبقي او الاجتماعي او السياسي "*.

اذن فان وجود " الجامعة الوطنية " يشترط نقيضه اى " اللاوطنية" : ـ هناك شرطان لكي توجد " الجامعة الوطنية" ،

١) ان يوجد طبقات مختلفة وفقراء وانتماءات طبقية مختلفة الخ. اى يوجد فرق فعلي بين "ابناء الوطن"، فالجامعات ملكية خاصة اى ملكية للبعض، وهذا نفسه هو عدم ملكية البعض الاخر لها، اى ان "ارتباط ابناء الوطن فيما يخص الملكية هو ارتباط للبعض وعدم ارتباط للبعض الاخر، الارتباط هو عدم ارتباط ، "الوطنية "هي " لا وطنية" بحكم التعريف. حماية وتقوية وخلق الارتباط هي حماية وتقوية وخلق "اللاارتباط" . والشرط الثاني هو

٢) ان تقوم بعدم حرمان الطالب من الالتحاق بها. انها كجامعة تستطيع ان تحرم الطالب يمكن ان يحرم كطالب. "ووطنية" الجامعة تكمن بالضبط في انها قادرة على حرمانه ولكنها لا تحرمه، اى انها تعفو عند المقدرة ، وعبر فعل عدم الحرمان، وفعل الحرمان ايضا ،تبرهن انها غنية وقادرة فعلا ، وانه فقير وغير قادر فعلا .

× لنلاحظ ان وجود الفقر والطبقات الخ مثله مثل "الفرد" يعتبر تحصيل حاصل ،مفروغا منه ولا يتطلب اى تفسير ،سنرى فيما بعد كيفي يسقطوجود الطبقات من الحساب وايضا بدون تفسير .

Digitized by Birzeit University Library

ان زوال الطبقات ، زوال الملكية الخاصة ، يعني زوال الجامعة كقادرة وزوال الطالب كمحروم ، يعني زوال كل جمعية خيرية ، وعندنا دزينات منها، لان وجودها يشترط وجود من هو بحاجة لفعل الخير، ووجود وكالة الغوث يشترط وجود من هو بحاجة للمغيث، ولفعل الغوث. وباختصار ستزول الاخلاقيات القائمة كلها بزوال شروط وجودها نفسه، اى ستزول ايضا " الوطنية" والجامعة" الوطنية". هذا لا يعني زوال كل خير وكل وطنية بل زوال الخير والوطنية بهذا الشكل الخاص لهما ، خير المنح والتبرعات والذل والعنصرية، اى الخير الطبقي والوطنية الطبقية. اما الحديث عن " الارتباط" المجرد فلا معنى له .

وبنفس المنطق: الشيء الوطني الذى "يلصق" الفرد بالفرد، كما يفهمه الدكتور زيداني، يشترط وجود الفرد البرجوازى الذى "يلتصق"، اى يشترط عبر فعل " الالتصاق" فرديته، اى يشترط فردية الفرد الاخر الذى "يلتصق" الفرد الاول به، اى يشترط الفردية المتبادلة، اى التنافر المتبادل، اى الصراع بين الفرد والفرد، اى " اللاوطنية" هذه الوطنية التي هي لا وطنية بحكم التعريف ستزول ايضا فلا حاجة لنا بها .

ويواصل الدكتور زيداني تحديده للجامعة الوطنية قائلا : " والجامعة الوطنية لا يمكنها ان ان تكون جامعة خاصة، هي عامةفي صميمها ". ومعنى كلمة خاصة هنا محدد تماما :ـ" ان خصوصية او عمومية الجامعة ليست فقط، وليست بالاساس، مسألة ملكية .

أى ان كون الجامعات عندنا ملكية خاصة فردية (وليس للطبقة البرجوازية ككل أى ملكية للدولة البرجوازية) مجرد صفة ثانوية وليست اساسية. الملكية اذن ثانوية فما هو الاساسي ؟. الاساسي حسب الدكتور زيداني هو كونها " لجميع ابناء الوطن بدون تمييز". جميلة هذه الـ" بدون تمييز"!. هناك فروق طبقية فعلية بين الطلاب "قبل "دخولهم للجامعة ، واثناء وجودهم فيها ، وبعد تخرجهم منها ، وهناك فروق في لحظة تقديمهم لطلبات الالتحاق بها ، اى ان الوطن ككل ليس " لكل ابناء الوطن بدون تمييز". وطنية الجامعة تكمن في كونها هي، من بين بقية خلق الله كمايقال ، لجميع ابناء الوطن بدون تمييز !. وطنيتها اذن تكمن في انها تعامل الطلبة بالتساوى، اى تساوى بين منهم ليسوا متساوين فعلا اى تكمن في لا مساواتها بين الطلبة لان المساواة بين اشياء ليست فعلا متساوية لا مساواة. فنفترض ان الجامعة الخاصة وديموقراطية الى حد لم يسمع به احد في التاريخ، لا يحرم الفقر الفعلي مجموعة من الطلبة من الالتحاق بها فعليا ؟ هل تعطيهم الجامعة الديموقراطية ثمن الكتب والمواصلات والاكل ويوفر المجتمع الطبقي ظروفا لمساواتهم الفعلية، دراسية وعائلية واقتصادية ؟. اذا كان وجود الجامعة الفعلي مرهونا بوضعها الفعلي كملكية خاصة للطبقة المالكة، ووجودهم مرهونا بوضعهم الفعلي اقتصاديا ونفسيا واجتماعيا وسياسيا الخ، فان الوطنية ليست الا محاولة لايجاد توازن حقوقي (على طريقة المحاكمة)بين طبقات مختلفة عبر " الفرص المتساوية مبدئيا، والذى هو ، بحكم التعريف، لا مساواة مبدئيا . سنرى الان كيف يدين الدكتور زيداني نفسه: يقول في العدد (٥٩) من مجلة الكاتب بعنوان : " "الضوابط الاخلاقية والوطنية على البحث

Digitized by Birzeit University Library

العلمي" ما يلي : " الجامعة، شئنا ام ابينا ، مرتبطة بعرى وثيقة بيئية اقتصادية ـ اجتماعية ـ سياسية محيطة . والواحدة تؤثر بالاخرى بقدر ما تتأثر بها . المجتمع حاضر في الجامعة حتى ولو اغلقنا عيوننا لكي لا نراه ".

ان كانت ترتبط ارتباطا وثيقا بالبيئة الإقتصادية" كيف تصبح مسألة الملكية ليست هي المسألة "بالاساس"، وكيف نصبح وطنية الجامعة مرهونة بمساواة الفرص، اى بالحق المجرد وكيف يكون الدكتور زيداني عميقا هنا وشكليا في المقالة الحالية رغم ان الاولى اقدم ؟.

ويواصل الدكتور زيداني تحديده للشيء الوطني فيقول : " ما هو وطني، بكلمات اخرى ،من الضرورى ان تتوفر فيه النزعة الى الجمع والتوحيد والتأكيد على القواسم المشتركة"*. ان التأكيد على القواسم المشتركة ، في نفس الوقت، هو تأكيد على وجود ما ليس مشتركا . فالشيء "الوطني" هو، بحكم تعريفه، ليس "وطنيا" ايضا. مثلا: التحالف الذى كان قائما في اطار منظمة التحرير كان قائما على قواسم مشتركة محددة بين المتحالفين، بين الطبقات المختلفة . القاسم المشترك بين عدة طبقات، في مرحلة التحرر الوطني، ليس الا الشيء المشترك بين المصالح الطبقية الخاصة لكل طبقة على حده. كل مسار الحركة الوطنية كان عبارة عن صيرورة التناقض بين العام، المشترك، والخاص، اللامشترك: العام ليس عاما الا لانه يتناقض مع الخاص : اتشاقق اتحاد النقابات باسم" المصلحة العامة"، تحالف تيارات خاصة في " اطار عام" كمجالس الطلبة والنقابات الخ. حسب تعريف الدكتور، وفقط حسب تعريفه الشكلي، يعتبر التحالف في اطار منظمة التحرير وطني ولا وطنيا في نفس الوقت . هذا تناقض في منطقة ،في تعريفه، لانه يفصل بين العام والخاص بشكل ميكانيكي، وينطلق من عام مجرد، لم يعد اكثر من كلمة فارغة، كأساس لتعريف الوطنيـــــة .

فلنلاحظ هنا بأنه يتجنب ذكر المصالح الطبقية "والنزعات" الطبقية بل يذكر الطائفية والقبلية الخ (٣). وهكذا يصبح بامكانه ـ بالمنطق الشكلي ـ اعتبار الطبقية موقفا ومصلحة فئويتين، اى كل المجتمع الفلسطيني فئويا وبالتالي ليس وطنيا . والتاريخ يصبح لعبة لارادة فرد واحد يضع الوطنية ومقياس الوطنية في يده، ديكتاتورية ذاتية مطلقة . والان ما هي الفئوية؟ . يقول الدكتور بان " الفئوية (فكرا وممارسة) تعني بجزء من ابناء الوطن، او برقعة محدودة منه، بينما الوطنية شيء يخص الوطن ككل " !.

لا تعني الطبقية (فكرا وممارسة) بجزء من ابناء الوطن؟ هل الطبقة العاملة، حتى لا تكون فئوية وبالتالي لا وطنية، يجب ان تكون معنية "بابناء الوطن ككل" بمن فيهم الرأس مال الكبير واصحاب مصانع الزيوت والصابون والسلفانا والسفن أب وسماسرة الاراضي واصحاب الفنادق والتجار الكبار واصحاب شركات الباصات الخ ؟ هل الرأس مال الكبير

× عندما تبقى النزعة مجرد نزعة، اى "ينتج عنها" فعل الجمع والتوحيد، يكون الشيء الوطني محددا على اساس نفسي صرف !.

Digitized by Birzeit University Library

في الضفة وغزة وملاكو الاراضي الكبار، مؤيدو الخيار الاردني وممثلوه الاساسيون، معنيون بابناء الوطن ككل ؟ فليتنزل الدكتور زيداني الى شمال غور الاردن حيث تقيم العائلات في مزرعة دجاج مهجورة وتلف ابناءها بالنابلون المستعمل في الزراعة، وبقل لنا كيف يكون ملاكو الاراضي من نابلس الذين يستغلون هؤلاء معنيين بابناء الوطن ككل !. حتى لو افترضنا بأن الطبقة العاملة بصفتها لا تملك وسائل الانتاج ومستغلة ومستعبدة للرأس مال، اصبحت معنية بالرأس مال كليا وبالرأسماليين، وأصبحت تحرث لهم ليلا ونهارا، الا يعني هذا انها ليست معنية بنفسها هي بالذات، وبالتالي ليست معنية بأبناء الوطن ككل ؟. ـ باختصار، لا توجد ولا طبقة معنية بابناء الوطن ككل، والقاسم المشترك بينها وبين بقية الطبقات لا يمكن ان يوجد الاعبر مصالحها الخاصة كطبقة خاصة. من هنا فان كل موقف طبقي، حسب تعريف الدكتور، هو موقف فئوي، لا وطني، يستحق الادانة!. ولنفترض، رغم ذلك، ان الوطنية هي التأكيد على القواسم المشتركة فقط، عندها نجد ان كل طبقة ستقوم في كل ما عدا ذلك بالتأكيد على مصالحها الخاصة فقط، اي "ستلصق" الفرد بالفرد فيها هي كطبقة خاصة، ضد الطبقات الاخرى. وباختصار، عندما لا يوجد قاسم مشترك ولا حتى نزعة لايجاده، يكون الكل فئويين. وهذا "حجر عثرة في طريق العمل الوطني" على حد تعبيره. وبما ان الثورة الداخلية، ثورة الطبقات المظلومة ضد الظالمة، تصل قمتها عندما لا يوجد اي قاسم مشترك، ولاحتى اي نزعة لايجاده، عندها بالضبط تصل الطبقة الثورية الى قمة "اللاوطنية" المطلقة!. وعندما تنمو الاستهارية اي البحث عن القواسم المشتركة حيث لا يوجد شيء منها، حيث المهمة الفعلية هي اسقاط الطبقة المتعفنة عن رقاب "ابناء الوطن"، عندها تكون الطبقة الثورية" وطنية"، وتكون الطبقة الحاكمة التي تستغل الانتهازية في الطبقات المظلومة ايضا "وطنية" بنفس المقدار! الوطنية عند الدكتور هي الانتهازية !.

فلنلاحظ مدى ما تخفيه اللغة المجردة عن "ابناء الوطن ككل": ان الفرق بين الناس الذين من لحم ودم، بين الناس الفعليين الذين يأكلون ويشربون ويضحكون ويبكون الخ، وبين "ابناء الوطن ككل" هو الفرق بين الصراف وابن الوطن، وبين التاجر وابن الوطن، وبين اصحاب الفنادق وابناء الوطن، وبين اصحاب الجامعات وابناء الوطن، وبين العمال وابناء الوطن، وبين الرأسماليين كلهم وابناء الوطن، وباختصار لا يوجد "ابناء الوطن" في الهواء الطلق كماهية عامة، فوق التاريخ. "ابناء الوطن" المجردين ليسوا موجودين الا في ضبابيات المنطق الشكلي.

ليس عبثا ان الدكتور زيداني يصل، عبر المنطق الشكلي، الى ان هناك استعمالات شائعة وصحيحة مثل: "صناعة وطنية"، "بنك وطني"، "تجارة وطنية، زراعة وطنية، "جيش وطني"، "حرس وطني" الخ. وباختصار، يعتبر الجيش وطنيا لانه يحافظ على الامن العام والحدود العامة وحرية التجارة العامة الخ، ولا ندري لماذا لا تعتبر المراحيض العامة وطنية لانها "لابناء الوطن ككل" على عكس المراحيض الخاصة بفنادق الدرجة الاولى !.

هكذا لكي يكون الشيء وطنيا يجب ان

Digitized by Birzeit University Library

يحمي ويقوى ويخلق ارتباط الصرافين والتجار والعمال والرأسماليين الصناعيين والموظفين واصحاب الفنادق الخ مع بعضهم لانهم كلهم " ابناء وطن "، اى في الواقع الملموس ان يخلق ويحمي ويقوى الصراع الطبقي والانقسام الى طبقات ، اى ان يقوى ويحمي ويخلق " "الفئوية" على كل صعيد، اى ان الشيء " "الوطني" لا توجد له الا مهمة واحدة هي : "اللاوطنية" !.

ما ينساه الدكتور زيداني ويسقطه من الحساب هو الاستغلال الطبقي، استغلال الانسان للانسان، وطبقة لاخرى، وامه لاخرى، هو الآم وعواطف واحاسيس ومشاعر المسحوقين . اما اللغة المجردة عن " ابناء الوطن" و " القواسم المشتركة " و" الجيش الوطني " و" و"الوطن" و" الوطنية"، و"الفردو"اللصق"و "الارتباط"و" الشحنة الموجبة" والمؤسسة" الخ الخ . فلا توجد لها الا مهمة واحدة هي خدمة الايديولوجيا البرجوازية، خدمة تبرير العلاقات البشعة الواقعية وفلسفة هذا التبرير !

نصل الان لكيف يعتبر الدكتور زيداني الصناعة " وطنية" كنموذجعلى كل الاشياء " "الوطنية" الاخرى من الزراعة الى " الجيش الوطني". يقول الدكتور زيداني :" ان يكون الشيء محليا لا يعني او ينتج عنه انه وطني. البرجوازية الوطنية، مثلا، هي برجوازية محلية، ولكن البرجوازية المحلية ليست بالضرورة وطنية . حادة هي الشكوى وعالية صرخات الالم من ممارسات البرجوازية المحلية التي تتهم احيانا باللاوطنية".

في البداية نلفت النظر الى كون الدكتور زيداني يسمع "صرخات الالم" و" الشكوى" الحادة من ممارسات البرجوازية، اى يسمع صوت الصراع الطبقي ان جاز التعبير . وبعدها لا يقوم الدكتور زيداني بتحديد العلاقة بين " المحلي"و" الوطني" ويكتفي بنفي ان المفهومين متطابقان. ويتهرب من التحديد والتهرب من مميزات المقالة كلها ، بالقفز الى مثل محدد هو : " وكذا بالنسبة للصناعة المحلية : ان يكون المصنع مستوردا ، مدارا وممولا من الخارج، ومرتد الريع الى عناصر خارجية ينفي عنه لقب الوطنية ".

اذا كان المصنع مستوردا من الخارج، وممولا ومدارا من الخارج ، ومرتد الريع ـ ولا يحدد هنا مفهومه للريع ، وبدل الكلام عن رأسماليين يتكلم عن " عناصر" ـ الى عناصر خارجية، فانه حالة من حالات تصدير رأس المال، اى تدويل رأس المال، اى استيراد رأس المال بالنسبة للضفة وغزة وتصدير رأس المال بالنسبة للدولة المصدرة . ولا مصنع واحد تنطبق عليه هذه الحالة في الضفة والقطاع ، اما في الداخل فان الحالة ليست موجودة في الصناعة الفلسطينية، وفي الصناعة الاسرائيلية كونه ليس " وطنيا" تحصيل حاصل. بالتأكيد ان كون الحالة موجودة ام لا لا يقلل من جوهرية المثل. فلنقلب الان المثل لكي نرى ما الذي يقصده عن العلاقة بين المحلي والوطني .

ان كان المصنع غير مستورد، مدارا وممولا من الداخل اى محليا، ومرتد " الريع" الى جيب الرأسمالي المحلي وصاحب المصنع المحلي، هل هو " وطني" على افتراض وجود مثل هذه الحالة ؟. ان كان الجواب بنعم فان كونه "وطنيا" يعني ان الاستغلال، استغلال الرأسمالي للعامل هنا، محلي صرف ، وبالتالي وطني. هل استغلال "ابن الوطن" ـ

Digitized by Birzeit University Library

العامل ـ من قبل " ابن الوطن" الاخر ـ ـ الرأسمالي ـ معني بابناء الوطن ككل ام بطبقة واحدة فقط هي طبقة الرأسماليين لمحليين ؟ طبعا بطبقة واحدة تستغل الاخرى ، اذن ليس المصنع معنيا "بابناء الوطن ككل" ،اذن ليس" وطنيا" ، حسب تعريف الدكتور زيداني نفسه. اذن " الصناعة الوطنية" ليست وطنية، اى ان الوطنية تشترط نقيضها : الاستقلال ، اى اللاوطنية. واذا كان الجواب بلا، فان المثل الذى يورده لا يفسد شيئا الا كونه يتهرب من تفسير ما يتكلم عنه لماذا وكيف اذن يصل الى ان تعبير " صناعةوطنية" ثائلا" وصحيحا" في نفس الوقت، ويعتبره "ثائلا وسليما"؟. وما هي الحاجة اصلا لايراد هذا المثل ان لم تكن ليست اكثر من ايحاء بالتماسك المنطقـــي ؟.

واخيرا ، لقد رأينا اللغة اللاتاريخية وهي تحلق فوق التاريخ، وهي لغة من مفردات سيئة مثل " فرد"، "وطن"، "عناصر" ، "لحق"، نزعة "، شحنة" الخ. واداة الربط بين هذه المفردات هي المنطق الشكلي الذى يختفي خلف تماسكه الشكلي تفككا في المحتوى نفسه. هذا المنطق ينتقي من التاريخ بعض الحقائق ويترك ما تبقى من التاريخ كلبا ، وهذه الحقائق القليلة المنتقاة لا ينظر اليها في صيرورتها وعلاقاتها الفعلية بل في عزلتها وجمودها فتفقد ما تبقى من ماهيتها . وبالتالي فان منهج التعامل مع هذه الحقائق يكشف عن حقيقة منطقة وليس عن منطق حقائقه. وينفتح الطريق امام الذاتية من مشاعر واحاسيس ومزاجيات الخ لكي تربط الحقائق كما يحلو لها ، وفي نفس الوقت تعطي الانطباع بالتماسك الموضوعي وبالموضوعية، بأن منطقها هو منطق الحقائق الموضوعية نفسها . والنتائج التي تتوصل اليها هذه المنهاجية ـ مهما كانت مشوهة ـ هي نتائج خطرة جدا وتطبق في الممارسات العملية بحيث تخدم البرجوازية بأفضل شكل ممكن وتخدم صاحبها ايضا . وعندنا دزينات من مثل هذه المنهجية . يكفي هنا ان اشير الى محاضرة لدكتور في التاريخ في جامعة بيرزيت يعرف التاريخ بأنه " مجموعة من الوقائع قابلة للتفسير باشكال مختلفة" أى قابلة للتلاعب بها باشكال مختلفة. هذا المنهج واشكاله ينقل الى عقول الطلاب حتى يتحول الاولاد ـ بوعي او بغير وعي ـ الى خدم للبرجوازية، وهذا ايضا جزء من الصراع الطبقي !.

الهوامش

١) قد يقول قائل بان قضية " الدف" "كلها مجرد ايحاء مجازى. لكن الايحاء بالذات يسمح للمنطق الذاتي بالخروج عن اطروحاته متى شاء والرجوع اليها متى شاء. لكن لا مجال هنا لتحليل الايحائية والمجازية وغيرهـــا .

٢) كل بشر هو فرد كالقول كل حيوان ذئب ، كل فرد هو بشر كالقول كل ذئب حيوان. هذه الخدعة تتخلص من مهمة تفسير تطور الذئب ، ومن مهمة تفسير تطور الفرد. وتطور الفرد اعقد الى حد كبير من تطور الذئاب الخ .

٣) بالمناسبة ليس الحديث عن الطبقات بالضرورة شوعية. ماركس لم يكن اول من تحدث عنها وليس من اكتشفها . حتى افلاطون المشهور بلا واقعيته يتحدث عن الطبقات في " الجمهورية ".

Digitized by Birzeit University Library

الموقف السوفيتي من القضية الفلسطينية

بقلم : رشا ـ كييف ـ الاتحاد السوفييتي

تكثر هذه الايام الاحاديث عن قرب عودة العلاقات السوفياتية ـ الاسرائيلية وعن تغيير في الموقف السوفياتي تجاه القضية الفلسطينية ،وهي ليست صدفة ان تكون مصادر هذه الاشاعات المغرضة اما من وسائل الاعلام الاسرائيلية او الرجعية العربية ومنها الفلسطينية، فهي تحاول في هذه الفترة بالذات ان تجعل من الموقف السوفياتي غطاء لتحركها الاستسلامي ولمسلسل التنازلات المتتالية المقدمة مجانا لاعداء شعبنا وقد سبق وان أوضحت الكاتب في عددها الـ ٦٥ الموقف السوفياتي المؤيد لنضالات شعبنا وذلك من خلال نشر مقابلة رئيس قسم الاعلام الدولي في اللجنة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي ليونيد زمياتن وذلك ردا على المحاولات الامريكية والاسرائيلية الهادفة الى التشكيك بصداقة الاتحاد السوفياتي مع شعبنا .

في هذا المقال اود ان اوضح مبدئية وثبات موقف القيادة السوفياتية من القضية الفلسطينية منذ نشأتها وليومنا هذا وذلك استنادا الى المؤتمر الصحفي " للجنة السوفياتية المعادية للصهيونية" المنعقد بتاريخ ٦ حزيران ١٩٨٣ وغيرها من المقالات لاعضاء اللجنة المذكورة اعلاه المنشورة في الكتاب الجديد الصادر عن دار التقدم بعنوان "الصهيونية عدو السلام والتطور الاجتماعي ".

في بداية المؤتمر يوضح الجنرال دراغونسكي (١) رئيس اللجنة سبب تشكيلها قائلا " منذ بداية هذا القرن اكد لينين ضرورة النضال ضد الصهيونية وواصل الشعب السوفياتي السير على خطى لينين معتبرا الصهيونية حركة ايديولوجية رجعية تستند الى التوسع الاستيطاني والتمييز العنصري والشوفينية القومية. ان العام الماضي قد اكد وبالممارسة العملية ان الصهيونية هي وريثة الايديولوجية الفاشية الهتلرية الممسوخة . كما ان الاحداث الاخيرة في لبنان قد اكدت للعالم اجمع بأن الجرائم المرتكبة بحق الشعبين الفلسطيني واللبناني لا تختلف عن

Digitized by Birzeit University Library

جرائم هتلر بحق شعوب العالم . كل هذا قد ومنا نحن ممثلي الشعب السوفياتي امام مؤتمرنا وذلك بتشديد النضال ضد الصهيونية العالمية بشكل اكثر تنظيما "(٢).

ومن ضمن الاسئلة التي وجهت للجنة ما يلي :

سؤال مراسل وكاله الكابل نيوز الامريكية

"الدوله اسرائيل حق في الوجود واي دولة تمارس ممارسات مشابهه للنازية لا تملك هذا الحق. هل لحضكم ستطالب من الحكومة السوفياتيه تغيير مواقفها باتجاه دولة اسرائيل ؟ام هل انكم ستطالبون بدعم تلك العناصر في العالم العربي والتي تؤمن بالقضاء على اسرائيـــل ؟.

فيجيب البروفسور زيفس Zivs "نائب رئيس اللجنة ". منذ تأسيس دولة اسرائيل، وضح اندريه غروميكو، رئيس الوفد السوفياتي في الامم المتحدة آنذاك، ومن على منبر المنظمة الدولية، الموقف الرسمي للحكومة السوفياتية. واوضحها مرة اخرى قبل فترة وجيزة، في مؤتمره الصحفي في هذه القاعة. ان وجهه نظرنا لم تتغير .

وهي،نعم لاسرائيل حق في الوجود،ولكننا هنا نتكلم عن حقيقة موقف القيادة الاسرائيلية وممارساتها ضد الشعوب العربية والتي لا تختلف ابدا عن ممارسات النازية بالاربعينات الا نجد مشابهة بين الاعمال التي مارستها وتمارسها اسرائيل في لبنان وفي الارض المحتلة شبيهة بتلك التي مارستها النازية بحق اليهود ؟ ان لجنة تقصي الحقائق العالمية حول حرب لبنان توصلت لنتيجة ان اعمال اسرائيل لا تختلف ابدا عن ممارسات النازية، نحن لا نتكلم عن ابادة اسرائيل بل عن ردع الفئات الحاكمة وعن وقف ممارساتها الاجرامية والتي تهدد السلام والامن بالشرق الاوســط "(٣).

مراسل وكاله نوفستي السوفياتيه ." هل المواقف الصهيونية تؤثر على السياسة الخارجية لاسرائيـــل ؟

يجيب الدكتور بلياييف سكرتير اللجنة :ـ ـ" بدون ادنى شك بالحقيقة انها ليس فقط تؤثـر على السياسة بل عمليا ترسمهـــا .واود ان اذكركم ان اسرائيل قد وجدت منذ ٣٧ عاما وبهذه الفترة البسيطة خاضت ٦ حروب هدا هدف صهيوني اضافة الى احد الاهداف الاساسية الا وهو بناء اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات وهذه الاهداف هي التي تحدد سياسة اسرائيل ان كان ذلك في الارض المحتلة او مع جيرانها العرب. النظرية بدأت تدور حول وطن لليهود كان موجودا منذ عصور عديدة وتحاول الصهيونية الان اعادة بناء هذه النظرية،يتحدث ايضا عن " الحق التاريخي لليهود" والتي بموجبها اعتبر بعض الضفة الغربية وقطاع غزة مناطق محررة وتم التنكر لحقوق شعب بأكمله كل هذا له هدف واحد وهو ضم الضفة والقطاع وتشريد الجزء الباقي من الشعب الفلسطيني خارج ارضه" (٤)

اما مراسل صحيفه الوطن الكويتية سأل :

" ما هوموقفكم من نضال الشعب العربي الفلسطيني بقيادة م.ت.ف. والرامي الى تأسيس دوله فلسطينيه. والسؤال الثاني "كيف تنظرون الى ما يسمى بمشروع ريغان للســـلام ؟.

فيجيب الدكتور بلياييف : "أرى لا داعي لاعادة ما قيل في السؤال السابق، الاتحاد السوفياتي دائما كان يناصر وسيناصر النضال العادل للشعب الفلسطيني هذا النضال الرامي

Digitized by Birzeit University Library

لبناء دولتهم العربية الفلسطينية نحن نؤمن بأن قرار التقسيم الصادر في هيئة الامم المتحدة بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩. يضمن الحل الصحيح لانشاء هذه الدولة، هذا القرار الداعي الى تقسيم فلسطين في ذلك الوقت دولتين (عربية ويهودية). الدولة اليهودية انشأت بتاريخ ١٩٤٨/٥/١٤ ،اما الدولة الفلسطينية فلم تخلق. ان ذلك لا يعني ابدا ان الشعب العربي الفلسطيني فقد حقه في انشاء دولته. نحن نمتلك علاقات وطيدة جدا مع الحركة الوطنية الفلسطينية وممثلها م.ت.ف. موقفنا المبدئي والثابت والموجود فيوثائق الحزب والدولة الرسمية لم ولن يتغير، فنحن نعتبر م.ت.ف. الممثل الشرعي والوحيد للشعب الفلسطيني. وبالنسبة للسؤال الثاني فان مبادرة ريغان تنص على نوع من ربط الضفة الغربية بالاردن ولكن المشروع هذا لايفسر نوع هذه العلاقة، كما وأن القضية الفلسطينية والتي تشكل صلب الصراع في مشكلة الشرق الاوسط مغيبة كليا في هذه المبادرة . هذا من ناحية ومن ناحية ثانية فان المبادرة قدمت في شهر سبتمبر عام ١٩٨٢ اى والغزو الاسرائيل مستمر للبنان. هذه المبادرة كانت تهدف الى ابعاد انظار العالم عن مجازر اسرائيل في لبنان وعن الدعم والتعاون اللامحدود من قبل الولايات المتحدة لاسرائيل من اجل الاسراع في تنفيذ مخططها التوسعـــي "(٥).

وفي لقاء اخر مع الصحفيين بتاريخ ٨٤/١/١٩ يجيب البروفسور زيفس Zivs حول الموقف السوفياتي في الوضع القائم بلبنان بعد الاحتلال فيجيب : " تحاول اسرائيل وحليفتها الولايات المتحدة الان تبرير غزوها للبنان. بابعاد اصبع الاتهام عنها حول الجرائم المرتكبة بحق شعبه، فالكتب والوثائق التي بين ايدينا الان ونضعها امامكم تؤكد لكم بطلان هذا الكلام فالعالم كله سيكتشف الحقيقة، فممارسات اسرائيل في لبنان بحق الشعبين الفلسطيني واللبناني خلال غزوها له تؤكد صحة كلامنا فابتداء من مذبحة صبرا وشاتيلا والتي ذهب ضحيتها الاف الابرياء مرورا باستعمال الاسلحة المحرمة دوليا وانتهاء بمعسكر انصار النازى ستبقى دائما مغروزة في ذاكرة الشعوب كاحدى افظع الجرائم البشرية" (٦)

وفي سؤال لمراسل وكالة تاس :
هل ممكن لسياسة العنجهية الاسرائيلية ان تساعد في ايجاد حل للمشكلة الفلسطينية؟

فيجيب الدكتور بلياييف :" هناك حل وحيد للمشكلة الفلسطينية هذا الحل يجب ان يستند الى قرار هيئة الامم المتحدة بتاريخ ١٩٤٧/١١/٢٩ والذى يدعو الى انشاء دولة عربية فلسطينية الى جانب دولة اسرائيل وليس صدفة ان تكون الدولة الفلسطينية قد وضعت في بداية نص الاتفاق .هذا يعني بأن الحقوق الشرعية للشعب الفلسطيني لما فيه حقه في تقرير المصير واقامة دولته المستقلة يجب ان تنفذ جنبا الى جنب مع وجود دولة اسرائيل" (٧)

ان هذه الامثلة التي اوردتها لكم لهي جزء من السياسة السوفياتية الثابتة وذلك لان اعضاء اللجنة هذه هم من كبار الدولة السوفياتية ويشغلون مواقع حساسة في الحزب

Digitized by Birzeit University Library

والحكومة ولذلك فوجهة نظرهم تمثل مواقف الشعب السوفياتي ١٠

ان الموقف الماركسي – اللينيني من نضال الشعوب الطامحة للتحرر الوطني والمعادية للاستعمار والاحتلال الاجنبي لهو موقف قديم منذ نشوء النظرية الماركسية

فالمبدأ الماركسي يناضل وبشدة ضد الشوفينية القومية والاضطهاد القومي والتمييز العنصري وقد حدد لينين في مؤلفاته اكثر من مرة رفضه لمبدأ التكتلات القومية وبالتالي رفضه للنظرية الصهيونية داعيا يهود العالم وباقي الشعوب النضال ضدها ودحرها كونها تشكل ايديولوجية شوفينية للبرجوازية اليهودية، هذه النظرية التي تطالب بالغاء الصراع الطبقي وتدعو للمساواة الطبقية بين يهود العالم كما جاء في مقال جابوتنسكي (احد مؤسسي الحركة الصهيونية) :" بما ان عملية بناء الدولة اليهودية لا تزال مستمرة الرأسمالي بالنسبة لنا هو ليس برأسمالي والعامل عندنا هو ليس بعامل فكلاهما بالنسبة لنا هم طاقة وجزء في الدولة اليهودية الفتية، فجميع اشكال الصراع الطبقي في صفوف شعبنا اليهودي يجب ان تزول "(٨) ان هذه المقولة هي جزء من النظرية الصهيونية والتي تنفي الصراع الطبقي في صفوف اليهود والتي تطالب بجعل كل اليهود اخوة ومهمتهم هي بناء الدولة اليهودية الموعودة واخراج الغرباء منها، ففي مكان آخر يقول جابوتنسكي " بالمستقبل فلسطين ستتحول الى مختبر والذي به سيتم اكتشاف ادوية خاصة للقضاء على البشريـــة ".(٩)

وقد رفض لينين ومن قبله ماركس المبدأ الصهيوني الداعي لبلورة قومية يهودية وبناء دولتها على انقاض شعب آخر، فقد كتب ماركس في كتابه حول المسألة اليهودية : " ان مسألة ايجاد وطن قومي لليهود هي نظرة غير علمية لان الفرق بين الرأسمالي اليهودي والعامل اليهودي هو فرق كبير كالفرق بين الغني والفقير في اي دولة برجوازية ولذلك

فالسلام الطبقي والذي تنادي به النظرية الصهيونية يهدف الى تسخير كل طاقات اليهود من اجل بناء الدولة اليهودية الموعودة من النيل الى الفرات ودعى ماركس في كتابه العمال اليهود في بلدان اوروبا الى الانخراط في صفوف الطبقة العاملة في تلك البلدان ورفض النظرية الشوفينية الصهيونية. وقد اكد اندريه غروميكو رئيس الدولة السوفياتية ووزير الخارجية سابقا الموقف المبدئي السوفييتي عندما سئل في المؤتمر الصحفي الذي عقده قبل عامين عن سبب الاعتراف السوفياتي باسرائيل عام ٤٨ فأجاب :" ان الاعتراف السوفييتي باسرائيل كان اعترافا بقرار الامم المتحدة الصادر بـ ١٩٤٧/١١/٢٩ وهذا القرار يدعو الى اقامة دولتين يهودية وعربية وانهاء الاستعمار البريطاني ووقف الهجرة اليهودية لفلسطين وهو الحل الافضل لمشكلة فلسطين ونحن اعترفنا باسرائيل لتكون دولة يهودية مسالمة تطمح للتطور الاقتصادي والاجتماعي".

وقد حددت القيادة السوفياتية سياستها الثابتة من الصراع في الشرق الاوسط اكثر من مرة ومن ضمنها مشروع الرئيس السوفياتي السابق بريجنيف وبرنامج الـ ٦ نقاط الصادر في آب ١٩٨٤ الذي نص على : ".. يجب ان تعاد للعرب كافة الاراضي التي تحتلها اسرائيل منذ عام ١٩٦٧٠٠٠٠

يجب ان يضمن عمليا للشعب الفلسطيني

Digitized by Birzeit University Library

الذى تعتبر م.ت.ف. ممثله الشرعي الوحيد ،الحق الراسخ في تقرير مصيره واقامة دولته المستقلة على الاراضي الفلسطينية التي ستحرر من الاحتلال الاسرائيلي – الضفة الغربية وقطاع غزة .....

ويجب ان تتاح للاجئين الفلسطينيين الامكانية التي نصت عليها قرارات الامم المتحدة في العودة الى ديارهم او الحصول على تعويض لازم عن الممتلكات التي تركوها.

يجب ان يعاد الى العرب وان يصبح جزءا راسخا من الدولة الفلسطينية القسم الشرقي من القـــدس ..." (١١).

ان محاولات التشكيك في صداقة السوفييت لشعبنا هي محاولات باطلة ليس لها اى اساس والتي كان من ضمنها الترحيب المصطنع لرئيس الوزراء الاسرائيلي بيريس بانتخاب شفيردنادزى وزيرا للخارجية مدعيا بأنه عندما كا بجورجيا كان صديقا لليهود وساعد في مسألة الهجرة اليهودية لاسرائيل، ان هذا التصريح والذى يهدف الى زرع اليأس في صفوف شعبنا وتشكيكه بحليفه

الاستراتيجي، قد اجاب الاتحاد السوفييتي على ذلك وعلى لسان وزير خارجيته نفسه شفيردنادزه في خطابه بالامم المتحدة بتاريخ ١٩٨٥/٩/٢٣ بالذكرى الاربعين لتأسيس الامم المتحدة محددا موقف بلاده النابت والمبدئي من القضية الفلسطينية فقال "ان الاتحاد السوفييتي يدعم وبشدة النضال العادل للشعوب العربية والشعب الفلسطيني خاصة الهادفة الى انتزاع حقوقه وبناء دولتهم المستقلة. ان حل المشكلة الفلسطينية ممكن ان يتم من خلال مؤتمر دولي تشارك فيه كل الاطراف المعنية بما فيها م.ت.ف. اسرائيل، امريكا، الاتحاد السوفييتي. ان كل ذلك يحتم علينا الاطمئنان من موقف حليفنا الامين ويؤكد لنا ان الاتحاد السوفييتي لن يعيد علاقته باسرائيل ما دامت تحتل الاراضي العربية ومتنكرة لحقوق شعبنا والتي لن ترد لنا هباءا من اسرائيل او امريكا او الملك حسين ،ان حقوقنا تنتزع انتزاعا برص صفوفنا وتشديد النضال واعادة اللحمة الى م.ت.ف. على قاعدة الخط الوطني التقدمي المعادى للامبريالية والصهيونية والرجعية العربية.

الهوامش

١) الجنرال دارغونسكي رئيس اللجنة حائز مرتين على وسام بطل الاتحاد السوفياتي عضو لجنة المراقبة المركزية للحزب الشيوعي السوفياتي.

٢) كتاب الصهيونية عدد السلام والتقدم الاجتماعي ص ٠ (٦).

٣) المصدر نفسه ص (١٣ – ١٤).

٤) المصدر نفسه ص (١٨).

٥) المصدر نفسه ص (١٩).

٦) المصدر نفسه ص (٣٠).

٧) المصدر نفسه ص (٣٣).

٨) جابونتسكي الدولة اليهودية" تل ابيب ١٩٦٧ ص (٤١).

٩) المصدر نفسه ص (٣).

١٠) جريدة البرافدا السوفييتية بتاريخ ١٦ سبتمبر ١٩٨٢.

١١) مجلة الكاتب عدد ٥٣، ايلول ١٩٨٤ من ص ٨٧ – ٩٠.

Digitized by Birzeit University Library

نقد نظرات لاهوتية للنظرية الماركسية ـ اللينينية

منير كريم بدر

لم يعرف تاريخ الفكر الانساني فكراً قاوم الهجمات المتتالية مثلما فعل التيار المادي ، ولم نجد في جميع الأزمان ما يماثله في شق طريقه عبر الماوراثيات والميتافيزيكا والميكانيكا بقوة ثابتة ، حثيثة ومتواصلة مثلما هو التيار المادي ، الذي ترسخ وتطور حتى بلغ ذروته في تيار فكري كفاحي ، يجد تعبيره المعاصر في النظرية الماركسية ـ اللينينية الوريث الشرعي والمعمم الوحيد لأروع ما ابدعه الفكر البشري وفي ميادين الحياة : الاقتصاد ، المجتمع ، السياسة ، الادب ، الفن ، الجمال ، والعلم ... الخ .

فلا غرابة اذن ان نجد الخراب تتوجه من الجميع ، من «اليسار» المتطرف واليمين تطعن الماركسية ـ اللينينة المكافحة .

وتعمل كل الطبقات الرجعية الحاكمة او التي فقدت مواقع الحكم ، في جميع البلدان ، على محاربة النظرية المادية بلا هوادة . وفي البلدان العربية ينخرط الرجعيون من البرجوازيين والاقطاعيين العرب بالاعتماد على الترسانة الفكرية ـ السياسية للبرجوازية في اوربا الغربية والبلدان الراسمالية الاخرى عالية التطور في صفوف القوى الرجعية التي تحارب النظرية الماركسية ـ اللينينية ؛ اما البرجوازيون الصغار القوميون والدينيون فيحاربون بحمية خاصة . وهكذا توجه حزم الخراب الموحدة في اتجاه واحد معاد للنظرية الماركسية ـ اللينينية والشيوعية والسوفيت ـ وحيث يشتد الصراع الطبقي على الصعيد العالمي ، وفي كل بلد بمفرده ، تتزايد الاندفاعات الهمجية والمتخلفة ضد الماركسية ـ اللينينية وضد حملتها .

ولكن هل هناك قوة تستطيع ، بغض النظر عن قوتها ، ان توقف فعل قانون التطور العام السائد في الطبيعة والمجتمع والفكر ؟ وهل يمكن تأبيد الاشياء البالية مثلما يتصورون ؟ هذا ما تجيب عنه الخبرة القريبة لتاريخ البلدان العربية .

لم تشهد البلدان العربية حتى الحرب العالمية الاولى في العراق ، مفاهيم من مثيل «شيوعية» و«اشتراكية»

Digitized by Birzeit University Library

ولم تكن هذه المفاهيم ذات دلالات معينة او محددة عند المواطن العربي ، وكانت الغيبية تغلف تماماً عقول الغالبية الساحقة من السكان وتقذف بها في مهاوي الجهل والتخلف . ومع ابتداء النهب الاستعماري للبلدان العربية والذي لم يكن ممكناً على الاطلاق بدون بناء الاسس المادية له ، اي بدون إحداث التغييرات في البنية الاقتصادية ـ الاجتماعية آنذاك ، وحيث جرى بالتدريج ولكن بدأب وتواصل تقديم الحضارة الاوربية الغربية كنموذج للتحضر في عالم متخلف وموحش كما يتصورها المستعمرون ، يهتز الوعي الاجتماعي من الأعماق ، ومع الاضاءات التي عملت على تمزيق ضبابية الغيبية واللاهوتية المغلفة للعقل يظهر التيار العلماني الى الوجود ، تيار حركة النهضة العربية ، الضعيف ولكن التقدمي . انه تيار محارب ولكن بتردد وتحفظ ، يسبب ضعف القوة الاقتصادية المادية لحامليه ، وعمق تجذر الوعي الغيبي وهيمنته المطلقة على الوعي الاجتماعي . ورغم كل ضعفه وتردده اعلن عن انتصاره في انبعاث حركة الاصلاح الديني ، ودفع هذه الاخيرة نحو قبول حق العلم في الوجود ؛ هذا الذي وجد تعبيراته في دعوة المصلحين الدينيين لتعميم العلم ونشر المدارس . . . والخ .

وكان لهذا التفاعل ، والصراع نتائجه ، وأهمها وابرزها ظهور الميول والاتجاهات نحو التساوم مع العلم ؛ أي ايجاد جسر بين الغيبية والعلم ، لتكييف وتحسين ، بعض الاسس الايديولوجية للغيبية وزعزعة مواقع نمط التفكير اللاهوتي حتى بصدد «الاشتراكية» .

وعلى اية حال فهل تناول هذا «التحديث» و«التكييف» المساوم جوهر النظرات والاسس والافكار للايديولوجيا الغيبية المتوارثة ؟ وهل ساعد ذلك على تخفيف حدة الصراع ضد النظرية الماركسية ـ اللينينية ، والى اية ناحية منها توجه حراب العدو الشرس والمتخلف ؟ . . . كل ذلك يطرح نفسه بقوة واحدة متزايدة امام حملة لواء الماركسية ـ اللينينية المحاربة كموضوع للتنوير .

ـ ١ ـ
عملية الماركسية ـ اللينينية
ومعاداة النزعة الغيبية للعلم . .

ان مراحل سيرورة تطور شكل الوعي الديني ذات اهمية حاسمة في معرفة علاقته بالعلم . فبمقدار تجريد المحسوس ، الملموس ، الواقعي في حسي ، غيبي ، ماوراثي ، بنفس المقدار يتعمق تغيب السببية ويتحدد بدقة محتوى نمط التفكير اللاهوتي ؟ بمعنى آخر يتحدد محتوى هذا المنهج في كونه يعيد ويمحور ويركز ويكوّر . . . والخ اسباب الظواهر والعمليات والاشياء في ما وراثي ، غيبي الذي هو «المطلق» وتتغيب وفقاً لذلك ، العلاقة المتبادلة التأثير بينها . ونتيجةً لذلك تفقد مقولة العلم محتواها وتوصد الابواب دون نمط التفكير العلمي وحقه في الوجود . ولهذا السبب هبّ مفكرو البرجوازية في مرحلتها التقدمية للكفاح الدامي ضد نمط التفكير اللاهوتي ، والسكولائي (المدرسي) ، و«التأملي» كما اشار فوير باخ . ذلك لان نقطة التعارض الجوهرية تكمن في ان نمط التفكير العلمي لا يعيد السببية الى قوه ماوراثية ، غيبية ، مطلقة ، وانما يعيدها الى اصلها الملموس ، الواقعي .

فالعلم ونمط التفكير العلمي يبحث عن جوهر ، اصل ، مراحل واتجاهات وميول التطور ، مأخوذة في

Digitized by Birzeit University Library

تاريخها ، للظواهر والعمليات والاشياء في الطبيعة والمجتمع والفكر . كما انه ، وان عمد للتجريد ، فانه لا يجيز عدم التوحيد ، في ممارسته الواقعية ، كما لايلغي علاقات التأثير المتبادل فيما بينها ، واستخلاص النتائج منها وتحديد طبيعتها .

وهكذا فان العلم ونمط التفكير العلمي يعكس جوهر ومحتوى النظرية الماركسية ـ اللينينية ، اي الديالكتيك المادي ـ ولهذا السبب اشار لينين الى ان العلماء يتجهون نحو الديالكتيك المادي بصورة لا مندوحة عنها وان كان ذلك بصورة تدريجية . فرجل العلم بطبيعته ديالكتيكي طالما كان يفكر بصورة علمية .

وحيث يتطابق نمط التفكير الديالكتيكي المادي مع نمط التفكير العلمي تطابقاً تاماً ؛ وحيث يتعارض نمط التفكير اللاهوتي معهما ، فان هذا الاخير يميل للمساومة لايجاد علاقة معينة مع العلم ، ولكنه لا يصل الا على نتيجة واحدة هي تلك التي تكمن في محاولته اضفاء الطابع الصوفي على العلم .

معلوم ان توجيه النار في الصراع الايديولوجي المشتد على الطابع العلمي للماركسية ـ اللينينية ليس فقط لا يثري حتى البسطاء من الناس الواثقين من عقائدهم اللاهوتية والمتمسكين بها بصرامة ، بسبب كذبه الفضوح ، وانما لانه يكشف مباشرة عن الطابع المتناقض بين العلم واللاهوت ؛ ولهذا السبب بالضبط فانهم يتجهون في توجيه النار نحو نواح معينة من الماركسية اللينينية رغبة وجه التحديد الى المادية التاريخية وخصوصاً نحو بعض من موضوعاتها الرئيسية : البنية التحتية والبناء الفوقي ؛ التشكيلات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي مرت بها المجتمعات البشرية عبر تاريخها الصاعد ؛ والطبقات والصراع الطبقي .

اما الاسلوب المتبع لذلك فهو يكمن في تلك المحاولة التي ترمي الى النظر الى الماركسية ـ اللينينية باعتبارها تياراً فكرياً يبالغ في جانب واحد ، يطلق العامل «الاقتصادي» في تحليله للظواهر والعمليات الاجتماعية ! او في بعض الاحيان يحاولون تضييق الماركسية ـ اللينينية الرحبة ليدخلوها عنوة في مفهوم «النزعة الاقتصادية» ، التي انتقدته الماركسية بشدة ؛ إذ انهم يرون : «ان تبعية العلوم الطبيعية لتطور القوى المنتجة ، بوصفه المصدر الذي يزود العلم بادوات البحث الضرورية له : هي في الواقع علاقة مقلوبة ، وذلك ان العلوم الطبيعية ، وان كانت تنمو وتتكامل طبقاً لما تظفر به من ادوات للتجربة والاختبار ، من مراقب ومجاهر وآلات تسجيل وما اليها . . . ولكن هذه الادوات نفسها ، ليست الا نتاجاً للعلم بين يدي العلماء ، لجيش لهم استخدامها في الوصول الى مزيد من النظريات واستكشاف الاسرار المجهولة ، . . . ،ونحن اذا لم نؤمن للحركة العلمية باصالتها وتطورها ، وفقاً لتراكم الافكار وتفاعلها وشروطها السيكولوجية والفكرية الخاصة فسوف لن يجد هذا الكشف العلمي ولا العلم بوجه عام تفسيره في قوى الانتاج والاوضاع الاقتصادية»[٢] . وأيضاً : «. . . ولكننا لا نتحدث عن مدى قدرة المجتمع على الاستفادة من العلوم ، وانما نبحث الحركة العلمية نفسها ، وندرس ما اذا كانت تعبيراً عقلياً عن الحاجة الاجتماعية المتجددة بدورها ، او حركة اصيلة لها شروطها السيكولوجية وتاريخها الخاص»[٣] .

واضحة هنا المحاولة لدحض العلاقة المتبادلة التأثير بين مستوى تطور الوعي العلمي وبنيته التحتية .

---

(٢) جريدة «لواء الصدر» . مقالة «الماركسية والعلم» . الاربعاء ١٠/ ذي القعدة / ١٤٠٤ هـ .

(٣) نفس المصدر .

Digitized by Birzeit University Library

ولكن تحت عبارات «الحركة الاصيلة» و«السيكلوجية» الخاصة يختفي الطابع المثالي الذاتي لهذا الاتجاه، بمعنى آخر ان «العالم يفكر ويخترع» هكذا بكل بساطة، وفي تفكيره يخضع لسيكلوجية خاصة «ذاتية» تدفعه نحو الاكتشاف، والاختراع او الابتكار؛ هذا العالم المفكر معزول عن الواقع، عن المجتمع، وعن الآخرين.. ولما كان هو كذلك فلا «الاقتصاد» ولا «المجتمع» لهما علاقة معينة به.

وعلى اساس من ذلك فان المحاولة «ليدحض» العلاقة الديالكتيكية المادية بين مستوى تطور الوعي العلمي وبنيته التحتية تستند على ايجاد علاقة بين العقل المفكر، بين العالم و«المطلق» الماوراثي. وهذه العلاقة ميتافيزيكية لانها ذات اتجاه واحد من «المطلق» نحو العالم. وهكذا يبرز مجدداً نمط التفكير اللاهوتي.

ولكن كيف نفهم، من جهة أخرى، الماركسية - اللينينية هذه العلاقة بين العلم «والانتاج»، اوعلى وجه الدقة بين مستوى تطور الوعي العلمي وبنيته التحتية في مجتمع معين؟ للاجابة عن هذا السؤال نستعين ببعض الامثلة التي استُخدمت «لدحض» الماركسية - اللينينية. «.. ولنأخذ المثال على ذلك من كشف علمي، قد يبدو الآن تافهاً ولكنه عبر في حينه عن تطور علمي جديد، وهو اختراع النظارات. فحاجة الناس الى النظارات مثلا قديمة، قدم الانسان، ولكن هذه الحاجة المادية بقيت تنتظر دورها، حتى جاء القرن الثالث عشر، فاستطاعت اوروبا ان تأخذ عن المسلمين معلوماتهم عن انعكاس الضوء وانكساره، وبالتالي تمكن العلماء على اساس هذه المعلومات من ان يصنعوا النظارات. فهل كان هذا الحدث العلمي وليد حاجة جديدة، نبعت من الواقع الاقتصادي والمادي للمجتمع؟ أم كان نتيجة لعوامل فكرية استطاعت ان تؤدي الى اختراع النظارات عند وصولها الى درجة معينة من تطورها وتكاملها»[1].

واضح، طبعاً، ان اختيار قضية «النظارات» هو تسطيح للمسألة، وهو مثال مخصص وموجه للحديث مع بسطاء الناس. واذا ما تركنا ذلك فالتحليل ينطوي على اخطاء غير قليلة. أولها هو ان «الحاجة» الى «النظارات» ليست «قديمة، قدم الانسان»، ذلك لان الحاجة هي مهمة تطرحها الممارسة امام العقل لايجاد حل لها واشباعها في فترة محددة، فلكل فترة ولكل مرحلة حاجاتها. ويعود سبب ذلك ان النشاط الانساني لا يطرح مهمة اشباع حاجة معينة امام العقل بينما لم يرتق العقل هو نفسه لمعرفتها، لتحديدها. ونحن لا ندخل مسألة التوقع في الاعتبار لانها دليل مستوى نظري عالٍ، كما ولا ندخل تلك المهمات المطروحة والتي يعجز العقل، حالياً عن حلها - كمرض السرطان مثلاً.

ثم ان هناك تناقضاً ايضاً في هذا التحليل لمسألة «النظارات» - هذا التناقض يكمن بالضبط في «الانتظار». لماذا انتظرت «اوروبا» صنع «النظارات» ولماذا لم يصنعها «المسلمون» رغم انهم اكتشفوا «انعكاس الضوء وانكساره»؟ هذا «الانتظار» له دلالته التي تؤدي بالضبط الى عكس ماهو مطلوب، الى الضد، من ذلك لان «اوروبا» لم تنتظر اكتشاف «انعكاس الضوء وانكساره» وانما لان هذه المسألة ذات علاقة بجانب آخر، بقضية اخرى لم تحل الا في اوروبا وبعد تطور مستوى الوعي الى درجة معينة، الا وهي اكتشاف امراض العيون. باكتشاف امراض العيون المعروفة قصر النظر، والانحراف والخ طرحت مهمة

(٤) نفس المصدر.

Digitized by Birzeit University Library

كيفية علاج حالة فسيولوجية كهذه تصيب العين ، ولم تنتظر هذه الحاجة فترة طويلة حتى وجدت اشباعها بسبب تطور صناعة العدسات . وهكذا فان مسألة «النظارات» في الحقيقة لا تخضع ، كما وانها ليست نتاجاً عقلياً صرفاً ، ذاتياً معزولاً عن الممارسة ، وليست نتاج حالة سيكلوجية لفرد معين بقدر ما هي نتاج لحاجة يمكن بها تعويض العين عن مرض معين . لو لم تكتشف امراض العيون لما امكن على الاطلاق ان تتواجد النظارة .

كل هذا الذي نتحدث به عن ، او بصدد الحاجات واشباعها معروف منذ زمن بعيد من قبل الوعي العادي الذي يعكس ممارسته في اقوال او امثال معروفة بين الشعب كالمثل القائل «الحاجة أم الاختراع» والذي يعبر بفوة بساطته عن آنية الحاجة وبالتالي عن مرحليتها . فالسلاح مثلاً ، مثل حلجة انتصبت امام الانسان ازاء العدوانية ، سواءاً كانت حيوانية او بشرية ، معتبرين الهجوم شكلاً من أشكال الدفاع . الصيد أيضاً فرض هذه الحاجة . الحاجة للقمع ، للارهاب ، للنهب ، للخصوصية المعاصرة تفترض أيضاً هذه الحاجة . هذه الحاجة عبرت عن نفسها بايجاد ادوات ووسائل مختلفة ، تفوق بعضها البعض فاعلية تدميرية . وفي مؤلفه «اصل العائلة والملكية الخاصة والدولة» يحدد ف . انجلس نوعية السلاح بالعلاقة مع مرحلة تطور المجتمع البشري : الوحشية ـ الحجر ـ ؛ البربرية ـ «الحديد» ـ السيف ؛ الحضارة ـ الطلق الناري ؛ اما في العصر الراهن فهو استخدامات الذرة كسلاح تدميري هائل .

هذا الاكتشاف ترافق مع العصر الذي جرى فيه الاكتشاف نفسه ، توافق مع مستوى محدد لتطور التشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية ، والدليل على ذلك انه اكتشف في هذا العصر وليس ذاك . اكتشافه اذن لم يكن محض صدفة افترضتها عملية ذاتية محض ، او حددتها سيكلوجية خاصة عند العالم المعني وانما فرضها تطور مستوى الوعي العلمي وارتقاؤه الى مصاف مرحلته ، فرضها انتصار نمط التفكير العلمي ، الذي انتزعته ضرورات التطور للبرجوازية ذاتها ، على نمط التفكير اللاهوتي السائد في زمن الاقطاعية ، وكنه من حظيرة العلم هو والسكولائية (المدرسية) والميتافيزيقيا وتبنيه للديالكتيك المادي البحت ؛ على الرغم من الطابع الصوفي الذي عراه ف . لينين في مؤلفه «المادية ومذهب النقد التجريبي» .

العزوف عن استخدام الاكتشاف العلمي الهام ـ الذرة ، للاغراض السلمية وبروز الميول لاستخدامها لاغراض العدوان والتدمير للحضارة البشرية مثل حاجة للامبريالية العالمية ، هذه الحاجة تابعة من حقيقة توجه الامبريالية لايقاف حركة الثورة العالمية .

إن احتدام الصراع بين الاشتراكية والرأسمالية بعد الحرب العالمية الثانية كان في اساس الحاجة لمثل هذا السلاح الذي اوجده العلماء وفجروه لاول مرة في هيروشيما وناغازاكي . وعليه فان السلاح النووي لم يكن تعبيراً الهامياً عن تأمل لاهوتي ميتافيزيكي بعيد عن الواقع وعن التطورات الاقتصادية ـ الاجتماعية والسياسية . وطالما ان الامبريالية موجودة على الصعيد العالمي ، وكلما تزايدت واشتدت الصراعات الطبقية على المستوى العالمي وفي كل بلد بمفرده، بنفس المقدار لايتزايد خطر احتمالات اندلاع الحرب فحسب، بل يخطر اختراع وابتكار وسائل وادوات واساليب أعقد وأكثر خطورة على الانسان .

وهكذا اذن يتحدد مستوى تطور الوعي العلمي بالاستناد وبالعلاقة مع التمسك بالعلاقة السببية بين الظواهر والعمليات والاشياء سواء في الطبيعة أو المجتمع أو في الفكر .

Digitized by Birzeit University Library

فمن غير المعقول ، بطبيعة الحال ، القول مثلا بان استعمال الحجر كسلاح ، واستخدام الطلق الناري ، او السلاح النووي انما تم استناداً الى شيء واحد ـ عام : كلاهما نشاط عقلي ذاتي ، يخضع لسيكلوجية معينة . كما وانه من الخطل ان نغفل مستوى تطور الاسلوب الذي ينتج به الناس خيراتهم المادية في الزمن الذي استخدموا الحجر وفي زمننا الحاضر حيث يهدد السلاح النووي حضارة البشرية برمتها بالفناء . فهذه الازمان تختلف جذرياً . ولهذا اكد ماركس انه من الضروري ان لا نرى ماذا يلبس الناس وماذا يأكلون . . وانما من الضروري ان نعرف كيف يحصلون على القماش وكيف يجعلونه صالحاً للبس وكيف يحصلون على الغذاء وبأية طريقة ووسيلة يجعلونه صالحاً للاكل ، . . وباختصار كيف ينتجون خيراتهم المادية . "هذا هو العام ـ الديالكتيكي المادي الذي يكمن في طوري البشرية المتباعدين جداً زمنياً والمختلفين جذرياً من حيث محتواهما وجوهرهما وكل ما يتعلق بهما .

كل هذا قائم على اساس واقعة موضوعية تنطلق كما اشار ماركس وانجلس في مؤلفهما «الايديولوجيا الالمانية ونهاية الفلسفة الكلاسيكية» من العلاقة الضرورية بين فسيولوجية" الجسم والطبيعة : يموت الانسان الذي لايأكل ، لا يشرب ، لايتنفس . والمسألة تكمن بالضبط في الكيفية . هذه الكيفية تتطور . ولكن ما هو اساس تطورها ؟ ـ الممارسة .

وبقدر ما تقود الانسان ممارسته لاكتشاف الاشياء بنفس القدر يتطور وعيه وتتراكم لديه المعارف . تطور الوعي هذا لا يتجلى فقط في التفكير بالشيء المنفرد بذاته ، ولا الوسيلة المفردة بذاتها ، وانما يتجلى بقوة في ايجاد الروابط والعلاقات فيما بينها .

هذه الخاصية للعقل الانساني "وديناميكية الدماغ وقدرة الفكر الاجتماعي على توارث المعرفة الانسانية من جيل الى جيل هامة جداً في الحفاظ على المعرفة وتمنحها خاصية التراكم . وتراكم المعرفة يقود الى زيادة واتساع دور النظرية والممارسة في التعرف على العالم . وهذا ما يدفع الوعي في كثير من الاحيان الى ان يطلق نفسه على حساب الممارسة وبالتالي يبدو العلم وكأنه تأمل ذاتي محض ، تحكمه سيكلوجية خاصة .

ان قدرة العقل على الربط بين الظواهر والعمليات والاشياء تغتني وتتطور باستمرار وتتصاعد بدون توقف . وبمقدار ما تتعقد الظواهر والعمليات ، وبقدر ما تتعقد الوسائل ، يتعقد الربط فيما بينها ويزداد التخصص في حقل العلوم الطبيعية . وقد تختفي ظاهرة «الموسوعية» للانسان الفرد كما وتنفصل الفلسفة عن العلوم الاخرى . وهكذا .

ولكن كل هذا لم يحصل نتيجة التأمل الذاتي فقط ، وانما كان ذلك انعكاساً لتطور المجتمع ككل ومروره بمراحل كان الانتقال من مرحلة الى اخرى مصحوباً على الاغلب بانفجارات اجتماعية هائلة ، ينتقل فيها المجتمع من كيفية محددة لانتاج الخيرات المادية الضرورية لحياته الى كيفية اخرى ارقى .

لنأخذ بعض الامثلة ، على مقولة «الانتظار» . فمن المعلوم انه لا تسعفنا حتى الارقام الفلكية لتعداد عدد المرات التي يسقط فيها التفاح من الشجرة الى الارض . ولكن العلم ، وكذا المجتمع ، بقي ينتظر تلك المرة التي سقطت فيها التفاحة في زمان معين ومكان معين على نيوتن ليكتشف بعدها العلاقة بين سقوط التفاحة والجذب الارضي .

وحتى يعرف الناس والمجتمع والعلم العلاقة في الظاهرة التالية احتاجوا الى الانتظار زمناً طويلاً : في كل مكان على وجه الكرة الارضية اذا سقط جسم على كفة ميزان فان الكفة الثانية ترتفع حتى وان كانت فيها

Digitized by Birzeit University Library

المال اكثر من وزن الجسم الحقيقي . ولم يتمكن انسان الا في زمان معين ومكان معين ان يكتشف هذه العلاقة وهو العلامة آينشتين عندما اثبت القانون في النظرية النسبية التي تنص على ان زيادة سرعة الجسم تؤدي الى زيادة كتلته . واذا ما اصبحت سرعة الجسم بسرعة الضوء اصبحت كتلته ما لا نهاية . وهذا هو السبب في ان اصطدام سيارتين تسيران بسرعتين كبيرتين يؤدي الى تحطيمها اكثر مما لو كانتا تسيران بسرعتين بطيئتين تتزايد بزيادة السرعة ..

وهذا نفسه يمكن ان يقال عن اكتشاف جيمس واط لقوة البخار . وحصل هذا في مكان وزمان معين ؛ وكذلك عن اكتشاف الضغط الجوي ومقداره الكمي من قبل تورشيلي وهكذا والخ .

لماذا هذا «الانتظار» ياترى ؟ لسبب بسيط وموضوعي هو ان مستوى الوعي العلمي لم يكن قد ارتقى الى المستوى الذي يمكن ان يجد الروابط والعلاقات بين هذه الظواهر . وان ذلك لم يتحقق الا بعد ان وجد اساسه المادي الاجتماعي ، الذي ارتقى على اساسه .

قد يعترضنا تساؤل من جانب من يريد المجادلة مع الماركسية ـ اللينينية الا وهو لماذا كان نيوتن ، آنشتين ، وجيمس واط وتورشيلي ، . . على وجه التحديد هم الذين اكتشفوا هذه العلاقات دون غيرهم .

هذا السؤال لا يشكل حجة بيد المثاليين الذاتيين وعلى وجه التحديد اللاهوتيين ، ذلك لان السبب يعود الى الفوارق الفردية بين الناس من جهة ، والى تركز قوة الملاحظة عند المتعمقين وواسعي الاطلاع والمعرفة في مجالات اختصاصهم ، والى مستوى تطور العلم في البلد المعين والبنية الاقتصادية ـ الاجتماعية له ، من جهة اخرى ، وباختصار فان ذلك يعود الى ارتقاء مستوى الوعي للربط بين الظواهر والعمليات . . كما وليس من الممكن أبعاد فعل الصدفة ، باعتبارها ، بمعنى معين ، تعبيراً عن الضرورة في الاكتشاف ، بالارتباط مع ظروف تاريخية محددة ، هو ضرورة ولكن ان يكون من الناس في وقت ومكان محدد قد حقق هذا الاكتشاف هو صدفة .

ان العلاقة المتبادلة التأثير والمترابطة بين العلم والانتاج تمثل وجهاً آخر للمسألة التي تبعث سعتها وعمقها على التشوش ، وبالتالي فانها تسهل ذلك التشويه الساذج للماركسية ـ اللينينية في العصر الراهن على الرغم من وضوحها .

قبل كل شيء مفهوم «الانتاج» ليس هو البنية التحتية ، كما وانه لا يعني «الاقتصاد» ، فهذه المفاهيم في منظومة المفاهيم والمقولات الماركسية ـ اللينينية محددة بدقة صارمة . ومن جهة اخرى فان دخول الانجازات العلمية في حقول الانتاج ، وعلى وجه الدقة ، في العملية الانتاجية يؤثر تأثيراً كبيراً الى درجة انه يزيد الانتاج ، من حيث جانبه الكمي ، وهو ايضاً يطور العملية الانتاجية نفسها ، ويترتب على ذلك نتائج كثيرة هامة بالنسبة للرأسمالي ليست لها صلة بالموضوع .

ولكن في نفس الوقت فان حاجات الانتاج تدفع العلم الى الامام ، كما أشارف . انجلس ، مرات عديدة اقوى واكثر من التأمل النظري الصرف .

هذا مفهوم للجميع ، بطبيعة الحال ، الا ان المسألة تكمن في التالي : هل يلعب العالم الدور المحدّد في هذه العلاقة ؟ ام بالعكس .

لابد من التأكيد قبل كل شيء انه بمقدار ما تتطور البنية التحتية فان الاستقلال النسبي لاشكال الوعي الاجتماعي كالايديولوجيا ، والعلم ، والوعي الديني . . يصبح اكثر بروزاً ووضوحاً . وهذا يساعد بطبيعة

Digitized by Birzeit University Library

الحال على اعتبار احد اشكال الوعي الاجتماعي شيئاً مطلقاً اي «مصدراً» للتطور ، مثلما سنرى مع الوعي الاخلاقي في مجال فهم المجتمع ، ويجري استثمار هذه المسألة بصورة واسعة لتشويه النظرية الماركسية ـ اللينينية . ومن أجل توضيح هذه المسألة لننظر في الواقع الاجتماعي في القرون الوسطى .

ان تطور العلوم في زمن الدولة الاسلامية لا يخفى على احد . وان السبب الرئيسي لذلك يكمن في ان المجتمع انتقل نقلة نوعية ارقى ، من مجتمع بدائي الى مجتمع طبقي . هذا التغيير الثوري في حياة المجتمع حفّز بدوره التقدم العلمي . ونجد في انجازات علمية رائعة .

ولكن التقدم الاجتماعي الذي لابد منه والتغييرات الاقتصادية ـ الاجتماعية التي حصلت في بنية كل بلد منظم الى الدولة الاسلامية ، وعدم استيعاب نمط التفكير اللاهوتي لمثل هذا التطور وما رافق ذلك من قمع وارهاب واضطهاد وللتيارات الثورية في المجتمع والفكر لم يفتت الدولة الاسلامية وحسب وانما أعاق التطور العلمي بشدة ، واغلب الظن ، ان البلدان العربية (ولربما الاسلامية) لازالت لحد الآن تعاني منه . في نفس الوقت ابتدأت اوروبا تستفيد مما راكمه العرب والمسلمون من معرفة علمية ودفعوه الى الامام بسبب من التقدم الاجتماعي الثوري الذي سار بقوة الى الامام . ولا نحسب اننا بحاجة الى اجراء مقارنة بين مستوى تطور العلوم في زمن الاقطاعية وانطلاقتها زمن البرجوازية .

في الحقيقة تبدو هذه المسألة المثارة هنا عن علمية الماركسية ـ اللينينية تحت عنوان «الماركسية والعلم» وكأنها مسألة تبسيطية لا تستحق ان يعار لها الاهتمام . ولكن على العكس فهذه المسألة تتضح اهميتها ونكبر عندما ننظر في امتدادها الى المجتمع والاتجاهات السياسية الحالية التي تتمخض عنها والتي نعيشها في اللحظة الراهنة .

ـ ٢ ـ

ان فهم التاريخ بوصفه تراكماً عرضياً وفوضوياً للأحداث كما إن وصف المجتمع باعتباره كتلة سكانية غير واضحة المعالم تتلاطم فيها صراعات الافراد والكتل السكانية على اساس من مسببات شعورية ، وعادات وتقاليد وايمان لاهوتي ؛ التبريرية اللا علمية الساذجة الارادوية في تفسير احداث التاريخ المتراكمة ، . . ، كل ذلك قد ساد زمناً طويلاً مخيماً على العقل . ويحاول البعض التشبث به حتى اليوم .

ولكن ما ان طُرحت أمام العقل النير ، المتحرر من عبودية النمط اللاهوتي والميكانيكي والميتافيزيكي في التفكير ، مهمة الكشف عن الروابط السببية الموضوعية لهذا الركام من أحداث التاريخ ، حتى وجدت هذه المهمة عمالقتها ، الذين فحصوا بعيون ثاقبة ناقدة التاريخ والاحداث والاوضاع من حولهم واستخلصوا منها وعمموا القوانين الموضوعية التي تحفز وتسبب هذه الاحداث التاريخية والتي تبدو وكأنها نتائج للصدف التاريخية . وهنا لابد من الاشارة الى حملة الشعلة الوضاءة للتيار المادي ـ هاتان الشخصيتان التاريخيتان هما ماركس وانجلس .

فمن المعلوم ان نمط التفكير الجديد لم يكن قد تبلور دفعة واحدة ؛ كما وانه لم يستقر تماماً ، كما اشار الى ذلك انجلز في مؤلفه «انتي دوهرنغ» ، على اساس متين وراسخ وشامل قبل ان يدخل في حيز الاجتماع ، اي

Digitized by Birzeit University Library

قبل المادية التاريخية .

لقد أنهم ماركس وانجلس تحليل الوقائع التاريخية على اساس مادي بعمق وشمولية نادرتين يعترف بهما حتى خصوم الماركسية انفسهم : « ولعل هذه النقطة هي اوضح مثال من بين النقاط التحليلية في الماركسية ، لما حرصت عليه الماركسية ، وأدته ببراعة في تفسير المدلولات الاجتماعية كلها . . »[٦] . ولكن هذه البراعة لم تكن فقط تعبيراً عن خصائص فردية لمفكرين عبالقة كماركس وانجلس وانما هي بالضبط تعود للمنهج المادي الديالكتيكي لفهم العالم والحياة والمجتمع الذي استخدماه . وهنا تكمن عبقريتهما ، ذلك لان هذا المنهج هو الوحيد القادر على استيعاب وفهم وتوقع اتجاهات وميول التطور ، باختصار جميع ما يمليه القانون العام للتطور في الطبيعة والمجتمع والفكر .

ولا نحسب اننا بحاجة مرة أخرى للتأكيد على ان هذا المنهج مثلما شق طريقه وفرض نفسه في مجالات العلوم ، رغم محاولات جعل العلم صوفياً أو تلك المحاولات لاضفاء طابع انساني وطبيعي مادي على الماورائي المطلق مثلما يفعل الحلوليون ـ المثاليون المسيحيون ، فانه يشق طريقه بقوة متزايدة لفهم المجتمع فهماً علمياً وموضوعياً .

وحيث يترك مؤسسا الماركسية ـ ماركس انجلس ، أثراً خالداً للفكر الانساني المادي ، وحيث ان التطور الاجتماعي مثلما هو في الطبيعة والفكر يفرز ظواهره وعملياته الجديدة ، تظهر اللينينية كتطوير ابداعي خلاق للفكر الماركسي ومن ذات المواقع المادية الصلبة التي لا تهادن ابداً .

ان هذا التطور المتواصل في التفكير المادي الماركسي كان قد أفضى الى نتيجة هامة وهي انه قدم للفكر الانساني المعارض للجمود والمتطور ابداً ، نظرية ذات منهج ونمط تفكير مادي ديالكتيكي لا يضاهى ، يدله ويرشده ويساعده على ان يتلمس طريقه العقلاني لخدمة التقدم الاجتماعي واغناء حضارته وتمتين سيطرة الانسان على الطبيعة في زمن يدفع به اعداء الانسانية والتقدم نحو الترحش والعدوانية ، تلك هي النظرية الماركسية ـ اللينينية التي تغتني دائماً وباستمرار بابحاث التقدميين الثوريين الحقيقيين والديمقراطيين ومحبي السلم في جميع أنحاء العالم .

كيف تفهم هذه النظرية وعلى وجه التحديد المادية ـ التاريخية ، المجتمع ؟ وكيف ترى قانونية الصراع في المجتمع ؟ ولماذا تحصل الصدامات بين الكتل السكانية في بلد واحد او في بلدان مختلفة ، رغم الدعوات التي لا تكل الى العدالة والمساواة الاجتماعية ؟ ولماذا لا تستطيع تلك الوصايا والاهابات ان توقف هذه الصراعات الاجتماعية ؟ ولماذا لا تستطيع الاخلاق الايمانية القائمة على اساس من مجموعة الوصايا الكلية تلك ان تؤيد الاشياء وان توقف التطور ؟ ولماذا تتجلى العدوانية رغم هذه الوصايا ؟ واخيراً ما هي الوظائف الاجتماعية لنمط التفكير اللاهوتي في العصر الراهن ؟

كل ذلك يطرح نفسه للتحليل من على الفكر العلمي لاهميته البالغة لمصلحة التقدم الاجتماعي نفسه . رغم ان النظرية الماركسية ـ اللينينية ، ومنذ زمن بعيد، كانت قد اعطت وجهة نظرها الحاسمة بمجموعة

(٦) جريدة «لواء الصدر» . مقالة : «الماركسية والطبقة ـ خطأ الماركسية في تحليل التركيب الطبقي» ـ الاربعاء ١٧/ ذي القعدة /١٤٠٤ هـ .

Digitized by Birzeit University Library

الامور اعلاه ، الا ان الاصرار والتشبث بقوة متزايدة على تشويه النظرية الماركسية ـ اللينينية ، وتضليل الجماهير الشعبية وتسميم عقلها بالافكار الرجعية البرجوازية واللاهوتية فاننا لا نالوا جهداً في اعادة ما قيل آلاف المرات ، ذلك لان هذا التكرار ذو طابع موضوعي يستهدف الكشف عن جوهر الاساليب والطرق والوسائل «الجديدة» في العداء للماركسية ـ اللينينية ، وهو ايضاً من جانب آخر ، ضروري لتوعية الجماهير الشعبية وخصوصاً الشباب .

* * *

لنبدأ بتحليل واقع معين ، وان كان بروح مدرسية تبسيطية ، الا انه مفيد من حيث انه يتفق عليه الجميع ذلك انه في جميع المجتمعات ومنذ أزمان بعيدة وحتى ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى كان يوجد فيها اغنياء وفقراء . ولكن هذا الواقع يعبر عن مظهر اجتماعي عام . وحيث ان نمط التفكير العلمي يميل نحو الغور في اعماق الاشياء والظواهر والعمليات لاكتشاف اسبابها وبالتالي ميول تطورها فانه يعمد بالضرورة الى التدقيق بمحتويات المفاهيم التي نطلق عليها اسم «غني» و«فقير» . ومن المعروف ان الغني يعني مالك الثروة بوصفها ، كما أكد ماركس في مؤلفه الذائع «راس المال» ، تراكما من السلع ـ ملكية الثروة هذه تجد تعبيرانها في ملكية الارض ، المصنع ، المخزن ، العقارات ، . . ، او النقد . وعدا عن ذلك ، بطبيعة الحال ، لا يكون هناك اي معنى لمفهوم «الغني» أو «الاغنياء» . اما الفقير فهو الذي لا يمتلك من السلع أو تراكماتها اي شيء او قليلاً ، والغني يحتاج الى الفقير بقوة الضرورة لتشغيل وادارة ملكيته . ومن هنا يدخل كل منهما مع الآخرين في علاقة لا يمكن ان تنفصم في المجتمع الذي يوجد فيه تفاوت بين الغني والفقير . أما الاخلاق فهي ناتج هذا الوضع ، ذلك لان «الغني» له اخلاقيته مثلما ان «الفقير» له اخلاقيته ايضاً ، مع وجود مثل اخلاقية لكل المجتمع ذات صيغة تاريخية .

فالخير بالنسبة للغني هو شر بالنسبة للفقير في مسائل اساسية كثيرة ، والعكس صحيح ، فما هو خير للفقير انما هو من اشر الشرور للغني وهكذا يجب ان نفهم الامور الاخرى .

وحال الوجاهة والمكانة او المنزلة الاجتماعية باعتبارها مواصفات اخلاقية اجتماعية ليست احسن من اخلاقية الخير والشر للغني والفقير . ولكن الفارق الجوهري والهام للغاية هو ان المكانة الاجتماعية يحددها بالضبط مقدار الملكية الاخلاق النبيلة ، وحتى اللاهوتية .

في وضع كهذا ، حيث يصنف الناس اعتماداً على أيمانهم ليس فقط في الحياة وانما ايضاً فيما بعد الموت ، فانه من الطبيعي جداً ان لا ينظر الى التركيب الاجتماعي الا بكونه مبنياً على اساس اخلاقي ، وتظهر هنا ، بشكل واضح ، مسألة الاخلاق وكأنها القوة الاجتماعية الدافعة وحتى مصدر للتطور الاجتماعي . وتصبح الهبة والقوة الاجتماعية ظاهرياً وكأنها لا تعتمد على «الملكية» وانما على الايمان ، وايضاً تصبح مشروعة جداً ليس فقط المعادلة المقلوبة للعلاقة المذكورة اعلاه ، باعتبار ان «حاله الملكيه بوصفها نتيجه للوضع الطبقي وليس اساساً له» وانما يصبح التطفل على جسد المجتمع والدولة من قبل المؤسسات اللاهوتية ورجالاتها مشروعة ايضاً . ومع ان هذا التطفل هو ظاهرة عامة واضحة ، الا ان الممارسة ، باعتبارها معيار الحقيقة ـ كما اكد ف . ا . لينين ـ قد اكدت للاهوتين ايضاً ان قوة وهيبة المؤسسة الدينية في البلد المعني لا تستتب وتتقوى من خلال عطاءات وهبات الدولة والمجتمع فقط ، ولهذا عمدت الى الاستحواذ على ملكيات واسعة من الاراضي في بلدان اوروبا كما هو حال الكنيسة ، أما الأديرة البوذية

Digitized by Birzeit University Library

فكانت مهيمنة تماماً على اغلب اراضي منغوليا مثلاً .

ان عملية اجتماعية كبيرة كهذه للتعميم الايمان التوحيدي ، وتعمل للآن تحول الانسان الى انسان اخلاقي ؛ ويصبح الوعي الحقوقي والسياسي مرهوناً ومقيداً تماماً بالوعي الاخلاقي ؛ ومن دون المساس بـ«الملكية الخاصة» للمتسيدين الاغنياء ؛ ومن دون ان تعمل على اغناء الفقراء مادياً وروحياً ؛ فمن الطبيعي جداً انها تفضي في نهاية المطاف الى تكريس الواقع الاجتماعي الذي احتجت ضده ، وكما اشار ف . انجلس فان ذلك «هو احتجاج ضد الواقع وتكريس له» وبهذا تكمن الوظيفة الاجتماعية للايديولوجيا اللاهوتية .

●●●

ان الجانبين المتباينين في موضوعة انجلس هما ذا دلالة عبقرية وعظيمة . فالجانب الاول في الموضوعة ، ذلك الذي ينطوي على الاحتجاج هو في الحقيقة الذي يولد الوهم في ان اللاهوتية تخدم الفقراء ، أو انها تقف الى جانبهم ، الى صف قضاياهم . ولكن الفقير ، في الحقيقة ، في مجتمع يقوده اللاهوتيون لا يحصل الا على التدمير الروحي الرهيب ، فقط يحصل على الايمان كقوة اخلاقية مدفوعة نحوه لتلفه وتهيمن عليه ، وتسيطر على احاسيسه . ولهذا يصبح عنده الدفاع عن الدين ، والصراع ضد الفئات الدينية ، والديانات والدول ذات الديانة المختلفة ، وضد التيارات الفكرية ـ السياسية ، . . . ، مهمته الوحيدة التي لا محيص عنها . وتتحول عنده قضية «الجهاد» الحاسمة مرور نحو الخلود الابدي وابعاداً للعقاب الأزلي الموعود به عندما لا يكون انساناً اخلاقياً . أما مصالحه ، اما تحسين شروط حياته ، وتطوره المادي والروحي ، فانه محكوم بقيود قدرية لا مفر منها . كما تصبح مسألة التفاوت الاجتماعي ليست فقط واقعة اخلاقية يجب ان يتقبلها الانسان ويخضع لها بخنوع ـ «القناعة كنز لا يفنى» ! وانما تصبح حقيقة واقعة وملموسة ، . . . ، ومكرسة حقوقياً واجتماعياً وسياسياً من قبل الدولة

وعليه فان اللاهوت اذ يحتج على الواقع فانه في نهاية المطاف يكرسه ، ويضفي عليه قوة روحية ويعينه على ان يلف الجماهير لتصبح قاعدة اجتماعية مكيفة لصيانة الحق بالغنى والثروة ، وهذا عنصر وظيفي في الايديولوجيا اللاهوتية .

الأغنياء ليسوا ، بطبيعة الحال ، أغبياء ـ انهم حسابيون لدرجة كبيرة عندما تتعلق المسألة بملكيتهم الخاصة . ويعتبر هذا العامل الحاسم في تحديد ردود فعلهم وسلوكهم ومواقفهم السياسية ازاء مختلف القوى الاجتماعية سواء اكانت ثورية او غير ثورية .

وعليه فانه ليس من الغرابة بشيء القول انه وجهة نظر الاغنياء ، فان تكييف الاخلاق لتأخذ محتوى دينياً أو قومياً ، أو اكساب السياسة احد هذين الطابعين ، فانهم على أتم الاستعداد للارتباط بها بقوة ، وعلى استعداد دائم لدعمها بكافة الامكانيات طالما ان ذلك لا يتعرض لملكياتهم الخاصة ـ ذلك لانهم يعرفون بالممارسة ان ذلك لا يؤدي الا الى تمتين مواقعهم ، واضفاء قوة روحية ، وايديولوجية لقوتهم المادية والاجتماعية . ومن هنا نجد ان الثورات ومنها «الثورة المحمدية» التي قامت على اكتاف الفقراء ابان طورها الاول ، قد ارتدت ضدهم عندما وقعت بأيد الارستقراطية القرشية وورثوها لاحقاً . وهنا نجد ان الخاصة لم تتدمر بل انتعشت وتضخمت وحكمت .

واذا كان التيار الفكري المادي قد تطور في الماضي ، في القرون الوسطى ، ضمن اطر صوفية ولاهوتية ،

Digitized by Birzeit University Library

واذا كانت المكافحة حاسمة لأية فكرة او بصيص من نور علمي لا يخدم اللاهوت والتصوف ، واذا كان السيف جيلوتين أوروبي لقطع رقاب الثائرين الحقيقيين ضد الظلم ، فان نمط التفكير اللاهوتي يطرح نفسه الآن في بلادنا وكأنه طريق خاص ، «طريق ثالث» ، لا اشتراكي ولا رأسمالي .

معلوم ان تلك هي حرب ضد الاشتراكية العلمية بالاساس . وان الامبرياليين يفهمون جيداً وبدقة ان مثل هذه النزعات اللاهوتية او القومية لا تفضي بالنتيجة الاخيرة الاّ الى البقاء في حضيرة الرأسمالية بقوة أكبر ، وفاعلية أشد ، وبقوى اجتماعية جديدة ـ وخصوصاً فئة من البرجوازية الصغيرة بعد جذبها الى النشاط الحيوي والفعال في الحياة السياسية ، الى صف الاتجاهات الرامية الى تمتين وتعزيز مواقع رأس المال وتكريسه في المجتمع . وبالتالي فانه يبعد «شرور» التيارات الثورية الحقيقية ؛ ويعزز ربط البلاد بأطر النظام الراسمالي العالمي ؛ وتتكرس الراسمالية وتتواصل في النمو والانتشار ، وان يكن باشكال غير مباشرة ، أوحتى في خضم مظاهر العداء الشديدة للامبريالية ، والتي هي واحدة من التجليات الاجتماعية المحكومة بعوامل مؤقتة تثير حماسة الجماهير ولكنها تساعد على تضليلها بالطابع «الثوري» للعملية . ان عملية اعاقة التقدم الاجتماعي هو بالطبع عنصر هام آخر في وظائف الايديولوجيا اللاهوتية الاجتماعية التي تنطوي ، وتتكشف عن عنصر هام وآخر وهو معاداة الشيوعية والسوفيت والذي يظهر في الوقت الحاضر جلياً واضحاً تحت شعارات سياسية من قبيل «لا شرقية ولا غربية» و «القوتين العظميتين» و «الشيطانين الاكبرين» و «قوى الاستكبار العالمي» .

من جهة اخرى ، من الضروري الانتباه الى ان هذا التكريس لا يرمي لتعزيز مواقع الملكية الخاصة فحسب ، وفسح المجال لنمو وتعزز التشكيلة الاقتصادية ـ الاجتماعية الرأسمالية ، وانما هو ردة حضارية عنيفة وشديدة ورهيبة .

هذا الارتداد الحضاري القائم على اساس التماثل مع ظروف كانت قد سادت في القرون الوسطى هو في الواقع عنصر آخر من الوظيفة الاجتماعية للايديولوجيا اللاهوتية . فحذار ! وان يساور الامبرياليين القلق في بداية الأمر من مثل هذه التوجهات الايديولوجية والسياسية اللاهوتية في بعض البلدان فانهم سرعان ما يزيحون هذا القلق ، ويحتسون كأساً من ماء بارد على الطغمة القديمة السابقة الحليفة ، ويمدون ايديهم للطغمة الجديدة بفرح غامر وسرور طاغ ، وذلك لان لاهوتية كهذه ليست فقط لا تتعرض للملكية الخاصة ؛ وتعرقل وتعيق التقدم الاجتماعي ؛ وتكرس الجهل وتعرقل التطور الحضاري ، بمعنى الاغناء المادي والروحي للمجتمع ، وانما تعمل لتكريس وضع البلاد التابع الى البنية الاقتصادية ، للراسمالية التابعة وباختصار فانها تسهم بقوة كلية لابقائه مجتمعاً استهلاكياً .

ورغم ذلك فان للامبرياليين مخاوفهم وخشيتهم . فهم لا يميلون في الوقت الحاضر الى مثل هذه الاتجاهات العنيفة المتطرفة ! الا اذا فرضتها ظروف خاصة لا يمكن معها ايجاد بدائل اخرى ، بمعنى اذا فرضتها ازمة الخيار . ذلك لانهم يفهمون جيداً الآن انه من الصعب اغفال دور الجماهير الشعبية ومساهمتها في الحياة السياسية . لذلك فهم يسعون انّ يوجهوا الطاقة الثورية للجماهير ويتحكموا بحركتها رغم انهم يجبذون ايضاً ان يكون ذلك «عصرياً» شريطة ان يخدم ، نهجهم في معاداة الشيوعية والسوفيت ، ومعاداة الاشتراكية . ان هؤلاء لا يتورعون عن استخدام ودعم أطر صوفية ولاهوتية متطرفة .

Digitized by Birzeit University Library

الى نقابة المحامين.. مع الاحترام

"دراسة نقدية لأبحاث المحامين المتدربين"

بقلم : محمد شاهين

ان موضوع النقد والنقد الذاتي هام جدا وأساسي يجب ان يواكب كل عمل ومجال في حياتنا العملية اليومية،وهو الاسلوب الحقيقي لتوجيه وتطوير اى عمل نحو الافضل وعامل ساعد لتخليص اى ممارسة من الخطأ والجمود التي تعانيها. لهذا وحرصا منّي على تقدم مسيرة نقابة المحامين الاطار الشرعي للمحامين ، ارتأيت التقدم بهذه المحاولة النقدية حول جانب هام من نشاط نقابة المحامين الا وهو ابحاث المحامين المتدربين* مع تأكيدى على ان دراستي النقدية هـــذه، ليست تجريحا لاى من الزملاء في النقابة.

لقد جرت العادة وحسب قانون نقابة المحامين الاردنية ان يقدم المحامي المتدرب في نهاية فترة التدريب والتي تستمر عامين بحثا قانونيا يتم تحديد موضوعه من قبل مجلس النقابة (هيئة مكتب محامي الضفة الغربية)على اساس ثلاثة اقتراحات يقدمها المحامي المتدرب لهيئة المكتب والهدف من تقديم هذا البحث القانوني واجتيازه هو تسجيل المحامي المتدرب في سجل المحامين الاساتـــذة .

ان ابحاث المحامين ينقصها الكثير من الجوانب والاسس المتبعة في البحث القانوني ،وفي اعتقادى بان على هذه الابحاث ان تلعب دورا فعّالا في توعية الجماهير تجاه التجاوزات والممارسات اللاقانونية التي تتبعها سلطات الاحتلال تجاه المواطنين في الارض المحتلة، ولذلك يجب ان ترتقي هذه الابحاث الى اعلى مستويات الجودة والفائدة ،وسأوضح في دراستي هذه بعض النواقص والعيوب التي تعانيها ابحاث المحامين مع طرح البديل لكل نقص او عيب سواء العيوب الشكلية او العيوب الموضوعية وسأبدأ في ذلك من بداية التفكير بالبحث القانوني وحتى خاتمة البحث. وقد اعتمدت في دراستي هذه بشكل رئيسي على كتاب الدكتور عبد القادر الشيخلي حول اعداد البحث القانوني، كما

* الدراسة لا تشمل محامي الضفة الشرقية .

Digitized by Birzeit University Library

انني اعتمدت سبعة وعشرين بحثا غير منتقاه لدراستها والمقارنة بينها ولنبدأ هنا من البدايـــة :-

أ ـ قضية الاستعداد الذاتي للبحث

رغم ان المحامي المتدرب يمضي عامين في "التدريب" على المحاماة" والتدريب لمحامي الضفه الغربية يعني حضور المحامين المتدربين للمناقشات التي تجرى في نقابة المحامين حول الابحاث المقدمة وذلك طيلة العامين المقررين . وهذا على خلاف المحامين المتدربين في الاردن والذين يتدربون فعلا في المحاكم النظامية والشرعية هناك . ويسمح لمحامي الضفة الغربية ممن تخرجوا من جامعات الدول الاسلامية فقط بحضور جلسات المحاكم الشرعية، حيث يحرم خريجو الجامعات الاخرى من هذا الحق ، فعلى الرغم من طيلة العامين والتفرغ التام الا ان الاستعداد الذاتي لكتابة البحث القانوني تكاد تكون معدومة في الكثير من الابحاث المقدمة مما يعكس ذلك على الابحاث ويشوهـــا .

وللاستعداد الذاتي ركنان :-

- القدرة العلمية، وتعني وجود كفاءة علمية لدى الباحث تتمثل في القدرة على التأمل والتحليل والمقارنة وهذا يتطلب اطّلاع واسع على كافة المصادر والمراجع الخاصة بالبحث واتخاذ موقف موضوعي من مؤلفيها ،وآرائهم ، تبنيها او دحضها ووضع البديل .
- والرغبة النفسية الموضوعية لمعالجة البحث الذي ينوى الكتابة فيه، حيث ان خضوع البحث لمزاج وعاطفة الباحث يفقده علميته وغايتـــه .

من خلال اطلاعي على عدد من ابحاث المحامين المتدربين المقدمة الى النقابة بهدف اعداد هذه الدراسة وجدت ان العديد منها يفتقر الى الاستعداد الذاتي لمقدمها وسأذكر لاحقا امثلة واقعية على ذلك حيث يظهر ذلك جليا في الجوانب الشكلية والموضوعية للبحث المقدم .

ب ـ مسألة اختيار موضوع البحث

كما ذكرت سابقا فان المحامي المتدرب يتقدم بطلب الى هيئة المكتب يحوي ثلاثة موضوعات ويركز في طلبه على رغبته في الكتابة عن احداها والحق يقال ان هيئة المكتب تراعي هذه الرغبة عند مقدم الطلب ، ولكن ليست هذه هي العلة بل العلة عند بعض مقدمي هذه الطلبات انفسهم ، حيث انهم يختارون هذا الموضوع او ذاك ليس لقدرتهم العلمية اولرغبتهم النفسية او لاهمية البحث الوطنيه ، بل لوجود مصادر وفيرة للخوض في هذا البحث وخاصة ابحاث قدمت في هذا المجال ،بغض النظر عن طرق بحث ما مرات عديدة، وقليل من يقصد من بحثه التقدم بجديد الى موضوع القانون،والامثلة على ذلك

- بحث الدفاع الشرعي ،قدم اكثر من اربع مرات وذلك في ايار سنة ١٩٧٨ وفي كانون الثاني سنة ١٩٨٠ وآب سنة ١٩٨٠ ولا جديد ،كما انه لا فرق يذكر بين تلك الابحاث فمثلا بحث الدفاع الشرعي المقدم في آب سنة ١٩٨٠ هو نقل حرفي عن البحث المقدم في ايار سنة ١٩٧٨ فخطة البحث هي نفسها، والمعلومات نفسها وعدد الصفحات نفسه اذا ما استثنينا صفحتين اثنتين لا لزوم لهما في البحث المقدم في ايار سنة ١٩٧٨ .

Digitized by Birzeit University Library

ـ بحث الشروع في الجريمة المقدم في تشرين اول سنة ١٩٧٨ مشابه جدا للبحث المقدم عن نفس الموضوع في ايار سنة ١٩٧٨ ولا فرق بينهما سوى بعض الفروق في البحث المقدم في ايار وهي فروق شكلية لا اكثر. فهذا العمل لا يعني سوى اضاعة الوقت "والقيام بالواجب" الملقى على المحامي المتدرب ولو كان ذلك بواسطة النقل الحرفي .. وقد يكون من الافضل للمحامي المتدرب ان يختار البحث الذي هو ضمن تخصصه، حيث تتوفر قدرة علمية اولاً، والذي لم يطرقه احد ثانياً، والذي توجد له مصادر ومراجع وفيرة ثالثاً، كما يجب ان يراعي الدور الوطني الارشادي للبحث.

جـ ـ مسألة جمع المصادر والمراجع

ان قضية تحضير المصادر والمراجع لاعداد البحث العلمي تأتي في المرتبة الثانية بعد الاستعداد والاختيار ولها اهمية قصوى لا غنى عنها، فبدون الاعتماد على المصادر والمراجع لا يمكن كتابة اي بحث. والمصادر والمراجع نوعـــان :ـ

ـ المصادر والمراجع النظرية.

ـ المصادر العمليةـ وهذه المصادر مهمة جدا وتعتمد هذه الطريقة بشكل خاص في ظل النظام الاشتراكي. لقد ظل القانون تحت تأثير المدارس الفقهية الغربية مطروقا في نطاق الدراسات والابحاث الاكاديمية النظرية المجردة. اما حسب النظرية الاشتراكية العلمية فان القانون يعتبر احد ادوات التغيير الاقتصادي الاجتماعي الثوري المنشود فالدراسات العملية الميدانية هنا تهدف الى تحديد اوجه الخلل والمثالب في البنيات الاجتماعية للدولة. ويمكن تقسيم المصادر العملية الى :ـ الاستمارات الاستبيانية والمقابلات. وتقسم المراجع والمصادر الى عامة ومتخصصة ومن المهم هنا جمع احدث المصادر والمراجع.

عند النظر الى ابحاث المحامين المتدربين فان الجزء الثاني (المصادر العملية) من المصادر والمراجع نادر جدا ان لم يكن معدوما. فلماذا يغيب هذا الجزء الهام من المصادر خاصة في الابحاث التي تعالج قضايا الاحداث او قانون الاحوال الشخصية؟ لماذا لا يتم استعمال الاستمارات الاستبيانية في بحث جنوح الاحداث مثلا للاطلاع على سبب جنوح الاحداث والظروف التي ادت الى ذلك او قضايا الطلاق وتعدد الزوجات بلا عدل بينهن بسبب الوضع الاقتصادي السائد ؟ ان الاعتماد على هذه المصادر من شأنه ان يجد الاساس الموضوعي للمطالبة بتغيير هذه المادة او تلك من هذا القانون او ذاكـ كما ان لذلك اهمية خاصة في توعية عامة الجماهير واطلاعهم على الوضع القانوني في جميع المجالات. وقد تحدث د. زكي عبد المجيد في معرض حديثه عن البحث العلمي (ويشمل هذا البحث القانوني) حيث يتساءل :ـ

ـ هل البحث العلمي هواية او ترف فكري؟

ـ هل البحث العلمي معزول عن التطور الاجتماعي والاقتصادي والسياسي لمجتمع مـــا ؟!.

ـ هل للبحث العلمي بداية ونهاية ؟.

ـ ما هي العلاقة بين البحث العلمي والتطبيـــق ؟.

ـ هل للبحث العلمي استراتيجية مـــا ؟.

"اعتقد ان الاجابة الصحيحة على هذه

Digitized by Birzeit University Library

الاسئلة تضعنا في الطريق الصحيح للوصول الى جوهر هذه المسألة وبالتالي فان استنتاجاتنا ستكون قريبة من الحقيقة التي هي الهدف الاستراتيجي للبحث العلمي. ان البحث العلمي ليست مسألة عرض وطلب بل انها مسألة متابعة وملازمة للعنصر الانساني وفقا لاحتياجاته المادية المتجددة والمتطورة لضمان بقائه ومن ثم فهو يتطور ويتجدد وفقا لهذه الاحتياجات وآفاق تطورها "x فاذا كنا نعي حقيقة وهدف البحث القانوني فذلك يتطلب كدا وجهدا كبيرا للوصول الى هذه الغاية. فيجب هنا الاعتماد على المصادر والمراجع العلمية التي لا اعتبرها مهمة مستحيلة،وهي هامة جدا لاتمام بحث علمي ناجح،ورغم وجود مكتبة قانونية في مقر النقابة تحوى معظم الكتب القانونية المختلفة وهي ايضا بحاجة الى تطوير، الا ان الكثير من الباحثين لا يعتمد على هذه المكتبة بل يكتفي بوجود بحث يتعلق بموضوع البحث المنوى كتابته ويكتفي بوجود الكتب القانونية المتواضعة الموجودة في مكتب الاستاذ الذى يتدرب لديه ان وجد هذا المكتب. ولذلك يظهر بوضوح ضعف الكثير من الابحاث القانونية .

عيوب الجوانب الشكلية في البحث القانوني وتشمـــــــل

أ ــ المقدمـــــة :

يجب ان تحتوى المقدمة لاى بحث كان العناصر الاساسية التالية :ــ

١) ماهية موضوع البحث .
٢) اهمية وضرورة الموضوع .
٣) اسباب اختيار الموضوع .
٤) المشكلات النظرية والعملية لموضوع البحث .
٥) نطاق البحث .
٦) منهج البحـــث .
٧) خطة البحث .

ان اتّباع هذا التسلسل المنطقي لمقدمة البحث يعطيها نمطا علميا خالصا لا بد منه، ولكن حين النظر الى مقدمات الكثير من ابحاث المحامين المتدربين فاننا نجد عيوبا عديدة نشير الى بعضها :ــ

١ ــ التطرق الى غير موضوع البحث كليا فعلى سبيل المثال هناك من يتطرق في مقدمة بحثه الى شكر النقابة (نقابة المحامين) التي اتاحت له كتابة هذا البحث... ولا يلمح لا من قريب ولا من بعيد الى موضوع البحث ويظهر هذا العيب جليا في مقدمة بحث "جريمة القتل المقدم في ايلول سنة ١٩٧٩ وجرائم الاعتداء على الاموال المقدمة في كانون الثاني سنة ١٩٨٠ ومقدمة البحث الثاني هي نقل حرفي شامل عن مقدمة البحث الاول .

٢ ــ غياب المقدمة نهائيا من البحث ــ مثل بحث "الشروع في الجريمة " المقدم في تشرين الاول سنة ١٩٧٨ ،بحث "جرم اعطاء شيك بدون رصيد المقدم في كانون الاول سنة ١٩٧٨ وبحث الجريمة وأسبابها (تاريخ التقديم غير معلوم لدى) وبحث جريمة القتل المقدم في آذار سنة ١٩٨١ و"جريمة القتل" المقدم سنة ١٩٨٣.

x البحث العلمي ضرورة موضوعية . " الكاتب العدد ٦٤ ص ٦٤ .

Digitized by Birzeit University Library

٢ـ هناك مقدمات عباره عن فهرس للموضوع وليست مقدمة، مثل :بحث " حالة الضرورة في قانون العقوبات " المقدم في تشرين الاول سنة ١٩٧٨ . وهناك مقدمات تجنح الى الخيال، جمال الشعراء والادباء ، مثل مقدمة بحث "جنوح الاحداث في قانون العقوبات الاردني" المقدم عام ١٩٨٤ ،او بحث" جريمة الجرح والضرب بين القانون الوصفي والشريعة الاسلامية " عام ١٩٨٥.

ب ـ تبويب البحث :ـ فهو اما ان يكون معدوما في اكثر من الابحاث او ناقصا مثل :ـ

- اربعة ابحاث عن الدفاع الشرعي مقدمة في ايار وكانون اول ١٩٧٨ وكانون الثاني وآب سنة ١٩٨٠.
- بحث جريمة السرقة" المقدم في ايار سنة ١٩٧٨
- بحث "المجرمون الفارون" المقدم في تشرين ثاني سنة ١٩٧٧.
- بحث "الشروع" المقدم في تشرين اول سنة ١٩٧٨.
- بحث الجريمة وأسبابها .
- بحث (الجريمة والعقاب" المقدم في تشرين ثاني سنة ١٩٧٨.
- بحث "جرم اعطاء شيك بدون رصيد" المقدم في كانون الثاني سنة ١٩٧٨.
- بحث" جريمة القتل المقدم في ايلول سنة ١٩٧٩.
- بحث "جريمة القتل" المقدم في آذار سنة ١٩٨١ .

فكل هذه الابحاث تتعدم فيها خطة البحث المبنية في الرسم التوضيحي التالي ،

ومرتبة ترتيباً تنازليا : ـ الباب ـ الفصل ـ الفرع ـ المبحث ـ المطلب ـ اولا ـ أ ـ ١ ـ ـ.

جـ ـ الباب التمهيدي :

ليس من الضروري ان يضم كل بحث بابا تمهيديا ،خاصة عند الابحاث القصيرة، فالمقدمة احيانا اذا كانت جيدة فانها تغطي الباب التمهيدي في هذه الابحاث ولكننا كثيرا ما نجد ان الابحاث الطويلة التي هي بحاجة الى باب تمهيدي الا انها تفتقره . ومثال على ذلك .

- بحث "الجريمة وأسبابها ".
- بحث "جرائم الاعتداء على الاموال" المقدم في كانون الثاني سنة ١٩٨٠.
- بحث" جريمة الاحتيال" المقدم في كانون اول سنة ١٩٨٥ حيث ان الباحث يخلط بين الفصل الاول والباب التمهيدي فيبدأ بكلمة تمهيد وينطلق الى طلب الموضوع.
- بحث "جنوح الاحداث في قانون العقوبات الاردني" المقدم عام ١٩٨٤.
- بحث "جريمة السرقة" المقدم في تموز عام ١٩٨٥.

والباب التمهيدي هو عبارة عن فكرة عامة عن النظام او الانظمة التي يتناولها البحث بالاضافة الى تحديد الاصطلاحات والمفاهيم المتعلقة بالبحث، والتطرق الى موضوعات متناثرة قريبة من البحث ولكن ليست من صلبه.

د ـ كتابة الهوامش :ـ

ويظهر هذا العيب في ابحاث المحامين

Digitized by Birzeit University Library

بشكل واضح، فاما ان تتعدم الهوامش مطلقا في حين ان لوجودها في بعض الابحاث ضرورة مثل:

- بحث "المجرمون الفارون" المقدم في تشرين ثاني عام ١٩٧٧.
- بحث الجريمة وأسبابها .
- بحث " الشروع المقدم في تشرين اول سنة ١٩٧٨.
- بحث "جريمة السرقة" المقدم في ايار سنة ١٩٧٨.
- بحث "الدفاع الشرعي" المقدم في تشرين ثاني سنة ١٩٧٨.
- بحث جريمة القتل" المقدم في ايلول سنة ١٩٧٩ .
- بحث جريمة القتل "المقدم في اذار سنة ١٩٨١.

وهناك هوامش ناقصة ولا تفي شروط الهامش مثل :-

- بحث "الدفاع الشرعي" المقدم في كانون الثاني سنة ١٩٨٠.
- بحث "الدفاع الشرعي" المقدم في آب سنة ١٩٨٠.
- بحث جريمة الجرح والضرب سنة ١٩٨٥.

فالهوامش او الحواشي ،هي امور توضيحية او معلومات اضافية او تعاريف، او غيرها لا يرى الباحث وضعها ضمن نص البحث ،فيضيفها تحت السطر في نهاية الصفحة او في نهاية البحث وقبل المراجع .

هـ ـ الخاتمـــــة :

وهي معدومة في كثير من الابحاث وهاكم بعض الامثلة على ذلك :-

- بحث "حالة الضرورة في قانون العقوبات المقدم في تشرين اول سنة ١٩٧٨.
- بحث "الجريمة والعقاب" تشرين الثاني سنة ١٩٧٨.
- بحث "جريمة اعطاء شيك بدون رصيد" كانون اول سنة ١٩٧٨.
- بحث جريمة القتل "ايلول سنة ١٩٧٩.
- بحث "جرائم الاعتداء على الاموال" كانون ثاني سنة ١٩٨٠.
- بحث "جريمة الخيانة في قانون العقوبات الاردني" آب سنة ١٩٨٣.
- بحث "جريمة الاغتصاب في قانون العقوبات الاردني" سنة ١٩٨٣.

هذا بالاضافة الى عشرة ابحاث اخرى من مجموع الـ ٢٧ بحثا لا توجد لها خاتمة . كما اننا نجد تشابها كبيرا بين المقدمة والخاتمة او بين التمهيد والخاتمة في بعض الابحاث. وبالتالي لا تلبى الخاتمة الهدف المنشود - مثلا عند بحث " جريمة الجرح والضرب بين القانون الوضعي والشريعة الاسلامية" سنة ١٩٨٥. فالخاتمة ضرورة لاى بحث او دراسة لانها تبرز وبايجازاهم القضايا الجديدة التي تناولها البحث وكذلك الاستنتاجات التي توصل اليها مما يدل على استيعاب الباحث لمجمل القضايا التي تناولها في بحثه والاقتراحات التي يتوصل اليها من اجل تطوير الموضوع المعني ووضع الحلول للقوانين المتخلفـــة .

ز ـ المراجع والمصـادر :-

فهناك ابحاث لا تحتوى على اشارة للمراجع والمصادر مطلقا مثل :-

- بحث "الجريمة وأسبابها "
- ثلاثة ابحاث عن" الدفاع الشرعي" مقدمة في تشرين ثاني سنة ١٩٧٨ وكانون ثاني وآب سنة ١٩٨٠.

Digitized by Birzeit University Library

- بحث "جرم اعطاء شيك بدون رصيد" كانون ثاني سنة ١٩٧٨.

وهناك ثلاثة عشر بحثا آخر كتبت فيها المصادر والمراجع بطريقة مغلوطة وناقصة لاحد العناصر التي يستند اليها في كتابة المراجع والمصادر. وتقسم المراجع والمصادر الى - عامة (تحتوى على المعلومات الاساسية والمختلفة) وخاصة (تتناول موضوع البحث بصفة رئيسية) ونليها قائمة الابحاث والمقالات التي اعتمد عليها الباحث بالاضافة الى التقارير والوثائق والمستندات المتعلقة بموضوع البحث. وتنظم القائمة حسب الحروف الابجدية لاسماء المؤلفين والكتاب. وممكن ان تكون المصادر عربية وأجنبية. والمرجع او المصدر يرتب كما يلي :- ١) اسم المؤلف ٢) عنوان الكتاب ٣) رقم الطبعة ٤) دار النشر ٥) مكان النشر ٦) سنة النشر ٧) الصفحة.

ب- المحتويات :

فلا وجود لقائمة المحتويات في بعض الابحاث، وذلك ينطبق على ١٩ بحثا من مجموع الـ ٢٧. وأحيانا كتبت بطريقة غير علمية مثل :

- بحث" المجرمون الفارون" تشرين ثاني سنة ١٩٧٧.

- بحث "جنوح الاحداث في قانون العقوبات الاردني" سنة ١٩٨٤.

ان قائمة المحتويات او الفهرس هو الدليل والمرشد للقارئ يتعرف من خلاله على مضمون البحث. والفهرس يقسم كما هو مذكور اعلاه في بند خطة البحث المبينة بالرسم السابق.

اضافة الى كل العيوب السابقة التي تحدثت عنها فهناك تقصير في مراجعة البحث من الناحية اللغوية قبل البدء في طباعته وعدم مراجعته بعد الطباعة لازالة الاخطاء المطبعية منه، حيث ان هذه القضية تأخذ وقتا ليس قليلا عند مناقشة البحث في النقابة.

الناحية الموضوعية :-

للانصاف قانني ومن خلال اطلاعي على غالبية ابحاث المحامين المتدربين فان بعض الزملاء يبذلون جهدا عاليا من الناحية الموضوعية للبحث حيث ان هناك ابحاثا قانونية (وان كانت قليلة) تتشرف بها النقابة خاصة الابحاث المتعلقة بالقانون الدولي وممارسات الاحتلال ضد الشعب الفلسطيني في الداخل والخارج واذكر من بين هذه الابحاث - بحث "حقوق الشعب الفلسطيني في اقامة دولته المستقلة" المقدم في كانون ثاني سنة ١٩٨٤ بغض النظر عن الموقف الذاتي لمقدم البحث فهو عندما تحدث عن مواقف الاحزاب الاسرائيلية وطروحاتها بشأن حل القضية الفلسطينية، شرح طويلا عن موقف الاحزاب الصهيونية واكتفى ببضع كلمات عن موقف الحزب الشيوعي الاسرائيلي والقوى الديموقراطية في اسرائيل والتي بلا شك وكما يعرف الجميع من خلال الاطلاع على نشراتها (خاصة مطبوعات الحزب الشيوعي الاسرائيلي) تساند وتدعم وبكل حزم وثبات قضية الشعب الفلسطيني.

مثال آخر هو بحث بعنوان" م.ت.ف. كشخص في القانون الدولي والمعاصر" المقدم هذا العام " حيث ان هذا البحث أفضل ما قدم (وهذا رأى لجنة المناقشة ايضا) عن م.ت.ف. وعلاقتها بالقانون الدولي. وبحث الجرائم في القانون الدولي والمسؤولية القانونية عن مذابح صبرا وشاتيلا

Digitized by Birzeit University Library

المقدم شذا العام ١٩٨٥ . وبحث " الاتفاقية الاسرائيلية اللبنانية" المقدم في شباط سنة ١٩٨٤ . بالاضافة الى بحث جنائي جيد وهو "الطب الشرعي وعلاقته بالقانون" المقدم في نيسان سنة ١٩٨٥ حيث ان هذا البحث مكتمل شكلا وموضوعا " وبحث" حجية القضية المقضية امام القاضي المدني" المقدم عام ١٩٨٤.

لعل من الحق القول انه اذا اردنا ان ننقد الناحية الموضوعية بأمانة تامة فانه يتوجب علينا التطرق الى كل بحث على حده وهذا شيء صعب للغاية لكثرة الابحاث من ناحية ولضيق المجال هنا من الناحية الاخرى، لكن لا ينفي وجود ملاحظات عامة على بعض الابحاث من الناحية الموضوعية والعيوب الموضوعية تتأثر جدا بالعيوب الشكلية :ـ

أ ـ عدم التسلسل الموضوعي للافكار في بعض الابحاث .

فالتسلسل الموضوعي يعني :

عرض العام قبل عرض الخاص ـ ان يقدم الباب الاول للبـاب الثانـي ...الـخ ـ عرض الرأي وتحديدموقف من هذا او ذاك المؤلف ـ طرح البديل الموضوعي للرأي السلبي للفقيه المعني ـ بداية ونهاية لكل قضية يتطرق اليها الباحث والاعتماد على الترتيب المنطقي في الكتابة .

ب . الامانة العلمية :ـ

تكتشف "لجان المناقشة" في كثير من الاحيان ان مقدم البحث قد اقتبس فقرات بل صفحات كثيرة من احد المراجع ولم يشر الى ذلك المرجع . وتبدو هذه الاقتباسات بأنها تمثل رأي الباحث. ان الامانة العلمية تعني نسبة الاراء الى قائليها الحقيقيين وتمحيص الاراء المنقولة وتحديد موقف منها .

جـ ـ النظر الى الموضوع نظرة جامدة متخلفة احيانا ،حيث ان الباحث، خاصة في مجال القانون الجنائي يقوم باستعراض المعلومات التي جمعها من المراجع والمصادر القانونية المختلفة استعراضا تقليديا جافا، فلا نلمس عامل التطوير في البحث القانوني الجنائي.

هذه اهم عيوب الجانب الموضوعي في البحث القانوني، وكما ذكرت اعلاه فان الحديث عن هذه العيوب لا يكون موضوعيا دون الرجوع الى كل موضوع على حـده .

لجان مناقشة الابحـــاث :ـ

تختار هيئة مكتب محامي الضفة الغربية فرع نقابة المحامين الاردنية لجنة لمناقشة البحث القانوني المقدم للنقابة مكونة من ثلاثة الى اربعة اعضاء ، وليس بالضرورة ان يكون هؤلاء الاعضاء من هيئة المكتب ويستدعى الى المناقشة والاستماع كافة المحامين المتدربين باعتبار ان حضورهم الزامي حسب قانون النقابة. ومهمة هذه اللجان هي تقييم البحث من الناحية الشكلية والموضوعية والحكم عليه ان كان مقبولا ام مرفوضا وحالات رفض البحث نادرة ان لم تكن معدومة . والحق يقال ان بعض هذه اللجان هي كفوءة لمناقشة البحث المقدم خاصة في ابحاث القانون الدولي حيث يشارك محامون من حملة الدكتوراة في القانون الدولي ومحاضرون في الجامعات المحلية. الا ان ابحاث القانون الدولي هي قليلة بالنسبة لباقي ميادين علم القانون. وفي اعتقادي يجدر بهيئة المكتب ان تختار اساتذة

Digitized by Birzeit University Library

(محامين) متخصصين لمناقشة البحث المعني
بعض المساتذة متخصصين في القانون الجنائي
لمناقشة الابحاث الجنائية وأساتذة
متخصصين في قانون الاحوال الشخصية
لمناقشة الابحاث المقدمة في هذا المجال
وآخرين للقانون الدولي ..الخ. ولكن لا
اعرف ما السبب (ولعل الجواب عند هيئة
المكتب) ان يشارك في لجان المناقشة اساتذة

غير متخصصين في موضوع البحث الذي تجري
مناقشته. فمثلا نرى الاستاذ "فلان" يتكرر
حضوره ومشاركته في غالبية لجان المناقشة
بغض النظر عن موضوع البحث فهو يشارك في
لجان مناقشة ابحاث القانون الدولي لكافة
جوانبه،والقانون الجنائي على مختلف اقسامه
والقوانين الشرعية باختلاف انواعها . فهل
هذا نشاط زائد من قبل هذا الاستاذ امام
تقصير الاخرين،ام ان لجان المناقشة حكر
على اشخاص معدودين. ؟!!! وما انتماه
ايضا هو التخلص من ظاهرة النقاش الداخلي
بين اعضاء اللجنة اثناء مناقشة البحث حين
ظهور اختلافات في وجهات النظر بين اعضاء
اللجنة ليتحول النقاش من موضوع البحث الى
نقاش مقصور على اعضاء اللجنة من اجل اقناع
كل منهم الاخر بصحة وجهة نظره حول قضية
معينة ،وبأخذ هذا الجدل وقتا ليس بسيطا
من الوقت المخصص لمناقشة البحث، مما
يضعف المناقشة حول البحث لتسلق في
النهاية سلقا بسبب ضيق الوقت وملل الحضور،
فان دل هذا على شيء فهو يدل على عدم
صحة اختيار اعضاء اللجنة من قبل هيئة
المكتب، ثم على عدم التنسيق بين اعضاء
اللجنة الواحدة . فالمطلوب "لجان مناقشة"
متخصصة معدة نفسها للخوض في هذا او ذاك
البحث القانوني ومنسقة فيما بينها وتحكم فعلا
وبموضوعية فيما اذا كان البحث صالحا او انه
لم يلب الهدف. وتجدر الاشارة الى ان لدور
اللجنة اهمية خاصة في تقرير مصير المحامي
المتدرب فيما اذا سيسجل استاذا ام لا .

تعميم البحث القانوني ودوره في توعية الجماهير :-

يفترض في المحامي المتدرب ان يقدم
على الاقل خمسين نسخة من بحثه للنقابة
التي توزع قسما منها على المحامين
المتدربين وعلى لجنة المناقشة والى مركز
النقابة في عمان وتحتفظ بعدة نسخ في المقر.
وبسبب عدم قدرة المحامي المتدرب المالية
على زيادة عدد النسخ المطبوعة وتوسيع
انتشارها، حيث يكلف هذا مبالغ باهظة
تساهم النقابة بجزء بسيط منها (٣٠ دينارا
لكل بحث) ومن الضروري اعادة النظر في هذا
المبلغ المتواضع لزيادته ، فلهذه الاسباب
تبقى معظم الابحاث محدودة الانتشار وقد
تقتصر على مركز النقابة . وفي الحقيقة فان
النقابة تقوم باعادة طبع ونشر بعض ابحاث
القانون الدولي، وخاصة ما يتعلق منها
بالاراضي المحتلة وبالاحتلال وممارساته، الا
ان ذلك يبقى مقصورا على جهات وأشخاص
معدودين. لذلك أرى ان من الضروري ان يتم
توسيع نشر الابحاث القانونية الجيدة سواء في
القانون الدولي او القانون الجنائي ليشمل
ذلك جميع المؤسسات ومراكز الابحاث
والجامعات والكليات والجمعيات الخيرية
والنقابات العمالية والصحف المحلية ووسائل
الاعلام المختلفة وهذه ليست مهمة صعبة على
النقابة، ومن واجبها القيام بذلك وبسهل

Digitized by Birzeit University Library

على النقابة تنفيذ هذه المهمة اذا ماتوجهت نحو تنشيط اللجان الفرعية ذات النشاط المتواضع... لتقوم ليس بمساعدة الباحث على اخراج بحث جيد فحسب، بل وتوزيع الابحاث الجيدةوشرحها للمهتمين في منطقتهم وتنظيم المحاضرات الخاصة بالقانون الساري ثم ،ما الذي يمنع هيئة مكتب محامي الضفة الغربية من اصدار مجلة او نشرة شهرية او فصلية على غرار "المهندس" التي تصدر عن نقابة اصحاب المهن الهندسية او المجلة الصادرة عن مجلس النقابة في عمان . ان وجود مجلة كهذة سوف تساعد على زيادة وعي المحامين عن طريق نشر القوانين المتجددة وتفنيدها ، بالاضافة الى نشر تلخيص للابحاث الجيدة التي يقدمها المحامون المتدربون ونشر الاوامر العسكرية التي تصدر بكثرة وفضح مغزاهاليتطابق هذا مع نص المادة الخامسة ، البند الثاني والثالث من قانون نقابة المحامين النظاميين في معرض الحديث عن اهداف النقابة، فينص البند الثاني على :-

- تنظيم جهود اعضاء النقابة لتطوير الفكر القانوني في خدمة الحق والعدل والتقدم والمساهمة في تطوير التشريع ابتغاء تيسير العدالة بغير موانع مادية او تعقيدات ادارية .
- اما البند الثالث :- تنشيط البحوث القانونية وتشجيع القائمين بها ورفع المستوى العلمي لاعضاء النقابة .×

كما ان هذا مفيد جدا ايضا لكافة قطاعات شعبنا .. في ظروف اللا عدالة السائدة هنا .

وفي ختام دراستي هذه ارجو ان اكون قد بلغت الهدف وارجو ان يأخذ المحامون المتدربون والنقابة ما قدمته من اقتراحات لتطوير البحث القانوني مأخذ الاهتمام والجد ،مع تأكيدي على ان الوصول الى نتائج افضل ،وتقديم ما هو اكثر فائدة للمحامين لمساعدتهم في خدمة شعبهم، كان الهدف الاساسي لهذا البحث .

ملحـــــــق

مراحل البحث للقانوني من البداية الى النهايـــة :-

أ - مرحلة الاستعداد والاختيار وتتضمن :-

١) الاستعداد الذاتي .
٢) القدرة العلمية .
٣) اختيار موضوع البحث.
٤) الرغبة النفسية .

ب- مرحلة جمع المصادر والمراجع وتشمل :-

١) مراجع ومصادر نظرية - الكتب والمجلات
٢) مراجع ومصادر عملية - الاستمارات والمقابلات.
٣) مصادر ومراجع عامة .
٤) مصادر ومراجع متخصصة .

وتثبت المعلومات عن طريق الملفات او الكارتات ويفضل هنا جمع احدث المصادر والمراجع .

جـ-مرحلة القراءة والتفكير وتشمل :-

١) القراءة المنهجية .

×قانون نقابة المحامين النظاميين ، رقم ١١ / ١٩٧٢ .

Digitized by Birzeit University Library

٢) الاطلاع اولا على المصادر .
٣) قراءة المراجع الحديثة جدا .
٤) تأمل فن اللغة القانونية (او لغة اى موضوع علمي آخـر) .
٥) تدقيق السياسة التشريعية .
٦) تدقيق آراء الفقهاء .
٧) تدقيق السياسة القضائية .

ويمكن تقسيم هذه المرحلة الى :ـ

١) قراءة أفقية (قراءة شاملة للمصدر) ـ قراءة الكتب العامة .
٢) قراءة عمودية (قراءة الجانب المعني في كل المصادر) ـ قراءة الكتب المتخصصة.

د ـ مرحلة الاستنتاج والكتابة وتشمل :ـ

١) المقدمةوعناصرها :
- ماهية موضوع البحث
- اهمية وضرورة الموضوع .
- اسباب اختيار الموضوع .
- المشكلات النظريةوالعملية لموضوع البحث
- المشكلات النظريةوالعملية لموضوع البحث
- نطاق الموضـــوع .
- منهج البحث (وصفي ـ تحليلي) ـ خطة البحث

٢ ـ ماهية الخطة :ـ المقدمة . ـ المتن اصل البحث (الفصل ـ الفرع ـ المبحث ـ المطلب ـ اولا ـ ثانيا) الخاتمة .
٣ ـ الباب التمهيدى ويحوى :ـ
- فكرة عامة عن النظام او الانظمة التي يتناولها البحـث .
- تحديد الاصطلاحات المتعلقة بالبحث .
- تهيئة ذهن القارئ الى ما سوف يرد بصلب البحث .

٤ ـ كتابة الهوامش والحواشـــي .
٥ ـ استعمال المعلومات المترجمة .
٦ ـ الكتابة بلغة قانونية .
٧ ـ تسلسل الافكار :
- التسلسل الشكلي للعرض (الشكلي)
- التسلسل الموضوعي للافكار (عرض العام قبل عرض الخاص) .
- عرض رأى الباحث .
- البدء بمسألة والانتهاء منها .
- ترتيب الجمل ترتيبا منطقيا .
٨ ـ الامانة العلمية . (نسبة الاراء الى قائليها الحقيقيين) .
٩ ـ الدقة العلمية شكليـــا :
- انسجام عنوان البحث مع محتواه .
- دقة العناوين الفرعية .
- عدم ذكـر معلومات دون تبويب .
- الدقة في نسب الحكم القضائي .

موضوعيا : ـ عدم تفسير الاحكام القضائية عن عن خلاف منطوقها .
- عدم تعميم حكم قضائي معين واعتباره سياسة قضائية .
- طرح البديل عند نقد الاراء الاخرى .
- سلبيات وايجابيات النظام القانوني .
- تقييم السياسة القضائية .
- اثبات ما يُشك به .

١٠ ـ التأصيل العلمي :ـ البدء بكتابة ما استقاه الباحث من معلومات خلال دراسته للمراجع والمصادر بالطريقة العلمية وأن يبلور الباحث هدف بحثة بوضوح ليستفيد منه الاخرون .

١١ ـ التوازن الهيكلي :وهو التوازن بين

Digitized by Birzeit University Library

اقسام البحث شكليا وموضوعيا (عدد الصفحات في كل فصل وتخصص الفصول في المعلومات المطروحة) .

١١ ـ الايجاز : وهو تقديم جوهر المعلومات وجوانبها الاساسية بأقل عبارات ممكنة .

١٢ ـ تلافي التكرار ـ عدم ايراد المعلومات نفسها اكثر من مرة .

١٤ ـ صياغة الخاتمة : وتشمل الاستنتاجات والاقتراحات .

١٥ ـ تنظيم قائمة المصادر والمراجع وترتب حسب الابجدية وحسب الاولوية :ـ

أ ـ المراجع العامة ب ـ المصادر الخاصة
جـ ـ الابحاث والمقالات د ـ التقارير والوثائق والمستندات .

١٦ ـ المحتويات : الباب ـ الفصل ـ البحث المطلب ـ اولا ـ ثانيا .....

هـ ـ مرحلة الطبع :

١) القاء نظرة اخيرة على ما تم كتابته بتفحص .
٢) تلافي الاخطاء الاملائية والنحوية .
٣) جودة الطبع .
٤)) تلافي الاخطاء المطبعية .*

المصادر :ـ

١) د . عبد القادر الشيخلي ـ اعداد البحث القانوني ـ عمان ١٩٨٢ .
٢) د . فاخر عقل أسس البحث العلمي ـ الطبعة الاولى ، بيروت ١٩٧٩ .
٣) مجموعة التشريعات المتعلقة بالمحامين ـ نقابة المحامين ـ عمان ١٩٨١ .
٤) مجلة "الكاتب" العدد ٦٤ .
٥) ارشيف نقابة المحامين .

*هذا التقسيم حسب الدكتور عبد القادر الشيخلي .

Digitized by Birzeit University Library

قضية الحرية الإنسانية في الفكر التراثي العربي ـ الاسلامي

بقلم : حسيـــن مروة

شغلت هذه القضية من الفكر التراثي العربي ـ الاسلامي (١) ما لم تشغله اية قضية اخرى من قضاياه الكبرى . لكن ينبغي ان نفهم، منذ البدء ، ان مقاربة الموضوع مقاربة معاصرة تتوقف على تحديد الاطار التراثي الذي عولجت ضمنه قضية الحرية الانسانية في الفكر العربي ـ الاسلامي خلال العصر الوسيط فانه ليس لنا حق التصرف بمصطلح "الحرية الانسانية" في معالجة موضوع تراثي كهذا ، انطلاقا من دلالة هذا المصطلح في عصرنا الاخير ذلك بأن الانطلاق من دلالته المعاصرة هذه، دون النظر اليه في اطاره التراثي نفسه، يعني الابتعاد عن موضوعية البحث ، وعن تاريخية القضية، وعن اصولية التراث ايضا .. نحن في عصرنا الاخير نفهم الحرية الانسانية انها الحق الطبيعي لكل كائن بشري، فردا كان ام جماعة، ان يتمتع ـ فعلا ـ بحرية الارادة والعمل، وحرية التفكير والتعبير، وحرية الاعتقاد والانتماء . وأن هذا الحق فوق كونه طبيعيا ، هو مكتسب ايضا بالكفاح الطويل الامد وبالمشقات والعذابات الهائلة، وأنه بفضل هذا الكفاح وهذه المشقات والعذابات، أصبح حقا شرعيا بدهيا التزم الاعتراف به اعظم اعلان اصدرته الامم المتحدة، هو الاعلان العالمي لحقوق الانسان ، والتزمت الاعتراف به كذلك مختلف الاعراف والمواثيق والقوانين الدولية الصادرة في هذا العصـــر ...

نحن في عصرنا هذا نفهم الحرية الانسانية، اذن، انها حق طبيعي ومكتسب وشرعي وبدهي للكائن البشري لمجرد كونه كائنا بشريا ، ونفهمها اذن حرية واقعية مرتبطة بالوجود الواقعي ـ التاريخي ، لهذا الكائن البشري ابن الارض .

لكن الحرية الانسانية في اطارها التراثي العربي ـ الاسلامي، تتخذ وجها آخر، وتنحو بعلاقاتها الذهنية منحى آخر .. فهي هناك

١) صفة "العربي ـ الاسلامي" للتراث تختص هنا بالتراث الفكري للمجتمع العربي ـ الاسلامي

Digitized by Birzeit University Library

نقدم لنا نفسها بوجه ميتافيزيقي يستمد ملامحه الخاصة من ميتافيزيقا الاسلام ذاتها، كما يستمد اشكاليته الفكرية من اشكالية الفكر الميتافيزيقي الاسلامي ذاته .. غير انه يبقى للقضية مضمونها الواقعي رغم الطابع الميتافيزيقي الذى ظهرت به داخل اطارها التراثي ذاك .. وأعني بمضمونها الواقعي كونها، بجوهرها، قضية الانسان الواقعي ابن الارض، اى قضية حريته الكيانية المرتبطة بوجوده الارضي دون ان تتأثر هذه العلاقة تأثرا جوهريا بالوجه الميتافيزيقي الذى اتخذته القضية في موقعها من التراث .. فهي بهذه العلاقة ذاتها، لا بوجهها الميتافيزيقي، دخلت حركة الصراع الاجتماعي والفكرى والسياسي والايديولوجي منذ بدأت حركة الصراع هذه تاريخها العربي ـ الاسلامي، أى منذ دخل الاسلام تاريخه بالفعل كحركة تغيير وتحويل نوعيين في حياة المجتمع العربي ـ الاسلامـــي (٢).

حين اتخذت قضية الحرية الانسانية موقعها في الفكر العربي ـ الاسلامي، انما اتخذت هذا الموقع كقضية ذات طابع لاهوتي كاد ـ في ظاهر الامر ـ ان يكون وحيد الجانب أى لاهوتيا صرفا .. لان القضية اثيرت في البدء على سبيل البحث في اشكالية العدل الالهي من حيث استحقاق الانسان للثواب او العقاب الالهيين على الافعال الصادرة عنه .. الاشكالية هنا ان هذا الاستحقاق يتوقف على كون افعال الانسان صادرة عن ارادته، اى عن حريته واختياره، في حين ان القول بصدورها عن هذه الارادة يؤدى الى انكار اثر الارادة الالهية، هنا، مع كونها ارادة شاملة ومطلقة. فالمسألة اذن تدور بين خيارين لا ثالث لهما: اما ان الانسان يأتي افعاله حرا مختارا، فيستحق عليها ثواب الله او عقابه، واما ان يأتي افعاله بارادة الله وحده، وحينئذ يكون الثواب او العقاب مخالفا للعدل الالهي .. هكذا بدأت قضية الحرية الانسانية في تاريخ الفكر التراثي العربي ـ الاسلامي، حاملة اشكاليتها الكبيرة التي ظلت تعتمل داخل اطارها التراثي، لكن حاملة ايضا حيوية الصراع الاجتماعي والفكرى والايديولوجي الى مجمل الحياة الفكرية العربية ـ الاسلاميـــة .

xxxxxxxxx

من هذا التحديد المنهجي لموضوع البحث، ندخل في محاولة الاجابة عن السؤال الكبير :

ـ لماذا شغلت قضية الحرية الانسانية كل تلك المساحة الواسعة من تاريخ الفكر التراثي العربي ـ الاسلامي ؟.

مرجع ذلك، في تصورى، عاملان اثنان: أولهما ـ ضرورات التطور الاجتماعية التي رافقت ظهور الاسلام كدعوة توحيدية هدفها ذلك التغيير التحويلي العميق .. فدعوة الاسلام جاءت مجتمع شبه الجزيرة العربية لتغيير اوضاع كانت قد استنفدت وظيفتها التاريخية وأدركتها الحاجة الحتمية

٢) مصطلح "المجتمع العربي ـ الاسلامي" يختص هنا بالمجتمع العربي الممتد وجوده الكياني المؤسسي ما بين انتصار الاسلام بفتح مكة وبدء سيطرة الاتراك العثمانيين على الخلافة الاسلاميـــة .

Digitized by Birzeit University Library

الى التغيير النوعي، تعني بها الاوضاع الاقتصادية والاجتماعية والعقلية المتصلة مباشرة بالانسان ككائن بشرى واقعي ارضي، لا كمفهوم تجريدى او كمعنى مطلق .. ان ضرورات التطور هذا كانت تحتم ، موضوعيا ، اعادة النظر في كل العلاقات السائدة حتى نهايات القرن السادس الميلادى، وفي كل المواضعات القائمة عليها اشكال التعامل بين الانسان والطبيعة والكون مباشـــرة .

في عمق هذه الضرورات الواقعية الموضوعية، كانت لا شك تكمن ضرورة تتعلق بحرية الانسان .. فان هذه الحرية ظلت ، خلال كل العصور السابقة، خارج اطر البحث، فضلا عن ان تكون داخلة اطر الممارسة .. لكون الانسان نفسه، منذ نشأة المجتمعات الطبقية، لا يحظى بالنظر اليه كقيمة بذاته، فكيف تحظى حريته اذن بقدر من مثل هذا النظر ؟ .. وفي شبه الجزيرة العربية كان نظام القبيلة السائد، بعد تفكك نظام الاقتصاد الطبيعي، لا يرى في الانسان اكثر من وسيلة او اداة لحماية القبيلة .. لكن تطورا ما كانت تهب رياحه على شبه الجزيرة من كل جهات العالم المحيطة بها ، وكانت له علامات غامضة ترتسم على مجمل الحياة العربية هناك .. وقد ظهر الاسلام وعلامات التطور هذه تتوضح ، قليلا قليلا ، وتتوجه نحو الانسان لتكسر عنه غلاف الاهمال التاريخي، أى لتكشف عن وجوده كقيمة كونية لا بد من رعايتها . .

لقد جاءت الدعوة الاسلامية بتعبيرات عن هذه الرعاية للانسان وللحرية الانسانية ، كاشفة عن تلك الحاجة التاريخية الى اعادة النظر في العلاقات والمواصفات التي كانت سائدة في مرحلة ما قبل الاسلام ، وكانت قد استنفذت دورها عند ظهور الاسلام .

والعامل الثاني ــ يبدأ من كون قضية الحرية الانسانية اخذت تكتسب ابعادا في العمق من تاريخية الاسلام ، أى من التصاقه اكثر فاكثر بحركة الواقع التاريخي، ومن دخوله عملية التأثير الفعلي في مسار هذه الحركة على الصعيد العربي قبل انتشار الفتح الى خارج الارض العربية ، وعلى اكثر من صعيد عالمي بعد امتداد الفتح الى جهات العالم الاربع ، عالم ذلك العصـر .

مع بدء تاريخية الاسلام ، بمعناها الحركي هذا ، تبدأ الحرية الانسانية عملية التخطي، اعني تخطي نواتها المعرفية اللاهوتية ، لتضيف الى هذه النواة خصب الارتباط بحركة الصراع الاجتماعي ــ السياسي الآخذ بالاحتدام منذ مصرع الخليفة الراشدى الثالث، عثمان .. فمنذ ذلك الزمن العصيب أرسي الاساس الواقعي المادى لقضية الحرية الانسانية، ولامتدادها وانتشارها على اوسع مساحة من تاريخ الفكر التراثي العربي ــ الاسلامي .. فان التطورات التي جاءت خلال هذا الزمن نفسه، وابرزها نهوض دور الامويين في تأسيس الدولة العربية ــ الاسلامية كمؤسسة ذات مضمون حضارى، بدأت هذه التطورات الايجابية تنتج نقيضها السلبي، وهو هنا تعريض الحرية الانسانية لسياسة الردع والقمع باسم المؤسسة ذاتها، وخرج في المجتمع الاموى، وفي صفوف العلماء والمثقفين خصوصا ، من يتصدى لذوى السلطة المؤسسية دفاعا عن حرية الانسان ،ومعارضة لسياسة التسلط المطلق على المجتمع بحجة حماية الاسلام والشريعـــة ....

بقدر ما كانت سياسة التسلط هذه تمتد ، في ما بعد ، الى العصور العربية ــ الاسلامية

Digitized by Birzeit University Library

اللاحقة، كانت قضية الحرية الانسانية تتعمق ابعادها، اكثر فاكثر . في ارض الواقع الاجتماعي ـ السياسي، وفي معركة الصراع الفكـــري ـ الايديولوجـــي .

هـذان العاملان كانا مصدر استحقاق الحرية الانسانية ان تكون لها في الفكر التراثي قضية، وان تكون قضيتها بهذا القدر من العمق والامتداد في هذا الفكر التراثي .

xxxxxxx

رأينا، في ما سبق، ان النواة المعرفية اللاهوتية لقضية الحرية الانسانية يتكون مضمونها من اشكالية العلاقة بين الله وارادة الله، ارادة الانسان بشأن افعال الانسان .. وتتلخص هذه الاشكالية بالسؤال التالي :

ـ هل الانسان مجبر، بمعنى ان ارادة الله وحدها مصدر افعاله .. او هو مخير، بمعنى ان افعاله تصدر عن ارادته واختيـــاره ؟.

اما الاساس الذي انطلق منه السؤال، او الاساس الذي عنه حدثت اشكالية العلاقة هذه، فهو الاساس القائم في نظرة الاسلام الى الانسان / البشر ... ففي النص القرآني ايات ناطقة صراحة برفع مكانة الانسان هذا الى مرتبة الكائن الامثل بين سائر الكائنات في الوجود (* ١) وهذه النظرة الى الانسان تقتضي ان يتميز عن سائر الكائنات بالمميزات التي تحقق له بالفعل مكانته الرفيعة حيث وضعه النص القرآني .. وليس هناك مميزة تؤادي هذه المهمة افضل من ان يكون الانسان حرا مختارا في افعاله، اى ان يكون له حق التصرف بشؤون حياته وفق ارادته واختياره ..

لكن هذه المسلمة تصطدم ـ فورا ـ بمسلمة اخرى هي من الاوليات البدهيات في ميتافيزيقا الاسلام، اعني بها كون ارادة الله حاكمة بوجه مطلق على كل الافعال لكل الكائنات دون استثناء لافعال الانسان.

من هنا تبدأ اشكالية القضية .. لكن النص القرآني لا يدع الاشكالية معلقة دون ان يفتح لها الطريق الى الحل .. فقد وضع لها بالفعل رسوم هذا الطريق بما ورد فيه من آيات كثيرة تقول، صراحة ايضا، بحرية الانسان ان يفعل الفعل او يترك (* ـ ٢) .. غير ان النص القرآني نفسه يهمل ايضا ما ظاهره نقيض ذلك . فهناك آيات كثيرة

(* ـ ١) من هذه الايات مثلا :

"ولقد كرمنا بني آدم، وحملناهم في البر والبحر ورزقناهم من الطيبات، وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا" (سورة الاسراء .. الايه : ٧٠).

" الم تروا ان الله سخر لكم ما في السماوات وما في الارض، واسبغ عليكم نعمة ظاهرة وباطنة " (سورة لقمان، الاية ٢٠).

(* ـ ٢) من هذه الايات مثلا :

- " فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يرى، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يرى " (سورة الزلزلة، الاـــــة : ٧).
- "ومن يعمل صالحا فلنفسه، ومن اساء فعليها " (سورة الجاثية، الاية : ٤٦) .

" دلالة هذه الايات على حرية الانسان من حيث كونها تضع عليه مسؤولية افعاله، وذلك لا يصح الا مع حرية الفعل والترك .

Digitized by Birzeit University Library

دل ظاهر مسطورنا على عكس ما دل عليه ظاهر منطوق الايات الاخرى، الدالة على حرية الانسان . نقرأ هذه الاية . " فمن يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام . ومن يرد ان يضله، يجعل صدره ضيقا حرجا، كأنما يصعد في السماء، كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون " (سورة الانعام . الاية : ١٢٥). هنا واضح ان لا ارادة للانسان في هداه ولا في ضلاله، بل الارادة كلها في الحالين مرجعها الى الله وحده ..

امام هذين الموقفين للنص القرآني، تتعقد الاشكالية من جديد .. ومن هذه العقدة الاخيرة يتخذ انقسام المواقف الاجتماعية والفكرية والايديولوجية، في المجتمع العربي ـ الاسلامي، نهجين مختلفين، بل متناقضين : نهج القائلين بان الانسان مخير، مستندا الى الجانب الاول من النص القرآني، اى الجانب الذى يقف مع حرية الانسان .. ونهج القائلين بان الانسان مجبر، مستندا الى الجانب الثاني من النص القرآني. أى الجانب الذى يقف ظاهرة مع جبرية الانسان.

يبدأ اختلاف النهجين من نقطة الخلاف حول مفهوم العدل الالهي، من حيث علاقته بمسؤولية الانسان عن افعاله .. لكن المعركة الاجتماعية ـ السياسية، ثم تطور المعركة الفكرية ـ الايديولوجية، حوّلا الاختلاف بين النهجين من هذه النقطة الى نقطة الخلاف حول القضية المركزية الجديدة، قضية الحرية الانسانية، كقضية قائمة بذاتها كادت تختفي علاقتها بقضية العدل الالهي .. ان هذا التحول يرجع الى اساس اجتماعي ـ سياسي، هو بروز سلطة الخلافة الاسلامية، منذ استقرار العهد الاموى، كسلطة استبدادية مطلقة، بزعم كونها تمثل ارادة الله على الارض .. فقد كان من منطق السلطة الاستبدادى المطلق ان يولد منطقا آخر معارضا له يخرج من صفوف الناس الذين يناهضهم هذا التسلط بالظلم والاضطهاد ، او الناس الذين يحملون صوت هؤلاء المظلومين المضطهدين. وانه لمن منطق الامور ايضا ان يكون سلاح المعارضين من جنس سلاح المتسلطين .. من هنا كان الاختلاف حول الحرية الانسانية، يتخذ من النص القرآني سلاحه في كلا طرفي الاختلاف ، مادام النص القرآني ذاته حمل كلتا وجهتي النظر المختلفتين، اى ما دام هناك نص مع حرية الانسان ونص مع جبريه أفعاله .. كان الجدل يدور على ما يقوله ظاهر كلا النصين القرآنيين

لقد اتفق في تاريخ هذا الجدل ان الذين حملوا صوت المعارضة، هم في وقت واحد من المضطهدين المظلومين ومن المؤهلين فكريا واسلاميا، لحمل سلاح المعارضة، أى سلاح العلم الاسلامي نفسه، وهو هنا سلاح النص القرآني من جانبه الاخر الذى يقف ظاهره مع حرية الانسان. اعني ان هؤلاء المعارضين خرجوا من صفوف "الموالي" الذين كانوا يشكلون، عند بداية المعركة هذه، معظم فئة المثقفين الاسلاميين البارزين .. كان اضطهاد "الموالي" في العصر الاموى ، ذا وجهين : وجه طبقي ، ووجه عنصرى .. فمن جهة اولى كان " الموالي" في الغالب من فئات الفقراء في المجتمع العربي ـ الاسلامي .. ومن جهة ثانية كانوا في الغالب ايضا من غير العرب .. فكانت سياسة التسلط الاستبدادى تنال هذه الفئة الاجتماعية ـ الفكرية من كلتا الجبهتين . الطبقية والعنصرية .

من هنا يأتي التفسير التاريخي لظاهرة كون معظم الذين انحازوا لقضية الحرية الانسانية من " الموالي" وكون معظم الذين

Digitized by Birzeit University Library

انحازوا لقضية الجبريين من رجالات بطانة الدولة ومن الدائرين في فلكها او المرتزقين على مائدتها ... ومن هذا الباب دخلت تاريخ الفكر التراثي تلك القضية المعروفة بقضية القدرية والجبرية .. وقد تلخصت القضية في هذه المرحلة بان السلطة القائمة، سلطة الخلافة الاسلامية، هل هي سلطة الارادة الالهية، فهي ـ اذن ـ لا تقبل المعارضة ولا تقبل التغيير مطلقا، ام هي سلطةتحكم الناس استبداداً وقهرا لا لمصلحة جميع الناس المحكومين ،بل لمصلحة الحاكمين ومن يلوذ بهم، فهي ـ اذن ـ يمكن ان تقوم بوجهها معارضة، ويمكن ان يعمل اناس لتغييرها ، ويمكن اخيرا تغييرها ... من هذا المنطلق قامت السلطة الاموية بمطاردة القدريين القائلين بحرية الانسان، واضطهادهم .. وقد ادرك المستشرق غولد تسهير هذه الحقيقة، فقال ان الامويين كانوا يكرهون القدريين لا عن ضيق منهم بالمناقشات الكلامية بحد ذاتها ،بل لانهم كانوا يرون في زوال عقيدة الجبر خطرا على سلطانهم (٣)، وادركها من الباحثين العرب المحدثين احمد امين، فقال : ان بني امية كانوا ـ كما يظهر ـ يكرهون القول بحرية الارادة، لا دينيا فقط، ولكن سياسيا كذلك، لان الجبر يخدم سياستهم، فالنتيجة للجبر ان الله الذى يسير الامور قد فرض على الناس بني امية كما فرض كل شيء ، (وفرض) . دولتهم بقضاء الله وقدره، فيجب الخضوع للقضاء والقدر (٤).

ونحن نجد في تاريخ المرحلة الاموية نفسها شاهدا صريحا على هذه الحقيقةما يرويه المؤرخون ان معبدا الجهني وعطاء بن يسار اتيا الى الحسن البصرى وقالا له : " يا ابا سعيد .. هؤلاء الطوك يسفكون دماء المسلمين ويأخذون أموالهم ويقولون : انما تجرى اعمالنا على قدر الله تعالى .. فقال لهما الحسن البصرى : كذب اعداء الله"(٥)

بعد هذا كله، نرى ان من الصحيح القول بان قضية حرية الانسان اتخذت بعداً ايديولوجيا منذ العصر الاموى، وقد ظل يصاحبها هذا البعد الايديولوجي في العصر العربية ـ الاسلامية اللاحقة .. فبعد جماعة " القدرية" جاءت مرحلة المعتزلة الذين كان نشاطهم ،خلال حركةالفكر العربي ـ الاسلامي، نشاطا خصبا وكان لقضية الحرية الانسانية بمفهومها التراثي، دور ملحوظ وطاغ في هذا النشاط، لان المعركة الايديولوجية في مرحلة المعتزلة اتخذت طريقها نحوالمزيد من الاحتدام .. لقد وقف المعتزلة مع قضية الحرية الانسانية، وحاربوا الجبرية بحزم .. وبعد المعتزلة كانت القضية ذاتها تدخل المعركة من جديد كلما تجددت معركة الحرية الانسانية، لكن شكل دخولها كان يختلف من مرحلة الى اخرى تبعا لاختلاف الظروف الزمنية واختلاف مستويات تطور الوعي

٣) غولد تسهير Galdsiher : العقيدة والشريعة في الاسلام ، الطبعة العربية، القاهرة : ١٩٥٩ ، ص ٧٦ ـ ٧٧

٤) احمد امين : ضحى الاسلام ، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة ١٩٤٩ ، ج ٣، ص ٨١ .

٥) طاش كبرى زادة : مفتاح السعادة ، حيدر آباد ١٣٢٩ هجرية ، ج٢ ، ص ٣٣٠

Digitized by Birzeit University Library

الاجتماعي والفكري بين عصر وآخر .. ففي حين ظهرت القضية في مرحلة المعتزلة، بشكل متطور ومتقدم عما ظهرت به في مرحلة القدريين، نجدها تظهر بشكل اكثر تطورا وتقدما في عصر الفلسفة العربية ـ الاسلامية، بعد استقلال هذه الفلسفة عن علم الكلام بطابعه اللاهوتي الواضح .. فقد اقترنت معالجة قضية الحرية الانسانية هذه في الفلسفة العربية ـ الاسلامية بمعالجة قانون السببية كمبدأ كوني في تفسير العالم ، يعني ان لا شيء في هذا العالم يحدث بقضاء وقدر محضا ، بل كل شيء وكل فعل انما يحدث باسبابه العقلانية، ومنها ارادة الانسان الفاعلة بحرية واختيـــار .

xxxxxxx

الاستنتاج الاساسي الذي نخرج به من هذه النظرية التحليلية ، هو انه " كانت هناك ، طوال عصور التاريخ العربي ـ الاسلامي ، حاجة (موضوعية) الى ظهور مفكرين مؤهلين للتعبير عن واحد اوكل من طرفي الصراع بين طبقات وفئات مستثمرة (بكسر الميم) وبين طبقات وفئات مستثمرة (بفتح الميم) ... وقد اتفق ان الطبقات والفئات الاولى في المجتمع العربي ـ الاسلامي كانت دائما تستغل النصوص الدينية الاسلامية ذات الصبغة الظاهرية بالجبرية ، لتتخذ منها سلاحا نظريا وسياسيا وايديولوجيا تدافع به عن وجودها وتبني فكرة تخليد سيطرتها ،وتجعل منه ـ في الوقت نفسه ـ اداة لزرع روح الاستسلام الى الاقدار في نفوس الطبقات والفئات الاخرى المستثمرة (بفتح الميم)، وتخدير ثوريتها وخنق مطامحها وكفاحيتها الطبقيـــة " (٦).

"عن النهج"

٦) حسين مروة : النزعات المادية في الفلسفة العربية الاسلامية . دار الفارابي بيروت ١٩٨١ ط ٤ ج ١ ص ٥٩٤ .

Digitized by Birzeit University Library

جذور الخلاف في الحركة التشكيلية في الضفة الغربية وقطاع غزة

بقلم : كريم دباح ـ رئيس الهيئة الادارية لرابطة الفنانين التشكيليين

بيان من رابطة التشكيليين في الضفة والقطاع

بعد البيان الذى نشره بعض الزملاء الفنانين في الصحف المحلية بتاريخ ٨٥/٨/١٥ تداعت الهيئة العامة لرابطة الفنانين التشكيليين في الضفة الغربية وقطاع غزة، لعقد اجتماع استثنائي بتاريخ ٨٥/٨/٢٨، حيث جرى بحث مجمل اوضاع الحركة التشكيلية وتم اتخاذ القرارات التالية باجماع الاراء :

١ ـ تتمسك الهيئة العامة بالنظام الاساسي للرابطة وتعتبر بيان ٨/١٥ غير ملزم لها. وغني عن القول انه لا يحق لاى كان حل الهيئة العامة واعادة تنسيب الفنانين في الرابطة، خاصة وان غالبية الاعضاء في الهيئة الادارية تعارض البيان المذكور .

٢ ـ توافق الهيئة العامة ان بعض الزملاء يحاولون حرف الرابطة عن خطها السليم وتقسيمها الى كتل متصارعة كما حدث في النقابات والمؤسسات في الداخل والخارج تمهيدا لربطها بطرف معروف تنازل عن الشخصية الاعتبارية المستقلة للشعب الفلسطيني .

٤ ـ وتعتبر الهيئة العامة ان الرابطة التي وجدت منذ ما يزيد على عشر سنوات، تمثل بصدق المصالح الحقيقية للفنانين الفلسطينيين .

لقد قام بعض الفنانين في العام الماضي بحركة انشقاقية تحت اسم "اتحاد الفنانين" بعد ان فشلوا في دخول الهيئة الادارية للرابطة. والان فاننا نرى ان بعض زملائنا من الرابطة قد انضموا "للاتحاد" واضعين انفسهم في خدمة نفس اهدافه الانقسامية المشبوهة ..

٥ ـ تعتبر الهيئة العامة ان الهيئة الادارية الي انتخبت بشكل ديموقراطي في العام الماضي قد احرزت انجازات لم يسبق لها مثيل منها :ـ معرض ضد الاحتلال مع الفنانين التقدميين. المعرض المشترك مع الفنانين الاسرائيليين تحت عنوان "ضد الاحتلال".

× معرض يوم الارض في الناصرة .

× معرض "الربيع "في قاعة الحكواتي بالقدس

Digitized by Birzeit University Library

× المعارض السخصية لبعض الزملاء .

× والنشاط الاعلامي المكثف الذى رافق هذه المعارض .

والمؤسف ان يتجاهل بعض الزملاء انجازات الرابطة التي بلغت مستوى متقدما في الكم والنوع والتنظيـــم .

٦- وقد لاحظت الهيئة العامة بأسف شديد ان بعض زملاء الهيئة الادارية يحاولون دق اسفين بين فاني الضفة وفاني القطاع ، كما لاحظت الهيئة العامة بأنهم ينظرون الى فاني القطاع وكأنهم في مستوى اقل من زملائهم في الضفة .

فعندما كان بعض اعضاء الهيئة الادارية الحاليين بحاجة للدعم من قبل الفانين في القطاع ضد الانشقاق الذى اعلنه "الاتحاد" الاف الذكر، جاءوا يركضون الى غزة .. ولكنهم وقد تثبتت اقدامهم ،اداروا ظهورهم للفانين في القطاع وانضموا للمنشقين ضد الفانين في القطاع وضد الرابطة بشكل عام .

انهم يريدون الان معاقبة الهيئة العامة بعد ان فشلوا في الحصول على تأييدها بخطواتهم "الانشقاقية، ويريدون تحويل الرابطة الى هيكل نخبوى اجوف واستبعاد غالبية الاعضاء حتى يستأثروا لانفسهم بكل المكاسب المادية والمعنوية التي احرزتها الرابطة .

٧- ونلاحظ الهيئة العامة بأن المخططين لبيان ٨/١٥ يخافون الاسلوب الديموقراطي ويخافون مواجهة الهيئة العامة ولذلك فقد وقتوا بيانهم الانشقاقي قبل موعد الانتخابات للهيئة الادارية التي تتم في الشهر التاسع من كل عـــام ...

٨- ونلاحظ الهيئة العامة وبأسف شديد ايضا ، بأن بعض الزملاء في الهيئة الادارية للرابطة قد قاموا بتجاوزات خطيرة للنظام الداخلي، ومن هذه التجاوزات :-

أ - الاستيلاء على مالية الرابطة واوراقها

ب - لقد رفضوا تسليم احكام الرابطة لامس السر كما هو منصوص في النظام الداخلي ،كما رفضوا تسليم الختم الخاص باللجنة المحلية لقطاع غزة ورفضوا الاعتراف بهذه اللجنة المنتخبة بشكل ديموقراطي .

جـ - حاولوا استبدال عضوين من اعضاء الهيئة الادارية بشخصين غير منتسبين اصلا للرابطة بحجة المحافظة على وحدة الصف ، وفي الحقيقة من اجل فرض هيمنتهم على الهيئة الاداريـــة ..

هـ - رفضوا حضور اجتماعات الهيئة الادارية .

و - انفردوا بأقامة معارض شخصية في جامعة بيرزيت واخفوا حقيقة ان الدعوة الموجهة من الجامعة غير شخصية وانما باسم الرابطة .

ز - وكذلك فقد انفردوا في الدعوة للمشاركة في معرض القرن العشرين في امريكا . دون ان يبلغوا الهيئتين الادارية والعامة .

٩ - وبخصوص الزملاء الذين انفصلوا عن الرابطة وشكلوا ما يعرف باتحاد الفانين.. فأن الهيئة العامة للرابطة ترحب بعودة اى منهم الى صفوفها بالطرق العادية .. وترفض اية مواقف تحريضية او استزازية .

١٠ - ترثي الهيئة العامة للرابطة بأن تحل الهيئة الادارية الحالية للرابطة باعتبار ان مدتها القانونية قد انتهت واجراء انتخابات فورية من اجل متابعة المسيرة التشكيلية الفلسطينية بنفس الزخم السابق ودون الالتفاف للمهاترات والمعارك الجانبية .

١١ - ان الهيئة العامة للرابطة تتوجه

Digitized by Birzeit University Library

للمؤسسات الفلسطينية في الداخل والخارج ولاوسع اوساط الراى العام لكي يتفهموا موقفها المطروح في هذا البيان بروح المسؤولية الكاملة وبوحي من المصلحة العامة لجميع الفنانين .

واننا نتمنى من زملائنا الموقعين على بيان ٨/١٥ ان يعيدوا النظر في موقفهم ويعودوا للرابطة حتى نتابع معاالمسيرة التي كانت قد بدأت قبل عشر سنوات ونيف .

الهيئة العامة لرابطة
الفنانين التشكيليين

رأي الفنان فتحي غبن

ان البيان الذى نشر في الصحف بتاريخ ٨/١٥ تحت عنوان "بيان للفنانين الفلسطينيين في الضفة والقطاع" لا يمثل وجهة نظرى ، كماانني لم احضر الاجتماع بتاريخ ٤-٨/ كماهو مذكور في البيان .

انني لا اوافق على حل الهيئة الادارية للرابطة وأنا مقتنع بأنها قدمت خدمات كبيرة للحركة التشكيلية في الضفة والقطاع. واشير بشكل خاص للدور الذى قامت به الهيئة الادارية في انجاح المعرض المشترك مع الفنانين الاسرائيليين تحت عنوان "ضد الاحتلال ومن اجل حرية الفنان".

ان الهيئة الادارية كانت بعيدة عن اية "اعتبارات شخصية او حزبية ضيقة". وعلى العكس مما ورد في البيان المنشور في الصحف بتاريخ ٨/١٥ فان الهيئة الادارية للرابطة كانت تسير في اغلبها بموجب الخط الوطني الاصيل وبحسب النظام الداخلي للرابطة ..

وانني لا اوافق ابدا على ما ورد بالصحف ،و"حل الهيئة الادارية لرابطة الفنانين التشكيليين" .

ويجدر التنويه بأن" اتحاد الفنانين" هو الذى انشق عن الرابطة وتسبب في "حدوث انشقاق في هذه الحركة يغذيه ويعمق جذوره بعض المنفعين لاعتبارات شخصية او حزبية ضيقة" .

ما من احد يعارض وحدة الفنانين ،ولكن عن طريق الانتماء للرابطة الام . الرابطة ترحب بعودة كل الفنانين لاحضانها . وانني اتمنى ان يأتي اليوم الذى يصبح فيه الفنانون يدا واحدة وادعو الزملاء الموقعين على البيان المنشور بتاريخ ٨/١٥ ان يسحبوا تواقيعهم .

فتحي عبن
١٩٨٥/٨/١٥

جذور الخلاف في الحركة التشكيلية في الضفة الغربية وقطاع غزه

يجب الاعتراف بادئ بدء ، بأن الحركة التشكيلية المحلية في الضفة الغربية وقطاع غزة ما تزال في اول الطريق. ويكفي للدلالة على ذلك مقارنتها بالاشكال الابداعية المحلية الاخرى، او بمثيلاتها في العالمين العربي والعالم الثالث، فضلا عن الاشكالات والمصاعب الراهنة .

Digitized by Birzeit University Library

ولا يخطر على بال احد، بأن الاقرار بالواقع المرير يعني غسل الايدى من هذا الشكل الهام من اشكال الثقافة، او ان آفاق التطور اصبحت مغلقة امام الفنون التشكيلية المحلية، او ان الفن معزول عن السياق العام للمسيرة العامة بكل تعقيداتها وهزائمها وانتصاراتها المحدودة ..

ولعله من المفيد بعد انشقاق رابطة التشكيليين ،مراجعة الماضي والكشف عن الظروف التي تتحرك في ظلها الحركة التشكيلية واسباب ضعفها وكوامن خصوبتها .. وصولا الى الموقع الفعلي الذى تحتله الرابطة بكل طموحاتها وآمالها ..

ان المراجعة والتفكير في الطريق التي قطعتها الحركة التشكيلية، لا بد ان يشير كذلك الى الدرب الذى يجب التحرك عليه في المستقبل .

××

لقد نبتت الرابطة على ارضية الصراع ضد الظروف الانية ،وفي الوقت الذى سطعت فيه الشخصية العامة المتميزة .. وقد ادى هذان العاملان، في السنوات العشرالاولى من عمر الرابطة الى طغيان الفن السياسي المباشر، والتركيز على الجوانب التشكيلية في التراث الوطنـــي ..

هذا النصر السهل نسبيا في مجال التشكيل، سرعان ما اعطى ثمارا سلبية على اكثر من صعيد .

لقد اهتمت الشعوب الاخرى التي وقعت تحت ظروف تشبه ظروفنا .. بالفن السياسي والفولكلور .. ولكن الفرق هنا يكمن في ان اهتمامنا بهما جاء على حساب القضايا الفنية الاخـــرى .

الواقـع المريـــر :

لقد مل جمهور المشاهدين من اجترار الفنانين لنفس المواضيع والاعمال. ومهما يمكن ان يقال عن نقص الثقافة الجمالية فـي بلادنا ، فان تمييز "الطبيخ البايت" لا يحتاج الى مؤهلات خاصة. وقد اعتقد العديد من الفنانيين ان رموزا مثل الكوفية ووحدات التطريز والسلاسل والقبضات المرفوعة .. تبرر مراوحتهم في نفس المستوى وتغنيهم عن متابعة الدرب الابداعي الصعب ..

وفي الحقيقة فان عقليـة الحرفـــي و (الصنايعـي) في الفنون التطبيقية.. هي السمة الغالبة في الحركة التشكيلية .. ويمكن لمن يتعامل عن قرب مع الفنانين المعروفين، ان يلمس كيف يدير كل منهم النار الى قرصه. اما عندما يتطلب الامر الركض وراء المعارض وغيرها من الاعمال التي لا تدر على من ينجزها اى دخل، فانهم سرعان ما يجدون التبرير المطلوب الذى يؤكد انشغالهم.

وعلى العكس من مسلك هؤلاء الزملاء فـان تاريخ العرب الحديث يحفظ اسماء فنانين ومبدعين كبارا ظلوا متعلقين بالاصول الابداعية .. والمثل السامية للفن. ويكفي ايراد اسماء ، مثل جواد سليم ومحمود مختار وجمال السجيني وغيرهم من الفنانين الكبار الذين ساروا مع حركة التاريخ المتقدمة وفهموا بأن دور الفن لا يكمن فقط في ايقاظ عقول الناس وتحريك مشاعرهم الوطنية والانسانية.. وانما يعمق كذلك انسانية الفنان والتزامه تجاه زملاء ...

ولكن المؤسف حقا كون بعض الفنانين عندنا يغيرون مشاريعهم واصداقئهم بحسب ما تقتضيه جيوبهم .. وهم ينظرون من هذه

Digitized by Birzeit University Library

الزاوية حتى عندما يتناولون في اعمالهم مواضيع سياسية بحتة ..

وسيرا على هذا المنوال، فانهم عندما انتخبوا في الهيئة الادارية للرابطة، لم يهتموا بالدفاع عن مصالح الهيئة العامة التي منحتهم ثقتها .. وانما اهتموا بالحصول على امتيازات شخصية كالسفر .. وجني الارباح الشخصية .. ولمجرد انهم وجدوا جهة تؤمن لهم مكاسب خاصة فانهم عمدوا على الفور الى الدوس على النظام الداخلي للرابطة ..وفي الواقع فانهم انسحبوا من الرباطة وارتموا في احضان اولئك الذين قالوا عنهم بأنفسهم انهم "يخدمون اسواطا غير فلسطينية".

والحقيقة فان هؤلاء الفنانين، الذين يحلمون بالغنى وتحقيق نزواتهم على طريقة نجوم السينما في الغرب .. قد وقعوا فريسة سهلة لليمين الفلسطيني. الذي يسعى لشراء الولاءات .

المشكلة هي تجاوز الديمقراطية :

ان انتقاد التوجهات الانتهازية في الحركة التشكيلية بالضفة والقطاع لم يأت من باب اليأس، وانما لان عرض الحقيقة عارية حول الملابسات الحالية للحركة التشكيلية، يعد امرا حيويا لفرز الحب عن الـــزوان .. وكذلك من اجل تقييم اوضاع الرابطة بوعي وواقعية والتخطيط لمواجهة النواقص، والكشف عن التكوين السيكولوجي ونمط الحياة الذي يكتنف مسلك وتفكير دعاة الانشقاق والتشرذم والتذيل في الحركة التشكيلية .

ولا بد من الاشارة في هذا المجال الى الامور التالية :ـ

□ المهاترات الشخصية ليست الهدف وراء نشر غسيلنا على مرأى من الناس، وانما على العكس، مساعدة اولئك الزملاء " المحايدين" والمخدوعين من قبل اصحاب المصالح الضيقة على معرفة المأزق الذي يحاول الانشقاقيون جر الرابطة اليه .. ويجدر الاشارة بالمناسبة الى ان الهيئة الادارية التي خرج بها المنشقون تحتوى على تناقضات ترشحها لانشقاقات وشرذمات جديدة .. ان ذهنيتهم الفردية حالت دون اتفاقهم حتى على اختيار رئيس لهيئتهم الادارية .

□ ليس الهدف كذلك وراء نشر الغسيل.. استبعاد ،اى فنان او اتجاه من الرابطة .. وقد اوضحت الهيئة الادارية بانها ترحب حتى بعودة الفنانين من اعضاء الاتحاد المنشق، بالرغم من اساءاتهم وتهجماتهم .. ابواب الرابطة لم تغلق ابدا امام الاتجاه المحافظ رغم افتعاله للصادم وبأساليب ادارية وبشكل مخالف للنظام الداخلي .. الفرص لا بد ان تكون متعادلة امام الجميع .. واذا كان بعض الزملاء يحملون آراء مختلفة او متعارضة ،فهذا امر طبيعي ، الافكار لا تواجه الا بالافكار، وليس باجراءات ادارية ..

اما لاى نهج ستكون الغلبة ،فامر يقرره نشاط الفنانين ومدى مساهمتهم الابداعية والنقابية .. كما يقرره النمو اللاحق للحركة التشكيلية ومدى رسوخ الديموقراطية في تفكير وافعال التفانين . الاثارة الرخيصة والتهويش لن يؤديا سوى الى عزلة اصحابهما

□ واضح ان ظواهر الوعي في الحركة التشكيلية تتبلور بصورة ابطأ بكثير من تطور الاحداث في الساحة الثقافية عامة .. ومع ذلك فان الحركة التشكيلية تتضمن امكانيات

Digitized by Birzeit University Library

وطاقات كامنة لا يجوز الاستهانة بوعيها .. وهي تتقدم بثبات وان كان ببطء ملحوظ ..

وبكلمة اخرى فان المد والجزر كان يكتنف نهوض الحركة التشكيلية التي اخذ عودها يصلب عبر الصراعات المعقدة والمتعرجة .. وكما حصل في الماضي القريب .

□ ان سوء تصرف بعض الزملاء (وقد تناوله بيان الهيئة العامة للرابطة المنشور في نهاية هذه المقالة) يدلل على غرورهم واهمالهم لما يجري خارج مصالحهم وعالمهم الضيق وتفكيرهم الاحادي الجانب . وهم عندما يتحدثون عن التواقص في الحركة التشكيلية ، لا يهتمون بمتابعة تلك النواقص وانما من اجل الاستئثار بالامتيازات لانفسهم .. والمضحك فعلا انهم يتصرفون وكأنهم يمثلون حكومة ، او سلطة ليست قائمة الا في عقولهم !!

□ ان الانحراف الراهن والانقسام في الحركة التشكيلية في الضفة والقطاع . لم ينبع من داخل الحركة ، وانما جرى فرضه على الرابطة وبتدخل سافر في شؤونها . لقد كان هم من اوحى بالانقسام ابتزاز التأييد من الفنانيين لصالح اليمين الفلسطيني .

في الحركة النقابية على سبيل المثال ادعوا الاخلاص والغيرة والحب ..وعندما استولوا بالرشوة والخديعة على بعض النقابات ..عمدوا على الفور الى طمس هويتها الطبقية وحولوا مقراتها الى نواد للكشافة ..

وبسبب تسرع بعض الزملاء وتعاطفهم مع الشكل المظهري للحركة التشكيلية فقد وقعوا ، شأن العديد من المؤسسات الفلسطينية ، تحت تأثير الطرف الرجعي في الصراع الطبقي ـ السياسي ، على الساحتين العربية والعالمية .. ولم يتورع هؤلاء الزملاء عن استعارة الشعارات التي اكل عليها الدهر وشرب ، من جعبة الرجعية والامبريالية .

□ استنادا على كل ما تقدم فان المخرج الوحيد لمنع انحراف الرابطة والمحافظة على وحدة الفنانين الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة يتحقق فقط عن طريق انتهاج الاسلوب الديموقراطي والاحتكام للنظام الداخلي للرابطة .

بالديموقراطية فقط، واحترام رأي الاغلبية، يمكن توطيد وحدة الحركة التشكيلية وتحسين عمل الرابطة . كما انها الوسيلة الوحيدة لاطلاق مبادرات وطاقات الفنانين كما ونوعا .. شكلا ومحتوى . ان الجوالديموقراطي يعطي الفنان الفرصة لاثبات مقدرته النقابية والابداعية ، ويسمح بالحد من المزاجيات الناقصة .. ولتجاوز الركود والنشاط الموسمي ومحاربة النزعات الاقليمية .

الديموقراطية منهج متعب ولكنها الطريق الوحيدة لتعزيز مواقع الرابطة واكتساب ارض جديدة .. ومن الجهة الاخرى فان الاساليب الاستعلائية المعادية للديموقراطية التي اتبعها بعض الزملاء في الهيئة الادارية السابقة، تجاه الفنانين في القطاع ادت او كادت الى عزلة الرابطة عن عدد كبير من الفنانين هناك .

الديموقراطية تعني انفتاح الهيئة الادارية على اكبر عدد ممكن من الفنانين واتباع اساليب مرنة وموضوعية ازاء الهيئة العامة ،ونبذ التعالي والاستهتار .

ولا تعني الديموقراطية ، في مجال الفن ، جمع ما هب ودب ، والهبوط بالمستوى الابداعي للفنانين .

Digitized by Birzeit University Library

ان الهيئة الادارية تواجه مهمة مزدوجة ، اجتماعية وابداعية .

فلاجل استنهاض همم الفنانين، وبشكل خاص في قطاع غزة، ومساعدتهم على الخروج من اطار الحصار والكبت الراهنين، لا بد من تعزيز علاقات الصداقة والاحترام مع الفنانين هناك ، والدفع نحو مستويات ابداعية ارقى في الضفة والقطاع .

ان مهمة كبيرة ومعقدة كهذه ، لا تتحقق من تلقاء ذاتها.. وانما يجب النظر في تجديد اساليب العمل بين الفنانين .. وفي جميع الاحوال على اسس من الديموقراطية الحقيقيـــة ..

زمـــن المغيـــب

ان الانعطاف السلبي في مسلك بعض الزملاء قد تحدد ضمن ظروف المرحلة الراهنة المأزومة للعقلية البرجوازية العربية .. الامر الذى حال بينهم وبين رؤية الآفاق المستقبلية والتطور الشمولي للانسان .. وطبيعي ان ينتهي الامر بهؤلاء الزملاء ، اذا استمروا في مواقعهم الراهنة، الى ما هو اسوأ من النظرة التجارية للفن والحياة.. وبالتالي ذبولهم في الحدود الضيقة للابداع . وكما يقول لوكاتش :" ان الحياة (العالم) مستحيلة البلوغ انطلاقا من الفرد المعزول في المجتمع البرجوازى ".

ان الامر الذى لا يتمناه احد لهؤلاء الزملاء هو سقوطهم في هوه الفراغ الذهني والابتذال وتناقضهم مع الواقع الاجتماعي، رغم ارتكازهم على العناصر التراثية .

وان استسلام بعض الزملاء لاملاءات

السياسة المشؤومة لليمين.. سيلقيهم
مهاوى ازمة روحية وعصبوية وسيجرهم للتقوقع
المجرد الذى يحمل البذور السامة للتعفن
والتزييف والتسطيح .

ان تناول الحركة التشكيلية في الضف
والقطاع، تناولا عقلانيا ونقديا، ينطل
التصدى لجذور النكوص والاغتراب الكامن ف
الارضية الراهنة التي تطلع مثل هذه النباتا
السامة ..

الثقافة الفلسطينية، بما فيها الف
التشكيلي تشكل جزءا من الثقافة العربية
التي لم تنفصل عن الاحداث والتحولا
الاجتماعية الجارية، سلبا او ايجابا ..ومعرو
انه كلما كانت التغيرات تجرى بصورة اعمق

وبدأب ومثابرة لصالح الغالبية، كلما كان
الثقافة تتطور على نحو انجح، ويكفي في هذ
المجال استذكار نتائج الستينات في مصر عل
الحركة الابداعية المصرية والعربية .

لقد انتصرت الشعوب العربية في معركته
ضد الاحلاف العسكرية الامبريالية وسقط حلف
بغداد في الخمسينات ،وكذلك فقد استطاعت
مصر عبد الناصر ان تحسم معركة السويس
لصالح العروبة .. وبنى عبد الناصر الس
العالي بالمعونة السوفييتية . مع الف مصنع
متوسط وثقيل .. وكذلك فقد اجرى عبد
الناصر التحولات الاقتصادية الهامة في
الستينات مضفيا زخما" تقدميا على الثقافة
العربية .. وداحرا النزعات الاقليمية
والرجعية ..

ولكن الامبريالية الامريكية ،تمكنت في
نهاية الستينات وبداية السبعينات من اعادة
تنظيم قواها وتثبيت تواجدها الاقتصادى
والسياسي والعسكرى في بعض البلدان العربية

Digitized by Birzeit University Library

تمهيدا لاسترجاع نفوذ الاستعمار القديم واحتواء العالم العربي .. وفي هذه المرحلة لم تستطع البرجوازية المنفردة بالسلطة السياسية مواجهة المخططات الامريكية فتوقفت التنمية في مصر وحلت هزيمة حزيران وتبعها خروج منظمة التحرير من الاردن ونكوص النميري في السودان واتفاقيات كامب ديفيد التي اخرجت اكبر بلد عربي من خط المواجهة .. وما تبعها من انفتاح اقتصادى سمح للطفيليين ووكلاء الشركات الاجنبية بالسيطرة على مقدرات الشعب العصرى ..

لقد اضعف انفراد البرجوازية بالسلطة ، حركة التحرر العربية في المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية .. وسقطت الاوهام حول امكانية اى نظام عربي بالصمود بدون دعم الطبقات الشعبية وممثليها لسياسيين .

لقد فشلت الانظمة البرجوازية في مصر والعراق واخضعت البرجوازية البيروقراطية الطفيلية، الاقتصاد للمشاريع السياحية والخدماتية وللتصدير والاستيراد .. ودخلت دول النفط الرجعية بقوة البترودولار .. وجرى تفريغ الشعارات الوطنية من مضمونها السياسي والاجتماعي ، من باب "التكنيك" كما يدعون !

وطبيعي بعد ذلك ان تعيش تلك الشرائح التي باعت مبادئها ،في حالة اغتراب عن مصلحة الوطن، اغتراب اقتصادى وسياسي وايديولوجي.. وفي نفس الوقت فقد كان النفوذ الرأسمالي يحكم قبضته في كل الميادين .. بكل ما يحمله من افساد للضمائر وشراء للذمم وقمع للفكر الحر .. حتى يوطد قيم المجتمع الاستهلاكي والثقافة المشوهة والفراغ الايديولوجـــي ...

وأدى ذلك الى تحطيم القيم واستشراء الانانية والفساد والسمسرة والمحسوبيات والتسابق الوحشي على الارباح ..

هذا الوضع ، جعل البنية الثقافية، بوجه عام ،تشهد تهشما وعودة الى الوراء وهروبا من الواقع ولا مبالاة وهيمنة التفكير الغيبي على اقسام واسعة من الشباب كتعبير عن رفضهم لمنهج الرأسمالية التي سدت آفاق التطور وبددت احلام الجيل الجديد .... وفي هذه المرحلة حصل التراجع المعروف لنجيب محفوظ وتوفيق الحكيم وغيرهما من كبار الادباء ..

وفي هذه المرحلة كذلك بدأ اليمين الفلسطيني يرتد على ذاته وينحني على اعتاب السلطان.. مستنجدا بشهود الزور من الارض المحتلة لمحاربة كل الاصوات العقلانية المؤمنة بطلوع الفجر واحقاق الحقوق المشروعة ..

وانه لمن سوء طالع بعض المثقفين والصحفيين والفنانيين ان يطلب منهم ، ليس التعايش مع القيادات والانظمة المأزومة التي مالت شمسها للمغيب ،وانما الدفاع عما لا يمكن الدفاع عنه .. مقابل فتات الموائد ...

ومن هنا فقد تمخضت في عقول بعض الزملاء الفنانين فكرةاقتصار الرابطة على " "النخبة"!! التي"تستحق" الدعم !! وارتياد المطاعم الفخمة !! واذا كانت " "النخبة" قد غربلت الفنانين ،ولم يحضر انتخاباتها اكثر من اثنى عشر فنانا ، بما فيهم الاعضاء السبعة الذين" انتخبوا" للهيئة الادارية ،فـان الزمن سيتولى تنخيلهم الى نخبة" النخبة"!!.

واذا كانت "وظيفة المثقفين هي ان

Digitized by Birzeit University Library

برسخوا وينظموا سيطرة طبقة اجتماعية معينة" فلا بد من لفت انتباه هؤلاء المنعجلين.. الى ان هذه الطبقة ما زالت دون ارض تقف عليها .. انتظروا قليلا" ايها السادة ، فالعجلة من الشيطان ..

لقد نمت البرجوازية العربية، بما فيها الفلسطينية، متأخرة اكثر من قرنين عن نظيراتها الاوروبيات .. ولم تسمح لها بنيتها الاقتصادية او السياسية بتحقيق الاستقلال التجاجز لوحدها .. ولذلك فقد كان تعاونها مع الطبقات الوطنية ضرورة تفرضها الظروف الموضوعية .. ولكن هذه البرجوازية "الذكية" تريد تأطير الحركة الوطنية بمصالحها وحدها .. اى انها تطلب من الشعب النضال والتضحية، ولكنها تريد ان تمنعه من الحق في رسم برنامج النضال وحقه في قطف الثمار.. وهي لفرط غبائها تبدى استعدادا للخلاف على الطريدة قبل صيدها .. وكما يشتغل العامل عند الرأسمالي بأعلى انتاجية ممكنة مقابل اقل اجر ممكن ، فان البرجوازية تريد ان تشغل الطبقات الشعبية في قضية الاستقلال لحسابها الخاص .. والتنكر سلفا لمطالب تلك الطبقات والسعي لدمجها في الابنية التنظيمية والايديولوجية للبرجوازية .

واذا عارضت تلك الطبقات اثانية برجوازيتها ، فالاخيرة على استعداد للارتماء في احضان الرجعية العربية والهرولة وراء السيد الامريكي على امل ان يفسح لها المجال كشريك صغير على مائدة المفاوضات .. واذا رفض السيد الامريكي هذا الغزل الرخيص. فمن اجل استثارة غيرته فان برجوازيتنا على استعداد للتلويح للمعسكر الاشتراكي.. من بعيد لبعيد .. لعل في "دلالها" ما يحرك "نخوه" العم سام .

الوحدة ممكنـــة :

لقد وضع بيان الهيئة العامة، بتاريخ ٨٥/٩/٢، النقاط على الحروف في الرد على خطوات المنشقين ، الذين قاموا قبل ان يطلوا انشقاقهم في الصحف ، بعدة محاولات للسيطرة على الهيئة الادارية بواسطة التحريض والوقيعة، وعندما ذهبت عبثا كل محاولاتهم لتعكير المياه والاصطياد فيها .. فقد نشروا بتاريخ ٨٥/٨/١٥ اعلانا بالصحف المحلية يقول بحل الهيئة الادارية واعادة النظر بعضوية الهيئة العامة !! بزعم ان "اعداد كبيرة" !! (٣٧ فنان) دخلت الرابطة ..وقالوا " وقد جرت عدة محاولات للحد من هذا التسيب ورأب الصدع لاعادة الحركة التشكيلية لخطها الوطني الاصيل " وعليه فقد اتخذوا "الخطوات الشجاعة المطلوبة"!!

ولا أظن ان هدم الرابطة او تفتيتها لمجرد ان الاغلبية رفضت رأى الاقلية، يدلل على الشجاعة .. والا فانه يحق لاى فرد في الهيئة الادارية، او في الرابطة، ان يشكل رابطة جديدة، او يحدث انقساما جديدا لمجرد ان الاخرين لم يأخذوا برأيه .

ولو كان هؤلاء "الشجعان" صادقين في مزاعمهم ، لما عمدوا الى اعلان بيانهم قبل اسبوعين من انتخابات الهيئة الادارية ،التي منعتهم "شجاعتهم" من الاحتكام لنتائجها! ولو كانوا شجعانا حقالما قاموا ، من وراء ظهر الهيئة الادارية الشرعية، بجمع التواقيع على اعلانهم في ٨/١٥ بالخديعة وعلى التلفون.

وقد إستنكر الزميل، عضو الهيئة الادارية

Digitized by Birzeit University Library

فنحن نعين فعلتهم عندما زجوا باسمه في بيان ٨/١٥ (رد الزميل فنحي منشور في بداية هذه الصفحات ..) .

ولو كان هم هؤلاء الزملاء " رأب الصدع " كما يدعون في بياناتهم لما قاموا دون خجل بحمل خزانة الرابطة واوراقها ووقائع جلسات الهيئة الادارية الى بيوتهم .. ولما استولوا (ولا اريد ان استعمل كلمة اخرى هي اقرب الى الحقيقة) على مالية الرابطة (أكثر من ٧٠٠ دينار) الحسابات ...

ولو كانت نيات هؤلاء الزملاء سليمة، في وجهات النظر او الاجتهادات التي طرحوها ، لكانوا قد احتكموا ،بدلا من الانشقاق للنظام الداخلي الذي يكتنف خبرة الحركة التشكيلية في السنوات العشر الاخيرة، والذي يتضمن الاجابات على كل المشاكل التي كانت مثارا للخـــلاف .

لقد فهمت الهيئة العامة المقصد الحقيقي الكامن وراء حجج المنشقين واوضحت ذلك في بيانها عندما قالت :" ان بعض الزملاء يحاولون حرف الرابطة عن خطها السليم وتقسيمها الى كتل متصارعة كما حدث في النقابات والمؤسسات في الداخل والخارج تمهيدا لربطها بطرف معروف تنازل عن الشخصية الاعتبارية للشعب الفلسطيني".

لقد كان بيان الهيئة العامة صحيحا ... ومع ذلك فان الموضوعية تقتضي الانتباه الى ان مبررات توحيد جهود الاطراف المختلفة في الحركة التشكيلية، امر ممكن وضروري لسببين اثنين على الاقل، اولاهما يتلخص في الظروف المفروضة منذ عام ١٩٦٧ ما تزال قائما على ارض الوطن وثانيهما : ان التوازن الاشمل، الاجتماعي في هذه المرحلة يشكل حقيقة موضوعية تتطلب توحيد الجهود على جميع الاصعدة .

ان الحركة التشكيلية تشكل جانبا من شخصيتنا المتميزة التي تهم الجميع .. ولن يستفيد من استنزاف قوانا في الاحتراب الداخلي سوى الاعداء والعنصريون ..

ويجدر الاشارة الى ان ايراد هذه الاسباب لا يعني الدعوة للهبوط بالمستوى الابداعي للفنانين او للتكرار والتماثل او نفي التمايز المستند للتكوينات الاجتماعية والثقافية والسياسية المختلفة ولكنه يعني ،عدم السماح بتطوير التناقضات الثانوية الى اساسية في المرحلة الراهنـــة ..

ونعني عن القول بأن الاعداء يستغلون التناقضات والتعرجات التي تكتنف مسيرة الرابطة بقصد احباط الفنانين وشل نشاطهم واحتوائهم لمصلحتهـــا ..

ان الخبرة التي تراكمت خلال السنوات العشر الماضية في الساحة التشكيلية ،تدلل ان احترام الرأي العام للفنانين يتطلب منهم ترشيد طاقاتهم.. ومن باب اولى توحيد جهودهم وتجاوز اللامبالاة ازاء المصير المستقبلي للرابطة .. لقد آن الاوان لوضع العفوية على الرف والسير بخطوات موزونة وموحدة ومبرمجة.. وهذا في تقديري هو الطريق السليم امام كل فنان لاثبات اصالته ووطنيته ..

الرابطة والصحافـــة :

لقد اتخذت الصحافة التقدمية المحلية (الميثاق، الطليعة، ومجلتا الكاتب والعهد) موقفا ايجابيا من دفاع الفنانين عن رابطتهم

Digitized by Birzeit University Library

ومحاولات حرفها وتوريطها في مخططات اليمين .

أما جريدة الفجر فقد اجرت مقابلة مع ثلاثة من الزملاء قاموا بتوجيه اتهامات تدلل على انهم عاجزين عن رؤية الواقع في حركته وتفاعله.. ولا تستحق الفجر الرد بسبب سذاجة وتقليدية تلك الاتهامات .

وقد تناولت مجلة" العودة" المقدسية (عدد ٧٧ – ١٧ تشرين اول ١٩٨٥) موضوع الخلاف في الحركة التشكيلية . وبعكس محاولات العودة في السابق للخوض في امور التشكيليين ،فان الاستاذ الصحفي عبد الكريم سمارة تناول المسألة بموضوعية نسبية.ولعل ظروف العودة لم تسمح بوضع النقاط على الحروف .. وآمل ان تتوضح الصورة بالملاحظات التالية :ـ

- لقد عرض الامر وكأن الانقسام في الحركة التشكيلية مسألة مزاجية مرتبطة بالمواسم الانتخابية.. والواقع ان لها اسبابها التي تتساوق مع الاهداف الابتزازية لليمين الفلسطيني. الامر ابعد من ان يكون مجرد نزوة لهذا الفنان او ذاك .
- يطرح الزميل سليمان منصور ثلاثة اسباب للخلاف : الاول "يتركز حول عضوية الهيئة العامة" والثاني حول رأي الاغلبية ورأي الاقلـيـة .. والثالث حول توحيد الاتحاد والرابطة . .

وفي المسألة الاولى ، العضوية، فمن المعروف انه لم يتم تنسيب اكثر من ثلاثة فنانين جدد خلال العام الماضي بأكمله. ومحاضر اجتماعات الهيئة الادارية تشهد على ذلك . وقد تم تنسيب هؤلاء الفنانين بناء على مشاركة اثنين منهم على ما اظن في معرض الربيع .

ولدعم موقفه يقول الزميل سليمان منصور: "وفي رأيي بأن الفن موهبة ويجب الالتزام بالنظام الداخلي ". ولكن عندما جرى تطبيق النظام الداخلي، اى الاقلية تتبع الاغلبية اعلن الزميل سليمان الانشقاق عن الرابطة !! اذن اين هو " الالتزام بالنظام الداخلي "؟؟ ثم هل هو الوحيد الذى يملك "موهبة" الحكم على المنتسبين للرابطة ؟!. وبالاضافة لذلك فان المعرضين الكبيرين (المعرض المشترك مع الفنانين الاسرائيليين تحت عنوان "ضد الاحتلال" ومعرض الربيع) يؤكدان بأن المستوى كان لائقا جدا ، ولم يتقدم الزميل سليمان حينئذ بأية ملاحظة في هذا الخصوص.. الامر الذى يؤكد بأن الزميل سليمان يفتعل الصدام لاهداف لا تمت الى الفن بصلة .

ان ما يلفت الانتباه القول بان " الفن موهبة" والسكوت عن الشق الثاني الذى يوازى "الموهبة" ، اعني الوعي الاجتماعي ومعرفة المحركات الاساسية للعصر والقوى التي تقـرر مستقبل الانسانية وانعكاس كل ذلك في اعمال الفنان .. ولو طبقنا هذه المقاييس على اعمال الزميل سليمان بمثل القسوة التي يريد تطبيقها ، مع الزملاء الاخرين فان النتيجة لا تكون ابدا في صالحه .

ومع الاسف فان الزميل سليمان يتعمد وضع " الموهبة" ضد الاغلبية !!!.

وفي موضوع علاقة الرابطة بالاتحاد الذى انشق بعد انتخابات العام الماضي فليس جديدا القول بأن الجميع رحبوا بعودتهم للرابطة بعد انسحابهم من الاتحاد .. وكان قد عقد اجتماع مع اثنين من اعضاء الهيئة الادارية للاتحاد ، وقد ذكرا في حينه بأن

Digitized by Birzeit University Library

الهيئة الادارية للاتحاد لم تعقد اى اجتماع منذ تأسيسها وان هم رئيس الاتحاد الحصول على الاموال .. الخ ...وقد اقترحنا عليهم أما الاعلان عن حل الاتحاد بواسطة ثلثي الاعضاء او الاعلان في جريدة محلية عن الانسحاب من " الاتحاد " ..

وتم الاتفاق على عقد لقاء جديد ، ولكن احد العضوين لم يحضر لانه ، كما قال زميله ، يشترط استبعاد احد اعضاء الهيئة الادارية للرابطة في حضور الاجتماع المذكور.. وبالطبع فقد لقي هذا الانتفاخ المغرور ما يستحقه من اهمال .ولكن كان للزميل سليمان منصور رأى آخر وهو مكافأة مثل هؤلاء الناس الذين وقفوا ضد الرابطة ومنحهم مقعدين في الهيئة الادارية ومعاقبة الزملاء الذين وقفوا مع الرابطة واخراجهم ، ان لم اقل طردهم ، من الهيئة الادارية .. اما قول الزميل سليمان منصور بأن عرض استقالته من الهيئة الادارية من اجل توحيد الفنانين ، لا يتعدى كونه مناورة مكشوفة لا تنطلي على الاطفال ..

لا مكان لليأس :

ينبعث الان وعي جديد لدى شعوب العالم الثالث ، بعد انهيار الامبراطوريات الاستعمارية ، وتواجه ثقافتنا كما هو الحال في آسيا وافريقيا وامريكا الجنوبية ، هجمة شرسة تفوح منها رائحة الاستعلاء الثقافي من قبل الولايات المتحدة التي تسعى للسيطرة على وسائل الاعلام والصحافة والسينما والتلفزيون في العالم الثالث لتسريب القيم الاستهلاكية وتكريسها كالقضاء والقدر ...

ويكفي ،في هذا الموضوع المتشعب ، الاشارة لكتاب الصحفي رفعت سيد احمد ، "اختراق العقل المصرى ـ دراسة ووثائق حول الجامعة الامريكية والبحوث المشتركة في مصر" يركز الكتاب على اربعة قضايا ، هي من الاهداف الاساسية للمساعدة الثقافية التي تقدمها امريكا للعرب :

- امركة المناهج الجامعية ،ومراكز البحث العلمي والاجتماعي ، وما يتبعها من اساتذة وخطط مستقبلية .
- ربط مراكز الابحاث المصرية بمثيلاتها الاسرائيلية وتركيز الابحاث حول المشكلات التي يمكن ان تقسم الشعب عرقيا وطائفيا ودينيا .. ومسائل مثل تعقيم المرأة وتفتيت الاسرة ، ومشاكل البدو ..... الخ .
- اجتذاب المثقفين اللامعين ، لدائرة السياسة الامريكية والاستفادة من كفاءاتهم ومصداقيتهم .
- الاهتمام بالثقافة العسكرية للجيش والشرطة ... الخ ..

وتأتي هذه البحوث لتمثيل الغطاء الفكرى للتبعية والمقدمة لتفتيت العقل تمهيدا لتفتيت الوطن .

وفي الحقيقة فقد لعبت الرجعية العربية وأنظمة اليمين دور "سانكو بانزا" لغرض الهيمنة الامريكية على المنطقة ، وقد جرى استخدام الدين لهذا الغرض وعلى نطاق واسع بأموال النفط ..

وللرد على هذه الهجمة الشرسة فان قوى التقدم العربية ، شأن مثيلاتها في العالم الثالث ، تستعد لمتابعة المعركة ، رغم الغرز الحاصل وتخلي شرائح واسعة من البرجوازية عن ساحة المواجهة ، ولا شك في ان تأصيل

Digitized by Birzeit University Library

الثقافة العربية وكسر جدار العزلة الذى فرضته الامبريالية على العرب، والاطلاع على تجارب الدول الاشتراكية والاستفادة من مساعدانها، يشكل واحدا من امضى الاسلحة للانتصار على التخلف والقهر الاجتماعي ..

ان الاصلاح الديموقراطي للحياه الثقافية، يمهد الطريق لتحولات اوسع واعمق لتطوير ثقافتنا الوطنيةو اغناؤها بأفضل التقاليد الانسانية وخاصة ثقافة البلدان الاشتراكية .. ويكفي الاشارة في هذا المجال للتقدم الذى احرزته الشعوب التي تدين بالاسلام في ظل السلطة السوفييتية . ومعروف انه لم تكن للعديدمن الشعوب السوفييتية، قبل ثورة اكتوبر، ابجديتها الخاصة، ناهيك عن الاطباء والعلماء .. الخ ..

ويجدر التنويه بهذه المناسبة، بالتصريح الذى ادلى به لينين مؤسس الدولة السوفييتية ،صبيحة ثورة اكتوبر عام ١٩١٧.

"اننا سنبذل قصارى جهودنا للتقارب مع لمنغوليين والايرانيين والهنود والمصريين. ونحن نعتقد ان من واجبنا ومصلحتنا ان نفعل ذلك، والا تكون الاشتراكية في اوروبا غير وطيدة. وسنبذل ما في وسعنا لتقدم هذه الشعوب المتأخرة والمظلومة اكثر منا، المساعدة الثقافية النزيهة ".

خاتمـــــة :

ومهما يمكن ان تأتي به الاحداث من تطورات ومصاعب وتعقيدات، فان الفنانين والمثقفين ذوى الضمائر الحية، سيجدون الحلول المناسبة... وان رابطة التشكيليين مصممة على متابعة المسيرة وبعزيمة اقوى، وهي تمد يدها لكل الزملاء، وكذلك الى كافة المؤسسات، بالثقافة في الحركة النقابية للعمل المشترك من اجل القضية المشتركة..

وكما قالت الكاتبة المصرية فريدة النقاش في مجلة "ادب ونقد" ـ ديسمر ١٩٨٤:ـ

"المتابعة المتأنية لادب الارض المحتلة الجديد، وما يتوفر لنا عبر القيود المفروضة على اوطاننا من انتاج عربي جديد بصفة عامة تؤكد هذه السمات، وهي تلوح جنينا هنا وصبية يافعة هناك .. وتجعلنا نستنتج بدرجة كبيرة من اليقين ان المرحلة الجديدة في حركة التحرر العربي في مواجهة الامبريالية العالمية والصهيونية تشحذ اسلحتها الروحية البتارة وهي بصدد ابراز السمات الاخلاقية لعالمها الجديد، متجليا في ثقافتها كما هو جدير بأمة عظيمة الاسهام في الثقافة والحضارة العالميتيـن ".

Digitized by Birzeit University Library

قراءة جماعية في الحنون الجبلي

د. أسامة العيسة

بقلم : ماجد ابو غوش، فايز منصور ، خالد البطراوى

تمهيـــــــد :-

قبل ان نبدأ محاورة هذا العمل الادبي ، " الحنون الجبلي" لصديقنا الكاتب اسامة العيسة، وتحديد موقفنا فكريا وجماليا نرى ان نقدم مجموعة من الاسس التي نؤمن بها والتي حفزتنا على الاقدام والشروع في هذا العمل المشترك .. وهذه الاسس هي :

ان كلمة نقد تتضمن عنصرين اساسيين هما الاثر والمتلقي ، يؤلف بينهما عنصر ثالث هو طريقة الاتصال .. وعملية التلقي هي عملية بحث متعة اطلاع على مواقف الاخرين ، موقفهم من المشكلات التي يعانيها جميع الناس ،موقفهم من الحياة المجتمع .... وعملية التلقي هي عملية استكشاف (قتالي، جمالي) عملية تحوى اهداف الاستكشاف ولدته، من هو الخصم؟ نوعية سلاحه ؟ قدرته؟ هل يحارب بشكل جيد ؟ من هو الصديق ؟ارض من هده ، هل كانت عملية الاستكشاف هده مفيدة وممتعة ؟١٠٠ – وعملية التلقي ..ليست ثقافية الجانب فقط .. فالخبرة الحياتية مع الناس عامل اساسي ومهم في تكوين الخبرة العامة وتكوين الموقف.. وان فالمتلقي هو باحث في مواقف الاخرين :معي، ضدى، معنا، ضدنا، مع فهومنا للحياه ام ضده؟ مع طريقة حلنا للمشكلات ام ان هناك حلولا اخرى ؟

× وكل قلق لاثر ما ، هو ناقد له بدرجة ما .. والفرق بين المتلقي العادى وبين من نطلق عليه ناقدا ،كالفرق بين جندى في فصيلة وبين قائد الفصيلة .. فالاثنان يطرحان الاسئلة نفسها : ما موقف صاحب الاثر ، موقف طبقته، مع الحياة او ضدها ...(١).

Digitized by Birzeit University Library

ونحن من هؤلاء الجنود ـ لسنا من قواد الفصائل : نحاول ان نجسد تجربتنا في محاورة عمل صديقنا بكلمات مكتوبة، لعلها تكون بداية لاشراك المتلقين العديين في تحديد مواقفهم مما يرجي في الساحة الادبية المحلية .

أما كون عملنا جماعيا فلاننا نؤمن بضرورة وأهمية العمل الجماعي في جميع المجالات ..وهذا العمل خطوة في هذا السبيل الذى عقدنا العزم على السير فيـــه ..

" الحنون الجبلي" قصة، لاسامة محيسن العيسة، صدرت مؤخرا عن دار الكاتب، وتقع القصة في "٥٧" صفحة من القطع الصغير، وغلافها من تصميم الفنان قاسم منصور وكذلك الرسومات الداخلية، وهذا العمل الادبي هو الثاني للكاتب، فقد صدر له مجموعة قصصية بعنوان " لازلنا نحن الفقراء اقدر الناس على العشق "عام ١٩٨٤ من مشنورات اللجنة العليا للعمل التطوعي. وللكاتب اكثر من موضوعه ادبية نشرت في الصحف والمجلات المحلية (الكاتب، الجديد، الطليعة، الاتحاد).

"شكـل العمـل الادبـي"

يحمل عمل صديقنا الكاتب عنوان " الحنون الجبلي"، وتحت كلمة "قصة"، وهذا يعني ان كاتبنا يعي ويدرك ان العمل القصصي من حيث القالب والشكل انواع كثيرة ،لذا اختار لعمله الادبي عنوانا آخرهو "قصة" مما يعني ايضا انه بني عمله الادبي من عناصر تجعل عمله الادبي قصة تملك المقومات الفنية لهذا الشكل .

تتوسط القصة من حيث الطول " بين الرواية والقصة القصيرة وفيها يعالج الكاتب جوانب ارحب لان فكرتها تمتازبه السعة، ولذا لا يستطيع صوغها الا الافراد الذين تمرسوا في فن القصة، وفي استطاعتهم سردها، وسوقها سوقا فنيا شائعا، وهي تتحمل كثرة التعدد في الاشخاص والامكنة " (٢) . وبكلمات اكثر تحديدا للقصة من حيث الطول يقول " موزلي : " انني اوافق على ان الانسان لا يستطيع ان يحدد بدقة طول القصة القصيرة، ولكنني اعتقد ان الغالب ان اى قصة تقع في اقل من ٥٠٠كلمةمن الافضل ان تسمى Skech وأن اى قصة تقع في اكثر من ١٠٠٠ كلمة من الافضل ان توصف بانها قصيرة وعندى ان القصة القصيرة بحق ينبغي ان تتراوح في الطول بين ١٥٠٠ كلمة و ١٠٠٠٠ كلمـــة (٣)

والقصة Novel من حيث الحجم يجب ان تطول طولا كبيرا يزيد كثيرا عن ١٠٠٠٠ كلمة وهذا في رأينا مهم " لان الحيز الضيق كلمة وهذا في رأينا مهم " لان الحيز الضيق يؤثر في اختيار الموضوع وطريقة السرد، وبناء الحادثة، والصياغة اللفظية، وكذلك الصورة العامة للعمل الادبي (٤) .

وعمل صاحبنا الكاتب " الحنون الجبلي" لا يتجاوز في طولها ستة آلاف كلمة، فهي من حيث الطول لم تصل الى طول القصة كما اننا

Digitized by Birzeit University Library

لا نستطيع ان نطلق عليها قصة قصيرة رغم ان طوله يضع في هذا النوع، فهو عمل متعدد الشخصيات والحوادث والمواقف والعواطف الـــخ .

اما من حيث السرد فهو كما يحدث في كتابة التاريخ ليس فيه حيوية وهذا الكلام لا ينفي انه وردت بعض الكلمات التي تصـــور الافعال "احبها..احبا، ...بطعم حبة دافور سارى من حاكورتنا .. وبرائحة الارض حين تحتضن القطرات الاولى من المطر وتمتصها "ص٧ و " .. في ذلك اليوم المؤلم خيم على الحارة صمت قاتل وران في جوها هدوء يسبق عاصفة هوجاء، وسكن قلبينا خوف لا يوصف من بطش الكبار بنا "ص٨.

ولكن الغالب على السرد هو طريقة الكتابة التاريخية الجافة ــ " كنا اشقياء هذه الحارة ..نضرب من يدخل الحارة .. ونفرض عليه اتاوة ..ومرة حدث ما لا يتوقع .. استفردت حياة بأحدهم .. نصل المدينة .. في اليوم التالي، لبست قميصي .. كبرنا .. انا وحياة كبرنا .. عرفنا المدارس ولم نحبها .. مرة اخرى كبرنا " وهذه الطريقة في السرد هي اقرب الى طريق عرضةالحكاية الشعبية منها الى طرق السرد في القصة ..

كما ان هذا العمل الادبي لا ينتظره هدف ونتيجة،مما افقده جزءا كبيرا من وحدته البنائية. اننا لا نطلب ان ينتظم هذا العمل وحدة عضوية لانه يمكن ان يغني عن ذلك روابط اخرى .. ان تجمع الشخصية الرئيسية احداث عمل ادبي وتكون محورها فهذا لا يكفي كي يتوفر عنصر الوحدة فيه ..

واذن فعمل صديقنا الكاتب هو اقرب الى الترجمة الذاتية منه الى القصة او القصة القصيرة .. فالترجمة الذاتية تحتوى قدرا من الخيار ،واستخدام بعض طرق القص ..

(عنوان العمل الادبي والاهـــداء والاعتـــذار)

ورد في العمل الادبي " المخيم ...، اولاد بعمر نوار اللوز .. والحنون الذى ينبت في القاطع الجبلي المقابل لمخيمنا " ص٢٦

هل يعني ذلك ان عملك يا اسامة ــ مكرس لهؤلاء الاولاد الذين اضحوا رجالا يعرفون معتقل الفارعة .. الخ ؟؟ لكن عملك لم ينصفهم ولم ينفع اعتذارك . وليس هناك ما يميزهم عن غيرهم.. اذكر مرة انني تصفحت اسماء الاطفال الذين يترددون على مطعم الوكالة في مخيم " قدورة" في رام الله قبل سنوات والذى ما زلت اذكره في ذلك انه كان من بين اسم " لينين" و"ناتاشا" ، وثائر ،وعمار ، وياسر ، واياد ، وغسان وثورة . وأين علي وعفانة ، وامينة .. الخ كما في مجموعة الكاتب محمود شقير " الولد الفلسطيني" من اطفال عملك الادبي يا اسامة اتقصد طبعا، الطفل فنيا ــ لذا كان عنوان مجموعة محمود شقير القصصية موفقا ، رغم اننا لانتنكر الصورة الطفولة التي نسج خطوطها الكاتب، صورة حية وجميلة وخاصة في الصفحات الاولى جعلتنا نراها امامنا ونسترسل في رؤيتنا، فنرى ما لم يذكره اسامة ويخبره . نرى طفل المخيم وهو يلاحق اسراب البط في مخيمات القطاع، ونرى الذى يطارد القطة ويمسك بها ويربط بذيلها علبة او يحرقها او يشنقها، ونرى طفل المخيم الذى يشارك الذباب في التهام قطعة الهريسة، وطفل المخيم صاحب النظرات الحادة ...

Digitized by Birzeit University Library

لكن صوره الاخرين باهتة، تنساها بعد فترة وجيزة، نعود الى العنوان مرة اخرى ونسأل.. ما علاقة العنوان بمضمون العمل الادبي، ربما تقول انه يذكر اهل المخيم بأرضهم التي اغتصبت منهم، فهو يحتاج الى (البراري) والجبال والوديان ...

ولكن الارض ليست هي محور هذا العمل الادبي

وما علاقة الحنون الجبلي بحكاية الحب بين الراوي وحياة؟ وما علاقة الحنون الجبلي بنهاية العمل الادبي ...

لقد بدأت الرواية "احبها، ..سمراء بطعم حبة "دافور سماري" من حاكورتنا، .. وبرائحة الارض حين تحتضن القطرات الاولى من المطر وتمتصها .. وانتهت الرواية بهذه العبارة" انه الفقر، الفقر يا حياة، والفقر في الوطن غربة اكبر غربة ١١ بدأتها صورة موحية بالفرح، وانتهيتها بعبارة توحي بالالم والمراة واليأس.

أين ذلك من بداية ونهاية رواية (ام سعد) للكاتب غسان كنفاني، هل لون الحنون الجبلي مكون من لونين، احدهما دلالته الفرح والاخر دلالته اليأس؟ حتى يتوافق ذلك مع جو هذا العمل الادبي ١

وينتقل الى الاهداء والاعتذار .. تقول: "لم افلح..، يا والدي كما اردت وطلعت هلفوتا كما توقعت.

وتقول في الاعتذار .." تبهني بعض المثقفين الى انني لم اسلط الاضواء بشكل كاف على شخوص هذا العمل، ... الهامشيين .. الذين انكرهم ولم ينصفهم هذا الزمان غير العادل ..

اعتذر لهم بحرارة .. لانني لم استطع انصافهم؟ كيف ذلك .. وأنا هامشي ومنبوذ مثلهم ١٠٠٠؟١.

آملا ان يساوي شيئا اعتذار صعلوك "

اننا ندرك تماما الفرق الشاسع بين عمرك وعمر والدك .. هذا الفرق الشاسع سيفرز فرقا فكريا شاسعا فالجيل الجديد اصبح يبحث عن ايديولوجية جديدة بعد فشل الايديولوجية "القومية" في حل المشكلة التي نعيشها كما قال الكاتب الكبير اميل حبيبي في مقدمته لكتاب سميح سارة "العمل الشيوعي في فلسطين" هذه الايديولوجية الجديدة التي تبحث عنها جموع الشبيبة الان هي الماركسية اللينينية؟ لذلك من الطبيعي ان تكون هلفوتا من وجهة نظر والدك وفهمه ومن وجهة نظر العقلية القومية التي اسلمت الراية وافلست سياسيا ولكنك في عملك لست كذلك. سننصفك يا صاحبنا في هذا الموقع من عملك العمل .. انك لست هلفوتا ولا صعلوكا ـ وان كانت كلمة صعلوك ليست مسبة .. انك احد افرازات حركة التطور الى الامام والتي يجب دوما ان نراها في كتاباتنا، اننا نرى ان اليد العاملة التي قاومت المخرز ولم تضع رأسها بين الروؤس وتقول .. هذه اليد لا يستحق صاحبها ان يوصفه "هلفوت" . لذلك سنتدخل يا اسامة ونحذف من ذهن قراء عملك الجملة " التي وردت في الاهداء .. " لم افلح ... يا والدي كما اردت وطلعت هلفوتا كما توقعت" وروؤيتك انت نفسك هلفوتا دفعك لروؤية ثلاثة ارباع شعبنا هامشيين.. هل هذا معقول يا اسامة ؟١.

الهامشيون كما نعتهم، هم الذين افشلوا الادارة المدنية، والحكم الذاتي وروابط القرى ،وهم يفشلون الان الكونفدرالية، وهم يوقعون

Digitized by Birzeit University Library

العرائض التي تدين اتفاق "حسين ـ عرفات" وهم يصرخون مطالبين بوقف نزيف الدم في المخيمات .

لم يبق احد يجرؤ بوصفنا هذا الوصف، حتى اولئك الذين قالوا قبل سنين اننا هامشيون، فهم الان قد تراجعوا وهم يتوجهون الينا بأساليب متعددة ـ بالترهيب والترغيب ... بالمال والسكاكين واساليب لا تخفى عليك وعلينـــا .....

عـــرض وتلخيـــص :ـ

المكـان :ـ

بين مخيم الدهيشة بحاراته وازقته وبيوته المميزة واسماء حوانيته وبين بيت لحم المدينة المجاورة .

الزمـان :ـ

تغطي احداث هذا العمل زمنا طويلا يمتد من ايام ما قبل النكبة الى ايامنا هذه .

الحـدث والشخـــوص :

هذا العمل سيرة ذاتية للكاتب، محورها علاقة حب بين شخصية العمل الادبي المركزية (الراوي) وبين "حياة" الشخصية المركزية الثانية وحول هاتين الشخصيتين ينسج الكاتب خيوط عمله الادبي، وحولهما تتحرك وتدور باقي شخصيات العمل الادبي (والد حياة وام حياة ووالد الراوي، اطفال المخيم الذين يعملون في المدينة : محمود ، ورائد الجنجي ، وعصام العسبلي، الحاج عبد القاهر الادهمي ، صاحب محل للخضروات في بيت لحم ، بمحمود الشرطي ابن المخيم ، والصرفندي صاحب الفرن في مخيم الدهيشة وسميرة ام ستة الاولاد ، التي يقضي زوجها محكومته "مؤبد . وباهر ابن خال الراوي. والجده سرية ، والخالة فريدة ام محمد ، وابو وضاح الزكراوي وام وضاح والحلاق الارمني ، ومبسر ابنة صاحب الدكان في الحارة الغالية ... الخ

وعلاقة الحب هذه تبدأ منذ نعومة اظفارهما وتنمو هذه العلاقة وتكبر في جو مشحون بالمشاكل والاحباطات المتتالية .." والد حياة .. يمضي معظم وقته ساهما في صحبة الاحلام التي يراها تتبدد وتتكسر امامه. .. ويجلس الى والدي .. يتسامران .. يتذكران .. ويتضرعان الى الرب يعينهم على الايام العصيبة التي يخيل الي انهم لم يروا غيرها ومع ذلك يتجلدون بالصبر "(١٠).

وهم يهربون (اهل المخيم) في هذه الاحباطات باللجوء الى ذكريات الماضي ... "وفي ايام الشتاء الطويلة، حيث يبيت الاطفال كالدجاج، نجلس انا وحياة اليه، يحدثنا عن ايام العز في البلاد ،كما يسمى تلك الايام البعيدة " عن الايام الستة والثلاثين وعن البطولات الفردية .

ويسيطر على هذا الجو فقر مدقع يضطر اولاد المخيم للعمل في المدينة بسن مبكر، ويمر الزمن ويكبر الراوي "وحياة" وتكبر الدنيا وتسود امور كثيرة يرونها بمنظور جديد .. انه الاحتلال سنة ١٩٦٧ الذي يضطر الصرفندي الى اغلاق فرنه والى ان يصبح (شيخ عرب) يتكلم ولا يزهق ـ "والناس تغرق، .. والعالم آخر وقت.. يا رب سترك، .. هل تعرفون لماذا كان مطرها ضعيف هذه السنة، الناس ما بتستاهلش الرحمة، والرب غاضب على عباده ... وان الله لا يصلح ما بقوم حتى يصلحوا ما

Digitized by Birzeit University Library

بأنفسهم ،مش هيك .. يا اساتذة ... "ص١٩

وليس للناس الا ان يلوكوا سيرة سميرة ام ستة اولاد، والدهم يقضي محكومية مؤبد، يلحظون زوارها من الغرباء ينهالون بشتائم عليها وعلى اليوم الذي عرفوها فيه وينسجون القصص عليها وعلى زبائنها ..ص١٩.

ويكبران ويعرفان المدارس ولكنهما لم يحبوها ويعبران عن كرههما للمدرسة بأن يستغلا وقوع مظاهرات ليعبرا عن هذا الكره، وتكون مكافأة الراوي كفين من فئة الخمساوي من قبل والده، الذي يلقنه درسا في التخاذل " ـ لا تفكر يا ابني .. انني مش وطني، كنا مثلكم طايشين تظاهرنا ضد حلف بغداد .. وغيره .. وغيره، دفعت اخاك شهيدا مع الفدائية.. وكله بدون فائدة ...الخ".

ويكبر ابناء المخيم مع الجموع ويعرفون سجون الاحتلال وخاصة سجن الفارعة وفجأة يتناهى الى اسماعهم نواح امرأة ابي وضاح.

ويعرفنا الكاتب على ابي وضاح المناضل الذي كان يبث الامل في نفوس الناس بالعودة ولكنه يموت في عمان بعد سنوات من حرب ٦٧ وتحتل حكاية هذا الرجل مكانا كبيرامن هذا العمل .

ويكبران (الراوي وحياة) مرة اخرى ولكن الدنيا لم تكبر هذه المرة، تستمر ايامها كريهة .. ويعمل الراوي وحياته في احد الكيبوتسات وتتطور علاقة الحب التي تربطهما وتتسع مداركها " يقرأ الراوي (غسان) وشعر الشاعر الفرنسي "بول ايلوار".

وينتهي العمل الادبي هكذا :

قضيت مع ابي العبد، ايام" واسابيع .. وشهور في رصف بيوت الغير في البلاط، عرفت خلالها مذاق العرق المالح حين يتصبب وينزل الى الفم الظمآن، فيزداد شغف هذا الفم الى جرعة ماء حقيقية تبرد الصدر وتواجه الصيف الذي لا يرحم انا كنت احمل عدة البلاط وحياتي" ،تنتظر باص البنات.. نظرت اليها فخانتها العينان، مسحت الدمعة التي تسللت الى الخد الجميل، .. وركبت الباص١١٠ آه .. يا "حياة".

وبعد، فقد آن لنا ان نسأل" ما الهدف من هذا العمل الادبي .. ماذا اردت ان تقول يا اسامه .. الفقر يقتل الحب ؟؟ الفقر في الوطن غربة اكبر غربة ؟؟ هل هذه المقولة هي خلاصة هذه المقاطع من حياتك وخلاصة ذكريات اللاجئين ، وصراعهم من اجل لقمة الخبز وتضحياتهم خلال اكثر من ثلاثة ارباع القرن. ومقارعتهم للاستعمار الانجليزي والاستيطان الصهيوني والارهاب والقمع الاردنيين ، وأخيرا الاحتلال الصهيوني وما رافقه من اعتقالات وقتل ومصادرة للاراضي، واقامة المستوطنات ،ونهب الثروات المائية والزراعية وتهويد القدس، ومحاصرة للفكر العلمي وتضييق على المخيمات بهدف ازالتها ....؟؟.

وما الفرق ـ يا اسامة ـ بين موقفك هذا وموقف والدك .." يا ابني انظر لحالنا ، اريدك ان تكبر وتتعلم وتشتغل .وتبني مستقبلك، .. ولا يغرك الكلام .. فكرك حتى اذا جاءت دولتنا .. رايحة تطعمنا رغيف الخبز، من الان السفلة بيكسبوا على حساب الفقراء .. اسمع انا اكبر وطني وفرت لكم كيس طحين، ..صدقني يا ابني الوطن هو رغيف الخبز، الوطن كيس الطحين .. ورغيف الخبز "ص٢٥.

لا تظن يا عزيزنا اسامه اننا نريد منك ان

Digitized by Birzeit University Library

تصور الحياة تصويرا مثاليا .. وان لا تتحدث عن اولئك الذين ملوا الانتظار، والذين يرون الحل لمشاكلهم معجزة الهية، ولكن يجب ان لا ننسى مطلقا ان الاغلبية العظمى بدها دولة وهوية، بدها وحدة وطنية .. وانها ما زالت معطاة .

العمل الادبي حوار للواقع .. نقاش جار معه، بماضيه وحاضره .. وهو موقف منه .. اين يكمن الخطأ .. ما اسباب هذه المشاكل والمآسي المتلاحقة .. لماذا تتعقد مشكلتنا وتأخذ مسارات قد تؤدي بكارثة، وبعد ما الحل ؟ ماهي طرق الخـــلاص ؟.

عندما توثقت علاقتك بمحبوبتك "حياة" واشتهت "كلمتينة" "غامرت من اجلها، وحاولت سرقة حبة لها، وقد تعرضت للضرب المبرح...

هذا موقف !! ولكن اين موقفك من الذين يترددون على بيت سميرة، هذا خلل كبير في عملك الادبي، ويبدو انك قد وعيت قدرا منه لذا حاولت ادخال شخصية ابي وضاح، نموذج الانسان الفلسطيني الذي لم ييأس، ولكنك أبيت ان تكون هذه الشخصية بيننا هنا، فهو قد ترك الارض المحتلة مع النازحين، وفي عمان يموت بعد سنوات من حرب ٦٧، الا يوجد امثاله في المخيم .. اين الرجال الذين صمدوا وكانوا يحثون الناس على البقاء في الوطن، وقد افلحوا في تثبيت كثيرمن الناس في قراهم ومدنهم عام ١٩٦٧.

الكاتب الذي يملك وعيا علميا "فلسفة ثورة" واختار له موقعا ومنه اتخذ موقفا، لا يرى فقط جانبا واحدا من جوانب الصراع او طرفي الصراع .. لقد غابت عن عينيك رؤية منظور التغيير .. حتى ولو كانت صغيرة جدا ..

الكاتب الواعي لا ينسى ذلك ابدا .. دائما يضع ذلك في الحسبان ...

أين الصدامية في عملك يا اسامة ؟ هل اجترار الماضي دون ممارسة الحاضر هو سمة كاتبنا المحلي .. لقد تجاوز كتابنا مرحلة التغني بالبطولات الفردية، وسكب الدموع الغزيرة على الماضي والفردوس المفقود .. ان لغة كاتبنا اليوم هي لغة الفعل المضارع المستقبـــل .

وهل سيرة الكاتب في عمله الادبي هذا نموذج لحياة الناس في المخيمات، ان سيرة البطل هي سيرة الشعب، او سيرة طبقة من طبقات المجتمع . اين هذه السيرة الذاتية من سيرة سميح القاسم في روايته الرائعة " الى الجحيم ايها الليلك" .. لقد استطاع سميح القاسم ان يجسد في سيرته، سيرة جزء من شعبنا الذي بقي على ترابه سنة ١٩٤٨ .. استطاع من خلاله ان يجسد رحلة هذا الشعب من بداية المأساة، الضياع، ثم مرحلة المخاض النضالي ولملمة الاجزاء المتناثرة والنهوض على الارجل ثم مرحلة الوضوح واختيار طريق المقاومة والنضال لانتزاع الحقوق المغتصبة .. اين هذا من سيرة كاتبنا اسامة العيسة .. هل سيرة الكاتب في عمله تجسد ما يعتمل ويدور في داخل المخيمات وخاصة مخيم الدهيشة . الذي اصبح علما في المقاومة والتحدي والنضال، برجاله ونسائه واطفاله وشيوخه وحجارته ،وحاراته، واصبح مثار اعجاب العالم ومحط انظاره .. الم يصل بعد المخيم الى مرحلة ان يتمنى الرجل ذهاب ابنه والتحاقه بالمقاومة كما فعل بطل رواية غسان كنفاني" "عائد الى حيفا" وهي التي احتلت جزء من حيز عملك يا اسامه .. الا يزال الاب كما

Digitized by Birzeit University Library

صورته في عملك، وهل موقعة يجسد موقف اغلب الاباء والامهات في مخيماتنـــا .

ان تكتب يا صاحبنا عن المخيم فعملية ليست بالسهولة التي تتصورها ، حتى لو كنت ابنه، عليك ان تتمهل، وتتمهل، ان ترصد وتترقب وتسجل وتغربل وتختار، فالمخيم ليس طبقة متجانسة وليس فكرا واحدا وليس وضعا اقتصاديا واحدا.. رغم ان الاغلبية همها ان تتخلص من هذا الوضع بالعودة وحق تقرير المصير واقامةالدولة المستقلة ...

ان اضطراب النظرة العلمية الناقبة لديك جعلك تقع في مطبات قاتلة مرة تتعاطف بقوة مع المخيم فترى الشرطي انه انسانا متعاطفا مع مجتمعه، ليس كغيره من رجال الامن في وطننا ، ومرة اخرى ترى ابناءالمخيم ليس لهم عملا الاالتسكع امام بيت سميرة" وايضا تصورهم لنا من رواد سجن القارعة .. كيف ذلك يا اســـامة ؟!.

من ذلك نخلص ان عملك هذا يحمل ملامح اتجاه في الادب قد اكل الدهر عليه وشرب..ان عملك يحمل الاتجاه الواقعي الفوتوغرافي ..فعملك نقل حرفي الـواقع بشكل مشوه، ليس فيه عناية بتحليل الظواهر والغوص خلف ابعادها .. ويخلو من المواقف الايجابية، وهذا يسيء لقضية شعبنا ونضاله.

" البنـــاء الفنـــي "

يبدو لكل من يقرأ هذا العمل ان الكاتب كان قد وضع تصميمه على اساس من الربط بين كفاح اهل المخيم وقصة حب ، هل نجح الكاتب في ان يصنع تفصيلات هذا التصميم يملاءه بالاحداث اللازمة وان يحرك الشخصيات المناسبـــة ؟.

ان تكوين هذا العمل لا يعدو ان يكون حشدا لاكبر قدر ممكن من المواقف التي يحس فيها الكاتب فرصة لان يتحدث عن عجب او موقف بطولي. وهو يستعين كثيرا بعامل الصدفة في ادخال احداث جديدة تلزم لابراز ناحية كفاحية للشعب الفلسطيني وحكاية ابي وضاح ابرز شاهد على هذا الاسلوب .واما ترتيب الحوادث فلم يكن مثيرا الى الحد الذى يجعل القارئ مشوقا دائما لان يستمر في القراءة وتتبع المواقف، انه مواقف متقطعة واوضح انقطاع هو ذلك الذى تمثل في الخاتمة ،فما الرابط الذى يربطها بالعمل الادبي .. لقد شعر الكاتب انه تعب وليس لديه ما يقول فانهى عملـــــه .

ان هذا العمل اقرب الى ان يكون موجة واحدة، فليس فيه تلك الارتفاعات والانخفاضات النفسية التي يمر بها القارئ للقصة الناجحة في تصميمها ،التي تثير فينا التشويق والمتابعة حتى نهايتها .وشخصياته سطحية باهتة، لا تدفعنا للتعاطف معها او كرهها فنتساها بسرعه، وهي مفتعلة لا تكاد بصدق ناس المخيم .

وتذكرنا محبوبة الراوى في عمله لمحبوبته سميح القاسم في رائعته"الى الجحيم ايها الليلك " فكلتاها حبيبة الطفولة، حبيبة امامة "سمراء بطعم حبة دافور سمارى من حاكورتنا وبرائحة الارض حين تحتضن القطرات الاولى وتمتصها .. احبا المسكينة منتوفة الريش وهي تحبني.. اما المسكين .."ص٧

وحبيبة سميح" عمرها ثماني سنوات، شعرها فاحم وعيناها خضروات.. قلت لها الف

Digitized by Birzeit University Library

مرة ." انت اصغر مني سنة واقصر مني سنة يا مفصوفه العمر وحدرتها مرارا: "ان قلت لامك مادا فعلنا خلف السياج فساضربك على قدميك الوسختين انا احبك يا قردة، انت اجمل البنات ومعك وحدك العب لعبة العريس والعروس. تعالي نتعمشق على التبنة، نسرق رمانا من حاكورة جدى ابو علي" تعالي اقبل فمك وانفك وسرتك ثم نصعد على السطح ثم نتباطح على العشب السماوى ونتنشد للطيارة الهمجية القادمـــة .

طيارة حراميـــة
تحت التـــوت مرميـــة" (٥)

واذن ففي طفولة كل منهما قصة حب، اخذت تكبر وتنمو خلال العمل الادبي، لكن شتان بين الاثنتين فكريا وجماليا .. ان حبيبة سميح القاسم تمثل البراءة المفقودة، والطفولة المبتورة وهي تظهر على عدة مستويات، مستوى واقعي ومستوى خيالي، مستوى حقيقي ومستوى رمزى، فهي فتاة من لحم ودم وهي رمز للشعب المشرد، والشعب المقاوم والوطن الذى ضاع، والاصرار على العودة وهي مضمون وشكل ملتحمان متفاعلان. ولكن محبوبة اسامة ذات بعد واحد لا ترتقي الى مستوى النمذجة للفتاة الفلسطينية صاحبة القصة والتي تشارك في المظاهرات وتعمل بجد واجتهاد لاخذ دورها في المعركة المحتدمة منذ مطلع هذا القرن والى ايامنا هذه .

واسلوب هذا العمل لا يرقى الى مستوى الاسلوب القصصي. فالصياغة فيها وصفية سردية، واحداثها تنحدر الينا من اخبار الشخصيات وتعتمد احداثها على الشطارة.

ان الكاتب المتمكن من نفسه يستخدم اكثر من طريقة عرض فيكون ايقاع عمله متنوع النغمات، فقد يستخدم الكاتب المسلوج الداخلي، وضمير المتكلم وضمير الغائب، التداعي بانواعه والحوار. وهذا ما يفتقده عمل زميلنا اسامة العيسة، مما افقد عمله الحيوية والتشويق واوقعه في الرتابة الممله .

أما وقفتنا الاخيرة فهي مع اللغة في هذا العمل . ان حوار المنتج مع واقعه يوازيه حواره مع لغته .. وهذا ما يدركه الكتاب الكبار امثال الكاتب الكبير اميل حبيبي، فالبطل الاولى والشخصية الاولى في اعماله هي اللغة، مما اكسبته احترام وتقدير الاعداء قبل الاصدقاء .

ولكنك يا اسامة لم تاخذ هذه القضية بعين الاعتبار، فقد حمل عملك اخطاء نحوية ولغوية كثيرة، في لغة السرد والحوار، وهذه نماذج من اخطائك .." وتخبأنا في الصندوق المستطيل ذو الثلاثة ابواب، والصواب (ذى الثلاثة الابواب) ص٩ و"نزلة ريالته لاجلها منذ اسبوع) والصواب (نزلت ريالته) و (وخزني شيئا) والصواب (وخزني شيء) ويحدث ان يخرجون من السجن والصواب (ان يخرجوا)

فانت تنصب الفاعل وترفع خبر كان وتنصب الخبر في جملة لم يسبقها لا كان ولا اخواتها .

كما ان تراكيب (جمل وعرايات هذا العمل بدائية البناء ،فعل وفاعل، أو مبتدأ وخبر، فقليلا ما تلجأ الى التقديم والتأخير، او الحذف، والفاظك ما هب ودب ولا تحمل ايحاءات حركية ولونية وو... الخ. وتستخدم كثيرا حروف العطف، ولا تجيد استخدام علامات الترقيم .

أما حين حاولت استخدام العبارات والجمل الشعبية ،فلم توفق، ولم ترق الى

Digitized by Birzeit University Library

مستوى الكتاب الذين ابدعوا في هذا المجال (محمد نفاع مثلا في" كوشان" و" ودية") فتحس انها مقحمة وكثيرا ما يشملها الخطأ النحوى .." كنا جيران"ص٩

وهل تعرفون لماذا كان مطرها خفيف هذه السنة ... الخ

خلاصـــــــة :

واذن فهذا العمل الادبي ذو مضمون يشوبه التعثر والنقص والقصور وهذا في رأينا يعود لضحالة رؤيته الفنية .. فقد جاء تصويره للواقع تصويرا مشوها وجامدا، وليس فيه ابراز للنموذجي (القيم تاريخيا) .. وقد وقع في الموضوعية الزائفة كما يقول برتولد بريخت، تلك الموضوعية التي "لا تأخذ بعين الاعتبار اللحظة الذاتية وارادة العصر المتجهة نحو تبديل معطيات الظروف والعلاقات تبديلا مستمر مخصبا ، وهي صورا توحي بنبضات التغيير والتطور .

وقد انعكس هذا الاضطراب والتعثر والقصور على البناء الفني للعمل الادبي.. فكان العمل الادبي عبارة عن حشد لاكبر قدر ممكن من المواقف والاحداث التي تفتقد للتسلسل المنطقي، وكثيرا ما استعان الكاتب بعنصر الصدفة في ادخال احداث جديدة. ولم يكن تركيب احداثه مثيرا للقارئ بحيث يجعله مشوقا دائما في القراءة وتتبع المواقف. واجزاء هذا العمل مفككة ، واوضح انقطاع هو الذى تمثل في خاتمته. وشخصياته لم تنجح في ان تأسرنا، ولغته لم تكن اغنى من بنائه....

المراجـــــع :-

١) بتصرف عن : السهم والدائرة ـ محمد كامل الخطيب ـ الفارابي، بيروت ـط ١ ـ ١٩٧٩ ـ ص ٤٨ ص٩.

٢) د .محمد الصادق عفيفي : النص القصصي والمسرحي في المغرب العربي ـ دار الفكر ، بيروت ـ ط ١ ـ سنة ١٩٧١ ـ ص ٢٤.

٣) د . عز الدين اسماعيل ـ الادب وفنونه ـ دار الفكر، بيروت ـ ط٦ ـ سنة ١٩٧٦ ـ ص٢٠٠ ، ص ٢٠١

٤) المصدر نفســـه : ص ٢٠١.

٥) سميح القاسم ـ الى الجحيم ايها الليلك ـ صلاح الدين ،القدس ـ القدس ـ ص٨ر٩.

Digitized by Birzeit University Library

هل المكرمة الملكية تنقذ حياة الكتاب ؟!*

بعد احتلال السعودية موقعها الحالي بفضل مردودات النفط الهائلة ، وارتداد الكثير من الانظمة العربية عن خطها الوطني اخذت تكشف من جهودها لرفع مستوى سمعتها على جميع الاصعدة التعليمية ، والثقافية والرياضية ، واضفاء الطابع الحضاري على مظهر مدنها . فكانت سخية في سبيل كل ما يحسن من واجهة النظام ، ويوطد دعائمه . انفقت الملايين من الدولارات لشراء الرياضيين من البرازيل وغيرها لخلق فريق رياضي يرفع سمعتها في سماء الرياضة ، كما قامت «باستيراد» شيوخ الفكر الرجعي ومنظريه وسخرت لهم منابر الجامعات والمعاهد ووسائل الاعلام ، لكن هذا الجيش المأجور غير قادر على التأثير على ابناء الشعب ، لذا فهي مضطرة الى الكادر المحلي الاديب التابع من صفوف الجماهير ، الذي يملك التأثير الواسع على المواطنين ، فقامت بتأسيس النوادي الادبية والجمعيات الثقافية واستحدثت الجوائز الادبية مثل جائزة الملك فيصل ، ورصدت ميزانيات كبيرة تمكنها من اغراء وشراء الكثير من الاقلام . وكان النظام متردداً وحذراً في الاقدام على رفع المستوى الثقافي للمواطن ، وهذا ما حدا به الى تنصيب وزير الداخلية رئيساً لمجلس الاعلام الاعلى ، المؤسسة المسؤله الاولى عن الثقافة في بلادنا ، ويكفي هذا لكي ندرك جوهر الثقافة المطلوبة وطبيعتها وافاقها والمهمات المناطة بها . هذه الثقافة المتسمة بالرفض من قبل المواطن ، وقد سبب هذا الرفض ازعاجاً للنظام وقلقاً كبيرين مما دفعه الى اتخاذ اجراءات كثيرة لتجاوز هذه الازمة التي تواجه ثقافته ، التي يستهدف من ورائها استاد عرشه واطالة عمره ، وبفضل عوائد النفط اخذ يعرض هذه المهمة على الكتاب والشعراء ورجال الفكر بمغريات مادية كبيرة . الى جانب تدابير القمع والارهاب الواقعة على الاقلام ، التي لا تخدم هذه الاغراض ، كما لا يتاح لاي انتاج يحمل نفساً وطنياً وانسانياً ، الطباعة والنشر داخل البلاد ، وكذلك تفرض القيود امام هذا الادب اذا طبع خارج البلاد ، اذ لا يسمح لهذه المطبوعات ان تدخل البلاد

اما النوادي الادبية والجمعيات الثقافية والمؤسسات الرسمية فتختار من النتاجات ما هو محايد مع السلطة ولا يتعرض لعيوب المجتمع من بعيد او قريب ، او النتاجات التي تصلي وتسبح باسم النظام وتدعو للملك بطول العمر . ولقد اغرقت السوق المحلية بمثل هذه النتاجات الغثة ، التي لم تحظ باهتمام القارىء ،

* العدد الرابع من مجلة " الثقافة المعاصرة" الصادرة عن تجمع الكتاب الوطنيين في السعودية .

Digitized by Birzeit University Library

لان اسرر سماتها السلفيه الرجعية ، الضحالة فبقيت على الرفوف يأكلها غبار الرياض وتفوح منها رائحة العفن ، مما اقلق النظام ، وصار يبحث عن حلول مختلفة لتر ويجها وايصالها للقارىء . احرها وليس اخيرها توجيه الملك فهد الصادر بتاريخ ١٩٨٣/١٢/١ والقاضي بما يلي :

١) تقوم كل وزارة ومؤسسة عامة ومصلحة حكومية بشراء مائة نسخة من كل كتاب توافق عليه المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الاعلام ويتم طبعه داخل المملكة ويكون ذا منفعة عامة . . اما بالنسبة للكتب ذات الصلة بنشاط الوزارة او المؤسسة اوالمصلحة فيمكن تأمين عدد اكبر حسبما يقرره صاحب الصلاحية في الوزارة او المصلحة او المؤسسة .

٢) بالنسبة للجهات المشرفة على النشاط الثقافي مثل وزارة المعارف ووزارة الاعلام والرئاسة العامة لرعاية الشباب فستستمر في شراء الكتب حسب احتياجاتها على ان لا يقل ما تؤمنه من كل كتاب يطبع في المملكة عن مائة نسخة .

٣) توزع الكتب المشتراة على الموظفين ومنسوبي الجهة وتقدم كهدايا للضيوف الاجانب ويودع جزء منها في مكتبة الجهة الحكومية .

هذه هي الحلول التي ارتآها (جلالته) لإنقاذ الكتاب المطبوع داخل البلاد ولضمان نفاذ النسخ كما تستهدف هذه الحلول انعاش حرفة الكتابة ، ولكن هل قيمة الكتاب تكمن في نفاذه من السوق لبنام كاتبه مرتاح الضمير إن كان له ضمير حي . ولكن حرفة القراءة التي يعيش بها الكتاب وكاتبه لم يشملها بند في توجيه جلالته ، فلربما تركت لمكرمة اخرى يصدر بها مرسوم رغم استبعاد حدوث ذلك في حياة التقشف التي فرضتها الميزانية العاجزة .

ولقد طبلت وسائل الاعلام هذه المكرمة الملكية وسموها دفعة حقيقيه واضافة جديدة على مسيرة العلم والوعي والتحضر ، وانها لفته كريمة وسنية لدفع عجلة الثقافة .

إلى جانب مبادرة (الفهد) لانقاذ الكتاب « السعودي » هناك ما تقوم بطبعه المؤسسات الاعلامية والثقافية التابعة للنظام وتوزيعه في المواسم مثل الحج والعمرة ، واغراق المكتبات العامة ومكتبات الجامعات والمعاهد والمدارس والنوادي به .

وكذلك معارض الكتب الموسمية ، والتي صارت مؤخراً تقتصر هذه المعارض على الكتب الاسلامية المنتقاة بعد ان تسربت بعض الكتب المحظورة الى القراء من خلال معارض الكتب السابقة .

كل هذه المحاولات اليائسة عجزت عن ان توصل الكتاب الى يد القارىء ، وذلك لان هذه الكتب ولدت معيدة مقضياً عليها بالاهمال . مما قد يؤدي الى ان تتبنى السلطات السعودية تجربة صدام حسين الرائدة في هذا المضمار ، حيث لايسمح لاي قادم الى العراق بالدخول مالم ينشر الكتاب الذي يتحدث عن قادسية صدام ، والسعودية لديها فرص الحج حيث يؤم البلاد مئات الالوف بهذا يتحقق رواج الكتاب على مستوى عالمي !!

وهناك محاولة قام بها شاعر سعودي لتر ويج ديوانه وهو الشاعر عبد الاله محمد جدع فإلى جانب اختيار

Digitized by Birzeit University Library

الاوراق الصقيلة والالوان الزاهية استأجر الفنان المعروف محمود ياسين أن يقوم بتسجيل قصائد الديوان على كاسيت يرفق مع كل نسخة بالاضافة إلى صورة لمحمود ياسين ورغم ذلك فالقلق على مصير الكتاب السعودي ما زال يعصف بالمسئولين والساهرين على الكتاب فهذا محمد المنصور الشقحاء احد مسئولي نادي الطائف الادبي يدلي بدلوه . فهو يتذمر ويقول انه قام بطبع مؤلفات عديدة ولم يكتب لها الرواج وضاقت بها مخازن ناديه الانيق ، رغم ان اسعارها زهيدة حسب قوله ، حيث انه راعى (مشكوراً) بند وصول الكتاب إلى القارىء وبثمن غير مرهق . وهو يلقي المسئولية كاملة على دور التوزيع حيث « اوصدت ابوابها امام الكم الهائل من الانتاج مكتوفة اليدين ، فالعقلية التجارية شلت كل اعصاب التفكير للوصول إلى نتيجة » وما دام محمد المنصور الشقحاء توصل بدون مساعدة أحد إلى معرفة ان هذه المؤسسات تجارية همها الربح . فلماذا يطالب من اصحابها التجار الكبار إلى « خردجية » اعني تجار خردة في مجتمع استهلاكي لماذا تطالبهم بممارسة تجارة بائرة ؟

ولقد شاركه في هذا الكشف عن سبب ازمة الكتاب الاستاذ عبد القادر عقيل في معالجة لازمة الكتاب الخليجي وعلى لسانهما ورد «التوزيع هو الانشوطة التي تلتف حول عنق الكتاب الخليجي ، وهو مسبب كل التباعد والغياب بين كتاب وادباء الخليج» مجلة الدوحة العدد ٩٢ اغسطس ١٩٨٣ واستعار هذه الفقرة الاستاذ الشقحاء في معالجته لازمة الكتاب السعودي ايضا مجلة الدوحة العدد ٩٩ مارس ١٩٨٤ .

ويتجاهل الاثنان ان «الانشوطة» قبل ان تلتف حول عنق الكتاب الخليجي ، شدت باحكام حول عنق الكاتب ونعني بانشوطة غياب حرية الكلمه والتفكير ، غياب ديمقراطية الحوار ، غياب الرئة التي يتنفس بها الاديب ليعطي أدبا حيا قادرا على ان يفرض نفسه ويصل القارىء اين كان ، وينتج ادبا لابتنظر شركة توزيع . وهنا يجب البحث عن ازمة الكتاب الحقيقية قبل ازمة التوزيع هذا المشجب الذي يحاول المسئولون تعليق فشل الكتاب عليه .

ويقترح الاستاذ ان العقيل والشقحاء العلاج الناجع لمرض الكتاب العضال وهو : «يجب ان يتم تكوين اتحادبين دور النشر الخليجية اولاً تلتزم فيه كل دار بتوزيع نسبة مئوية من كل اصدار تقوم الدار الاخرى بنشره . .» مجلة الدوحة العدد ٩٩ مارس ١٩٨٤ . الحاجة الى دار نشر خليجية هذا ما ارتآه الشقحاء ، وهذا يراه ايضا العقيل «لقد طرحت اكثر من مرة فكرة انشاء دار نشر خليجية تؤدي مهام نشر الكتاب الخليجي» . مجلة الدوحة العدد ٩٢ اغسطس ١٩٨٣ .

نحن لا نبرىء ساحة دور النشر والتوزيع من سلبيتها تجاه الكتاب وايصاله الى القارىء ، كما تصل «روايات عبير» الى كل بقالة وسوبر ماركت ، وكل كوشك ومكتبة حتى المخابز تبيعها وتحمل الى البيوت ساخنة مع الرغيف ، كما ينتشر في سمائنا الوطواط والسوبرمان الاميركي ينفثان سمومها فتستشفها نفوس اطفالنا وتسمم افكارهم .

ان المسئولية لازمة الكتاب لا تكمن في غياب دار نشر خليجية وعلى تجار الكتاب ، فدور النشر موجودة وهي تطبع المجلات الرسمية وكتب الجهات الحكومية وتطبع بطاقات الحفلات المذهبة والاعلانات وذلك

Digitized by Birzeit University Library

لانها لا تخشى من خسارة . وتجار الكتب نشطون ، فاسواق الكتب مكتظة بالكتب الانيقة المظهر التي تحمل في طياتها الثقافة البرجوازية والافكار الرجعية ، والمصرح لها بالدخول من قبل الجهات الرسمية.

يا ترى أليس لانتشار الامية الثقافية دخل في رواج الكتاب ؟ ومن المسئول في استمرارية الامية الثقافية ،والمستفيد منها ؟ من الذي بيده كل وسائل التربية والاعلام والتي هي المسئولة الاولى عن خلق شعب قارئ، يسير الى الكتاب لا العكس ؟ أليست وسائل الاعلام هي التي نجحت في خلق شعب مكرون، وهي الان تصنع شعب «فيديوهي» يتبادل اشرطة الجنس في المدارس والجامعات كما كنا نتبادل بالامس الكتب المحظورة وندسها في حقائبنا لقرأها في الخفاء ، تلك الكتب التي لم تخرج الى دور توزيع ، بل كان بعضها يستنسخ باليد ''

لقد حز في نفس الاستاذ الشمعة، العيور على سمعة السعودية في مضمار القصة عندما قرأ في مجلة فصول المصرية دراسة عن القصة القصيرة في الخليج ، وان الباحثة توقفت في كتابتها عند القصة السعودية الى ما قبل عشرين عاما ، وتوصل الى ان البحث ناقص والقى اللوم على الباحثة ، لانها لم تأت الى الطائف ، مقر ناديه الادبي وتبحث في ادراجه عن القصص السعودية ، ولم يسأل نفسه قبل ان يوجه اللوم الى الباحثة لماذا توقفت الى قبل عقدين من الزمان ؟ قبل عشرين سنة لماذا ؟ قبل عشرين سنة كان الادب اقل تطورا في بلادنا وعدد كتاب القصة يكاد لا يذكر ووسائل الطباعة والنشر متخلفة ورغم هذا كله وصلت الكاتبة الى نتاجات تلك (الازمان الغابرة) . لنقرب اليك ما نريد ان تدركه ، اما ما انت متجاهله . اليست هه الفترة هي بداية الحصار الحديدي الذي فرضه فيصل على الفكر؟ اليست بداية القمع الوحشي والملاحقة المستمرة للاقلام الجادة والصادقة؟ اليست فترة تفتيش المكتبات في البيوت والنوادي ومصادرة كل كتاب يحمل فكرا انسانيا ، فترة مصادرة كتب جبران خليل جبران وقصة مدينتين لديكنز من الاسواق ومكتبات النوادي ، وتطهيرها من روايات الهلال المطبوعة في الخمسينات . واعقب حملات التطهير هذه صنع البيوت الزجاجية لزراعة الكتاب واستيراد بعضهم كالعجول والابقار الهولندية التي تدر كثيرا ، هذا ما حدث قبل عشرين عاما ، ومن ثم تأتي انت تريد ان تجني بطيخا من شجر العوسج ، وتريد من الكاتبة المصرية ان تقطف وردا من عوسجك العجوز

وهكذا اصيب كتابنا بمرضه العضال ولن يكتب له الشفاء على ايدي مسئولي النظام ولن تنقذه المكرمات الملكية الاميرية ، لانه من ثمرات الديكادينسيين الجدد ، الذين استرقهم النظام بمحفظته النفطية ، وان هذه الثمرات المرة لن ترفع من سمعة نظامه ولن تشرف البلاد كما قال عبد الكريم الجهيمان : «الكتاب الميت او الضعيف لا يشرف البلاد التي خرج منها ، لانه لا يريدنا علما ولا يزيدنا تجربة . . ولا يكشف لنا خطأ ارتكبناه ولا يوضح لنا طريق صواب خطأناه» . .

ونحن نؤكد على ما اكده الاستاذان الكويليت وعبد الكريم الجهيمان حول «مكرمة فهد» لانقاذ الكتاب «السعودي» إذ يقولان : «نرى أن تشجيع مثل هذه الكتب او الاصدارات نفقة ضائعة وانفاق في غير محله ومساواة للطيب والرديء» . الجزيرة ٥ فبراير ١٩٨٤

Digitized by Birzeit University Library

حول رواية "الخطية"
خواطر وتعليقات

بقلم : الاستاذ محمود الخطيب ـ بيت لحم

على عادته امتعنا الاستاذ اميل حبيبي في روايته الاخيرة والتي تزخر بسيل لا ينقطع من الطرائف الهادفة التي تحمل اكثر من معنى وأكثر من صورة واضحة لما نحن فيه ولما يحيط بنا من واقع يصدق فيه المثل القائل" شر البلية ما يضحك "٠٠ امتعنا باسلوبه السهل الممتنع الذى يشدك الى سطور الرواية فلا تملك الا ان تواصل القراءة فلا تتوقف الا لتنفجر في ضحكة من القلب او تعلو شفتيك ابتسامة فيها كثير من الاعجاب بالكاتب واسلوبه اللماح .

ولقد استخدمت النكتة والطرفة والحكاية لنقد الاوضاع الشاذة وتصوير ما وصلت اليه المجتمعات من سوء وهي ولا شك اعمق تأثيرا في القارئ او السامع من المواعظ الجافة المباشرة التي لا يتعدى تأثيرها حنجرة قائلها وانتفاخ اوداجه وهو يهدر بها متصورا انه قد ادى ما عليه من (واجب) وكفى الله المؤمنين القتال ٠٠ اما العمل بها فمسألة لم ترد في الحسبان ٠٠

اعجبتني في (الدفتر الاول) (شطحته) التي رواها عن رؤيته لمخلوق الفضاء الشاهق القامة والذى (رجلاه منفرجتان على عرض الطريق ورأسه في الغيوم) تلك التي قصد بها ـ حسب تقديري ـ تصوير المبالغات التي يفبركها وينشرها الحكام لتبرير سياستهم الغاشمة وليزرعوا عن طريقها الهواجس والاوهام في عقول الشعوب ليعمقوا مشاعر الكراهية بين افراد هذه الشعوب ٠٠ وهذه الايماءات عن (الدشداشة) العربية التي وردت في الرواية وبأسلوب الكاتب المبدع مثال حي على مفرزات ما يزرعونه من اوهام ٠

واعجبني واضحكني تشبيهه سحنة المدير الانكليزى الذى كان يزور اخاه بـ (زمكّ) ديكهم الهمام ، والزمك اذا كنت لا تدرى هو المؤخرة والله اعلـم ٠

وخواطره هذه لذيذة المذاق تقرأها فتتمطق مثل تمطقه وتحسره على (اليوسف

Digitized by Birzeit University Library

افندى) الذى كان يشتريه من صاحب البيارة العربي البصاوى ثم لم يعد يجد له اثرا بعد ان قلب اولاد البصاوى بيارتهم ارضها وشجرها وذهب " الجمل بما حمل" ذهب اليوسف افندى وبقي لعاب الاستاذ تهيجه الذكرى فيتحلب ! .. ولا حول ولا قوة الا بالله .

وانت لا تفتأ تجد بين السطور حكاية مغبرة او طرفة موضوعة في محلها وافية بالغرض الذى جاءت لتوضحه او تؤكده : حكاية الشيطان في الابريق وحكاية شهريار عندما هام على وجهه بعد ان خانته زوجته .. وغيرها كثيـــر .

ثم هذه المعرفة الدقيقة بخصائص التفكير والتصرف عندنا ـ نحن عرب هذه الايام ـ الميل الى التبجح والتباهي بالمعرفة حتى ولو ادى الامر الى كشف اهم الاسرار " قال (يقصد المستشار الاميركي) : لو كان العرب اهتدوا الى هذه الاسرار لتبرعوا بها واعربوا عنها اعرابا عربيا مبينا ". ثم " ولا يختلف في ذلك الاعراب منهم والحضر .. اسرارهم في قلوبهم وقلوبهم على السنتهم ولا يحسنون الظن الا بالاجنبي ! "ص٢٢".

xxxxxxxxxxxx

وسوف تلاحظ وانت تقرأ صفحات روايته امثلة من ابدع ما كتب على طريقة المدح الذى هو اقرب الى الذم) مع اعتذارى للبلاغيين الذين اجهدونا واقرفونا وهم يوردون امثلة فجة على ذلك . واذا كنت في شك مما اقول فما عليك الا ان تقرأ ما كتبه عن المسعودى (ص ٣٣ ـ ٣٤ ـ ٣٥) وخيالاته الخصبة وتطلعاته وهو يحاول حساب عمر العالم مدعيا الدقة فيما يقول . ولا تحسبنه يمدح المسعودى فتقع في الخطأ انما هو الذم جاء عن طريق كشف ادعاءاته وتبيان انغماسه في الخرافة والهبل . وعلى فكرة . لم يكن المسعودى هو الوحيد في التاريخ العربي الذى عشش الخرافة وفرخت في رأسه وكتبه، وانما هنالك الكثير منا معشر العرب من سبق المسعودى او اقتفاه وأربى عليه .. فلقد روى الطبرى في تاريخه وهو يورد اخبار فتح العرب لبلاد الفرس ان كوكبة من الفرسان مرت عن راع فارسي فسألوه عن ابقاره فأنكرها " فصاح ثور من اعلى الاجمة : كذب ورب الكعبة، ها نحن هنا ". نطقها الثور في عربية ولا سحبان وائل ... وسبحان مُنطق البقر ومُنطق الحجر لا الا هو . وهكذا مال الجنود الى قطيع البقر يغنمون ثمار هذه المعجزة معجزةتكلم البقر !!

وهو يمارس النقد الذاتي مع نفسه وجماعته في الجريدة وفي سخرية لاذعة تذكرنا بالجاحظ اعظم كتاب العرب الساخرين. وتلمس من سخريته بل تتعلم درسا في الصراحة وكيف يتعلم الانسان الدروس حتى من اللطمات لا بل حتى من (تياسته) هو ذاته ـ درسا اتمنى لو وعيناه كلنا في المشرق العربي من الخليج الثائر الى المحيط الهادر !!، نعم الهادر ولكن في قهقهة على ذقوننا ونحن ندس رؤوسنا كالنعام في الرمال متجاهلين اخطاءنا وآثامنا او نلبس الهزيمة ثوب الانتصار ونسمي الاندحار نكسة الى آخر هذه المغالطات المعروفة والتي اصبحت ماركة مسجلة تعلو رؤوس الافراد والجماعات والحكام العرب في هذه الايام .

وهو يسمى الاسود اسود والحمار حمارا بلا مواربة فحين كتب الشعار (ح.ش.ف) واستدرج احدهم فقرأه هكذا " حمير شوارع فلسطين " ابتلع الاهانة وادرك عن طريقها ان

Digitized by Birzeit University Library

الشعارات الطنانة لا تحرر البلاد وانه حمار ذلك الذى يتصور هذا ... وحين اطلقوا شعار " كفوا اللطمة عن محامي الامة " (جاءت النتيجة على عكس التوقعات : خسائر مادية ومحاكم وطلب رد اعتبار للمحامي (الهلفوت) الذى لم يطلب منهم اجلاسه في مجلس البطل .. (وهكذا عاقبة طول اللسان وان نهرف بما لا تعرف وان نطل للبطولات الزائفة .. محاكمة تضحك الحجر ولا يمكن لاى قلم ان يختصرها لنقرأ هناك في مكانها في الرواية (ص ٤٢ — ٤٣).

في (الدفتر الثاني) ينثر المؤلف آراءه التي تعتبر امثلة جميلة على نفاذ البصيرة وبعد النظر والجرأة على قول الحقيقة وذلك خلال سرده لوقائع استجواب (عبدالكريم) ابي العباس: قصاص الاثر الزنديق الذى اخفى عن المحققين ان "الاسلام حرم وأد البنات ونجح في الامر بقدر ما نجح في تحريم الحروب والجوع والسبي وانتهاك كرامة الناس من ذكور واناث ".

و"تراثنا" هذا هو ما خلفه لنا الغفلة والاكارون لا ما خلفه لنا مدعو الخلافة الاكالون النكارون "

و" افلت المستشرقون والمستعربون اقلامهم تعبث في ترثنا فسادا وفي ماضينا تمثيلا حتى تراءى لقرائهم انه ما من جاهلية في تاريخ الحضارة سوى جاهلية العرب ".

هذه الامثلة غيض من فيض تلحظه اثناء قراءة الكتاب .

بقيت كلمة اقولها في هذه التسمية التي اطلقها على روايته " اخطية" والمعنى الذى (في بطن الشاعر) من ورائها .

الذى يبدو لي ان (اخطية) اسم من اسماء المعاني لا الاعلام فهل تراه يقصد ان يشبه (خطيئة) العرب الذين تركوا اوطانهم والذين رمز اليهم باسم عبدالكريم ذلك الذى هو "سليل عائلة تعمر ولا تطلع تُشيّب ولا تشيب اشتهرت بالكد والكدح وبطول آذانها ١١ وبالتصامم عن المذلة" والذى رحل من حيفا الى طرابلس فبيروت فالسعودية ثم الى نيويورك وديترويت ثم .. هو يحلم من جديد انه عائد الى شارع عباس في حيفا — ان يشبه خطيئتهم بخطيئة ابيهم آدم حين ترك الجنة الى الارض ثم بقي طوال حياته مؤرقا يقض مضجعه الحنين الى فردوسه المفقود الذى طرد منه ؟! لماذا لا ؟ فوجوه الشبه واضحة بين المتشرد الاول والمتشردين اللاحقين .

اخطية اذن هي الوطن .. المذبوح على ايدى ابنائه حين هربوا وتركوه وعلى ايدى الغرباء الذين وجدوا الطريدة سهلة فمضوا يستمتعون باطايب الذبيحة يزدردونها في تمطق متمهل واعجاب باللحم الطري. والامثلة كثيرة على ان اخطية هم رمز للوطن فهي "من تلك الظواهر الكونية التي وجدت لكي يعترف الناس بها لا ان تعترف بهم..دغلة في الكرمل استعصت على اسفلت .. عليقة مجدورة في جنينة عباس.. باحة مئسية وراء فرن وادى النسناس .. حائط مبكى في شارع العراق .. نصب قبر منسي في حيفا العتيقة (ص٧٦).

"يرحلون عنها ولا يعودون اما هي فلا تعود لانها لا ترحل ".

لا بل ان المؤلف يعلن في وضوح (انهم وجدوا في صندوق الطوفي في عين برج الحمام اكثر من اربعين رسالة موجهة منها الى (عبيدو) "رسالة واحدة في العام الواحد "

Digitized by Birzeit University Library

وبين سنة ١٩٤٧ وسنة ١٩٨٥ ما يقاس بـ السنين الاربعين !!.

والرواية بعد ذلك لهاث محرور محرور آلمه هذا الضياع المحيط به واستوحش عندما رأى الارض اصبحت غير الارض والناس غير النـاس والاسماء غير الاسماء والتاريخ غير التاريخ لذلك ادمن على الذكريات التي توهم من كثرة الحاحها عليه انها حقائق يعايشها فهو ازاءها مثل قيس بن الملوح يرى ليلى

الشابة لا تفترق عن ليلى الطفلة فيردد بيت شوقي الذى حكاه على لسانه .

لم تزل ليلى بعينـــي طفلـة
لـم تـزد عن امـس الا اصبعـــا

وهو يحاول عن طريق حكاية حالة ان يجدد الامل في نفسه وان يصنعها ان لكل ليل نهاية وان للباطل جولة ثم يمحيي . وذكرياته هذه تعاوده كالحمى التي اعتادت الا تهاجم التنبي الا في منامه تهزه كلما اغفى لتوقظه على الحقيقة ، موءملة كانت ام مقرفة كالحة ام مبتسمة بشوشـــــة .

وبعد . وفي الختام يبدو لي ـ وارجو ان اكون مخطئا ـ ان الرجل يستعجل النهاية لنفسه فهو يكثر من قوله " ذهب الذين احبهم " وكأنه يريد ان يقول (فما حلاوة البقاء بعدهم) ترى هل اتعبه المشوار ؟ مشوار الشيخوخة او المرض ؟ ام تراه قد تجلت له الحقيقة الازلية كما تجلت للشاعر الذى قال :

(كل شيء مصيره للـــزوال).

فهو يسأل عن اخطية كيف تركها ولماذا تركها وكيف حالها من بعده .. اعوذ بالله من اوهامي هذه فالرجل ـ وانا لم اتشرف بمعرفته مَنجم غني بالمعرفة، خسارة ان ينتهي في هذا الوقت الذى عزّفيه الرجال الكبار في تواضع الحكماء في غير ما جعجعة او طبول . مد الله في عمره زيتونة اصلها ثابت ، وفرعها في السماء تؤتي اكلها كل حين .

عزيزنا المشترك ..

مرحبًا منا على التأكد من استلامك لنسختك ، وحرصنا منا على الأخذ برأيك في كل ما يتعلق بمجلة " الكاتب " شكلاً ومضموناً ، نتوجه اليك للاتصال بنا كتابة ، أو هاتفيًا ، لاطلاعنا على رأيك واقتراحاتك لتطوير المجلة ، وإعلامنا عن كل تأخير في استلامك لنسختك ، أو أي ملاحظات أخرى .

مع تقديرنا ومحبتنا ؟

« الكاتب »

Digitized by Birzeit University Library

الرمز الموضوعي في قصص فضل الريماوي

بقلم :ابراهيم العلم

كثيرة هي القصص التي عرضت لهزيمة حزيران ،اذكر منها قصتي " البرزخ" لامين شنار و" فتاة اسمها فلسطين " لجمال بنورة وللمؤلف قصة ثالثة بعنوان "القريةالموعودة" اما قصة " ابو المراجل يولد مرة اخرى" فتعرض للهزيمة من خلال شخصية ابي المراجل الذي يرمز تارة الى الانسان العادى في الضفة الغربية وقطاع غزة من خلال الصورة الاتية " .. يتحامل على نفسه وينهض ليواصل السير باصرار وخيالات القتلى ورائحة الدم النازف ووجه سلمى المشوه تدور في مخيلته وتسيطر على كل مشاعره واحاسيسه "

ويرمز طورا الى الزعامة التقليدية، والا ماذا يمكن ان نستدل من وصفه لنفسه" انا ابو المراجل، ياما دوخت ناس كثير في البلد .. كل اهل البلد يعترفون بمراجلي، كانوا يلجاون لي في قضاياهم العويصة .. وين راحت مراجلك يا ابو المراجل .. الله يرحم ايام زمان، الايام اللي كنت اتميل وتعدل فيهـا ".

فان تخلخل الرمز هنا لا بد من ان يضعف الاثر الذى يخلفه في النفس. وقد قام عنصر الادانة لهذه الشخصية على اساس انه ترك اسرته اثناء الغارة ثم جال في شوارع القرية ،فان مغادرة البيت هنا تحمل دلالة رمزية تنطوى على اهمال الوطن، الا انها عجزت عن الانسجام مع حقائق الواقع فان من خطل الرأى ان يقيم المرء في المنزل حين يكون هدفا سهلا لطائرات معادية خلال المعارك ولا سيما اذا قام قرب معسكر للجيش كما يقول الكاتب " كنت خارج البيت وقت الغارة، حرقتهم قنبلة نابالم .. بيتنا ملاصق لمعسكر الجيش الرابض على خط النـار "

ولو كان اللوم منصبا على مغادرة " ابي المراجل " منزله منفردا كان الموقف ادنى الى سلامة المنطق ولكن من يجول طرقات القرية خلال المعارك لا يمكن ان يتّهم بالجبن بل بالشجاعة والتهور وربما الغباء. فاذا كان واقع الحال ان اسلحتهم " اقوى مني ومن اهل البلد" فما المسوغ للوم النفس على

Digitized by Birzeit University Library

الجبن ؟١ الا اذا اراد الكاتب ان يفرض فكرة الجبن والاثرة على هذه الشخصية الرمزية وقد عرضت القصة للرحيل الجماعي لسكان الضفة الغربية وكان ينبغي ان تتوقف عنده متملية وان تبدى الرفق والاستنكار ، ولكن "فضل الريماوي" كان معنيا بالحديث عن شرور تلك الحرب وحسب ، بدليل هذا الوقوف الطويل عند جثث القتلى ممن عرفهم البطل معرفة وثيقة ولا سيما خطيبته سلمى .

وفي القصة مبالغة عاطفية اوقع الكاتب فيها حرصه على الصاق فكرته بالحدث فلم تنم من داخله نموا طبيعيا فهو يخاطب حبه سلمى قائلا " اقسم اني لن اتزوج بعدك ، سأحافظ على العهد" وهل الانصراف عن الزواج وانقطاع النسل مزية في نظر الكاتب ؟١ اما اذا اراد المدلول الرمزي فان عليه الا يغادر ارض الواقع لئلا يتناقض معـــه .

ويستمر فضل الريماوي في تعامله مع الرمز الموضوعي في قصة " اخصاب في رحم عاقر" التي نشرها سنة ١٩٨٣ اى بعد ما نشر قصته السابقة بستة اعوام ، وفي هذه القصة يتضح مبلغ فهم الكاتب لهذا اللون من القصة الفنية ، فاذا هو يغلب الفكرة ويخضع العناصر الفنية الاخرى لها ،فان اول ما ينصرف الذهن اليه بعد الفراغ من قراءتها ان بطليها لا يعدوان ان يكونا قالبين صب فيهما الكاتب افكاره اكثر من كونهما شخصيتين انسانيتين نراهما ونتعامل معهما في حياتنا اليومية. ولا شك في ان الحدث الاستهلالي المتكلف كان مقدمة سلبية لما زاد على القصة من ضعف فني ، فان صدق الكاتب وحرصه على ان ينقل الينا وجهة نظره لا ينبغي ان يفرضا على الناقد الخضوع لهذا الضعف فيزينه في عين القارئ ، اذ لا مسوغ فني له مهما كانت وجهة نظر الكاتب سليمة نحو الواقـع .

فقد تابع بطل القصة فتاة كانت تسير منفردة في شارع خال وكان الوقت مساء، فداخلها الفزع ، وحين غذت الخطو لتخلو من هذا المأزق، عثرت قدمها فسقطت الى الارض ، فبادر شاب الى نجدتها الا انها لم تستطع السير بسبب الم حاد في الرجل مما اضطره الى نقلها الى المستشفى ، فشكرته بالرغم من انه هو الذى تسبب في هذا الاذى لانه لاحقها في تلك اللحظة. ثم عرفها بنفسه قائلا : خدامك فارس . اما هي فتقول له : خدامتك فريدة .. الدنيا فيها خير .. لولاك كان زماني على الرصيـف ".

وهو اسلوب في التعارف غير مألوف في هذه الايام ، وربما كان صحيحا في الزمن الماضي .

فان المصادفة طابع مميز في هذا الحدث الرمزى .. اما مباينة الواقع فمأخذ آخر فان "فارس " يعلم ان حبيبته عاقر الا انه يصرعلى الاقتران بها لانه يثق انها ستنجب منه .

" ــ فريدة .. انت فرس اصيل لا تخصبين الا من حصان جامح .. انت فرس اصيل لا يعلوها الا فارس مغوار .

فهل ثمة علاقة في منطق الواقع بين الانجاب وبين كون الحصان جامحا حين تكون الفرس عاقرا ؟.

وقد بدت القصة منبرا وعظيا اكثر منها فنا يعتمد الايحاء والاستبطان النفسي لعالم البطلين النفسي. فان تجربة فضل الريماوي مع القصة الرمزية لم تتقدم الا قليلا خلال هذه الاعوام الستة .

Digitized by Birzeit University Library

عن حلم الفقراء وثلاث نجوم تحمل بشرى الفرج

بقلم : فالح العطاونة

الى ذكرى داود ، اخا ورفيقا
حمل حلم الفقراء وعاشه هاجسا يوميا
وقال : " لا بد من يوم .. يدخل فيه
الفقراء الجنة ".

شيء عن الكتابة :

"انني اكتب من اجلهم
من اجل الذين هم بكثر عمل الارض ،
وسمك البحار ،
وطير السماء ،
انهم جبناء وشجعان
جهال وحكماء
انهم اطفال ،
انهم القاهرون المنتصرون
انهم المبدعون ،
اولئك وحدهم ، هم ابطال القصص
في اغنياتي وأناشيدي ".

"ناظم حكمت"

تلك هي وظيفة الكتابة ، ولانها "وظيفة" مزعجة". غالبا ما يشطب السيف القلم ، وعادة عرفها من تعود الكتابة ، ان المقص غالبا بانتظار الورقة ، ولان المقص "بذكاء" حاملة . لا يصطاد الكلمة العادية ، بل ينتقي بدقة ما يريد اصطياده ، تتطلب حركة القلم ، جسارة ونباهة غير عاديتين ، حتى تكون قادرة على الافلات من الشرك المنصوب .. ،فالكلمات التي استطاعت ان تفلت من الذاكرة المضغوطة ، وكي يكتب لها الحياة ، على صاحبها استيعاب ذلك .

ولانك لا تكتب عن " المريخ" او عن" عروس البحر" ، بل من الحياة الخصبة بتجارب الناس البسطاء العاديين في حي قديم من مدينة مثقلة مهمومة ، او في قرية منسية ،

Digitized by Birzeit University Library

ضفائر نسائها الخشنة لم تتعود " الشامبو" المتعدد الاسماء والالوان، او في مخيم لم يوفق صوت "مايكل جاكسون" في الوصول الى مسامع اهله مع زحمة الضجيج، عند ذلك تكون الكتابة جديرة بالحياة، ولانها كذالك ، يستشرس السيف اكثر ويرى فيها المقص كلمات "مفخخة" لا بد من ازالتها .

يعني اكتب ما شئت، سوى عن الفقراء الطامحين ،والكتابة العنيدة لا تنتظر رخصة حتى تبرر حياتها، ولا تتوجس خيفة من السيف والمقص،فتنطلق من الذاكرة المضغوطة ويتحرك القلم بعناد. وترتدى الكلمات " المحرمة" مشروعيتها، وتدرك دورها الى جانب الفعل اليومي من اجل المستقبل. وعن واحدمن الطامحين ، عاش تجربته المقصرة (بفتح الصاد)، تاركا تضاريس خشنة في الذاكرة التي لم تعد بكرا لاهل قريتنا المتعبين، نبض قلم .. وثلاثية وعـد .

– واو –

... حزيران وشمسه اللاهبة، وقرية صغيرة عليها ان "تتحضر" مجبرة، مع ضحى واحد من ايامه كان داود يشد سمعه حيث جهاز (الراديو) المهشم، كلمتا "قف وفكر" تستفز اعصابه حتى النخاع .. وفجأة يضيع الصوت بين ازيز الطلقات المتزاحمة .

قبلها عاشت قريتنا تجتر حلمها – بعد ان تركها واحد من فرسان البادية دون رجعة – حلم بعودةمن تركوا ، وحلم بحرية من بقوا .

والباقون اختلفت مطامحهم، منهم من نذر نفسه لنفسه، ومنهم من نذر نفسه لتخفيف هموم من بقوا على حلمهم الانساني، وداود اختار ان يكون واحدا من هـــؤلاء ، وال (هؤلاء) منذ مطاردات خيول فرسان البادية، الباحثة عنهم بهمة – لا تقل عن همتها وهي مطاردة مهزومة – ، ومنذ ايام سلاسل الجفر وشمسه الحارقة، التي اطلت يوما على الخرطوم السوداء داميةوهي تنشر شوخ (عبد الخالق محجوب) على حبل مشنقة ،والتي استوت ظهر يوم ما ، فوق ارض الكنانة. فتالق احمرار دم (زكي مراد) المراق على الاسفلت الاسود ،وفي اقاصي الغرب مسح رسميا البوليس الفدرالي الامريكي، من على سقف زنزانة سجنت بداخلها فتاة سمراء اسمها (انجيلاديفيز) . عشقت ولا زالت سمرة الزنوج المفقرين...، منذ تلك الايام ،وقبلها، وحتى يومنا هذا . يغصرون حزنهم ويصنعون الفرح، ليس في بلادنا وحسب، ولكن حيث يوجد الفقراء على ظهر كوكبنـا .

ولان الدرب صعب قالت له امه يوما : (يا داهود .. يا ابني، انتم مثل الذي يمشي على حد السيف، مع كل خطوة خرح، وطريقكم تدمي من يسير عليها)، لم يقل شيئا، غير ان شفتيه ارتجفتا بابتسامة صافية كمن ادرك مطلب مشاعرها ، وصمت وصمتت .

وبعد عام .. ومع عودته بخطى وئيدة بعد غياب ايام في زنزانة اسمنتية ضيقة ، اعادت ما قالته قبل عام . كما لو انها تذكره: (الم اقل ان طريقكم دامية..!) ابتسم بصفاء اكثر وصمت، ويحتضن الصحاب ويسأل :كيف..؟ متى ..؟ ويعاود السير في الدرب نفسه، وباكثر ثقة بعد كل "رحلة" في الزنازين المعتمـــة .

(..وضيق الزنزانة، يضغط ملامح النفس

Digitized by Birzeit University Library

الانسانية ،فتتضح معالم تضاريسها .. و.." وتكتمل موعظة التجربة بحكاية يشربها الصغار حليبا.. فيشبون بذاكرة لا تخيب في فهم ثمن معنى الحياة، وصنع الفرح. ويتنهد داود جذلا ، بعد تقبل وعي الطفولة لقاحا يجابه محاولة اصطياده .. وكمن فلح تربة بكرا. تصدق نبوءته : (الروءوس البور ، لا ينمو بها غير الشوك ..).

..ويكبر الصغار .. فتتلاشى معالم الطفولة، ويتصلب عودهم. وبعد ان تقع عيونهم على عتمة الزنزانة تزهر الحكاية ولا تكبو الذاكرة.. فتتقزم رجولة السجان، بجانب شموخ لا ينحني بربط اليدين خلف الظهـــر .

ويوما بعد يوم .. يكبر غلمان قريتنا .. وتكبر عزائمهم على الاحلام التي ورثوا، فتستعصي صدورهم على زرعها بالخوف مثلما استعصت عقولهم على اقناعها ، بأن التاريخ يصنعه السلاطين، وجيوش القياصرة، ويعرفون ان (اسبارتاكوس) و(ابو ذر الغفاري) و(جان دارك). غير الملوك البائدة، والملوك المحتضرة الباقية، فيفرك معلم التاريخ يديه، على الذاكره العاقر تسعفه فلا يفلح، وتتقلب الاية ويعيد غلمان قريتنا صياغة التاريخ لمعلمهم في المدرسة الصغيرة .

(... والتاريخ ليس اساطير وحكايا ، انه المخاض الصعب لولادة الجديدمن رحم القديم.. وبحث المسروقين عن الشمس.. و ..) .وتتفتح العيون على حقيقة الاشياء ، ويدرك داود ان الدرب غير قصير، وتطيله وعورته، ومقولة(وطار الجزائري).." مايبقى في الوادى غير حجارة" .. تصبح حكمة العناد "لازم" بلادنا تجربته طويلة، دهر من العذاب ، ولسع العقارب ، وسفر باحث في ليل تاهت الشمس في دروبه ... (لكنها ستشرق!)

– كـــف ...؟

– نخطى واقعة تسر صوب الهدف .. ولا ننحنـــي .

– سنسير وضحك وحدكم .. والحقد لا تفهمكم .

– نحن لسنا قلة .. ومع خطانا سكر الجموع .

– طرقكم شائكة .. ومسافاتها مظلمـــة .

– اقدامنا ليست ناعمة .. ووجوهنا تحمل الضيـــاء .

وتحتضن الكف الخشنة مقبض المطرقة ويعرف عمال قريتنا ، ان بمقدورهم صنع الكثير ،وتتعلم اياديهم جر القلم .. وتجيب كتابة (ياعمال العالم .. ويا كل الشعوب المضطهدة اتحدوا ..) وسنتهم تتهجى القراءة . في البداية يتعثرون الحرف وشفاههم تحتار في لفظة.. وعندما كما يجيدون ضربة الازميل ، اصبحوا يجيدون القراءة ، وتوءاخي اكفهم الكتابة والمطرقة... وفي ليالي الصيف المقمرة، يحكي كل قصته والكل يعرف عن غسان كنفاني ، وعن العودة الى حيفا ، ويكنون الود لـ(ياغل كوتشانس) ويكتشفون سر البطولة، ومن صفحات (كيف سقينا الفولاذ). وبنفس السحر المضمخ لاستروفسكي يرددون : " الحياة لا تعطى للانسان الامرة واحدة، فما اجمل ان يعيشها الانسان ، عيشة لا يشعر فيها بندم على ماعاش ردل تافه.. ويستطيع ان يقول وهو يحتضر كانت كل قواى موهوبة..من اجل تحرير الانسانية

وداود لم يبق معلما للغلمان ومنذ يفلح الروءوس" البور" فتخصب حلما عالما

Digitized by Birzeit University Library

يسعى حاملوه للارتواء . ومع الفجر يقبلون جباه صغارهم . ويبحثون لافواههم عن قوت .

ـ عيـــن ـ

.. يضيع الصوت بين ازيز الطلقات المتزاحمة، وتبحث عنينه عن خطوات الصحاب، والطلقات تبحث عن جسد تطفيء احتراقها بدمه .. ولا وقت يتسع لـ (وقف وفكر) ، ولان الحياة لا بد آفلة، فلا خيار سوى استئناس الموت، ومراجعة الصور الحادة في اللحظات الاخيرة من نبضات القلب، واكتحال العينين بآخر ما يمكن رؤيته، من صيف قريتنا، ووجوه اهلها، وعيون الاطفال المرعوبة ألزائغة وفي السر : " وداعا ايتها الحياة.. وكل الناس الطيبين..ايه .. ايه ايتها الحياة.. تستكثرين علي دوري فيك.. فتهربين مني ولا استكمل التجربة ونميتين معي حلمي فلا اعيشه.. لكن لا بأس، فعندما يكون لاخيار غير الموت، نعرف كيـــف نتجرعـــه ... ".

وتراجع الذاكرة نفسها ، وفي الخيال تمثل صورة؛ غرفة صف، وعيون الصغار مفتوحة الى مداها ، وصبي يسأل :

ـ ما معنى الوطن يا استاذ ...؟!.

(الارض والناس وما ابدعته) . يرد داود فتتحرك ذقن الصغير عن ابتسامة ثناء طفولية ..،وتكثر الاسئلة، وتتعاقب الاجوبة .. ويقرع الجرس مرة .. وأخرى، ويظل الصغار على موعد . وصورة اخرى؛ حي قروى، وبيوت متزاحمة، وأطفال في ركن زقاق، يتفيأون من حر الشمس بظل حائط مشقق بفعل الزمن، ويصنعون العابهم؛ سيارات من الاسلاك الشائكة. ... وتنبتر الذاكرة .. فلا تخطر لصورة اخرى، وامام عينيه، لا شيء سوى الرصاص.. وصورة اخيرة لقرية صغيرة انقل كاهلها الزمن .

... وأهل قريتنا محكومون بطبعهم .. يحفظون عن ظهر قلب مصائبهم ، وكل بطولة ،زهرة جديدة في الذاكرة الخصبة وذاكرة الاباء لا تبخل على مخيلته الصغار، فترسم صورة ماضي، ويظل صغارنا ـ على تعاقبهم، يتحدثون فيما بنينهم بمهابة عن ابناء قريتهم ، وينسجون احلامهم الجميلة بمخيلات مجروحة .. فتخرج امالهم ، واعية، وطبة كجذور البلوط البرى في قريتنا الجبلية .

من هؤلاء الصغار .(ابو القاسم) يحفظ حكايا قريتنا ، ويحكيها صدحا بصوت طفولي، ينتقي الكلمات ، ويصيغها اغاني طويلة، وأحيانا تضيق رئتاه على طول موااله، فينتثر صوته الجهورى وتبرز اوردتة مصرة على اكمال الاغنيـــة :

" يا طيـور الطايـــرة
في السماء العاليـة
لداهـود قولـي
الزيتـونـة من الحـزن مايلـه
ترعـى العهـد
وتحمـل وعـد
للي في القبـور نايمـة .."

(وأبو القاسم) . يعلم الصغار الاغنية ، ويبدأ الحكاية عاقدا كفية: (اسمعوا القصة، من الرصاصة الاولى..لعندبلعن ابوك يا الموت ـ كانوا سبعة كل واحد يحمل بارودة والرصاص كثير،مثل المطر ..اول ما نزلوا على الدرج، قالوا لداهود :ارفع ايديك...

Digitized by Birzeit University Library

داهود رفض.وصاروا يضربون على راسه.كان يدفعهم حتى هم كبار..واول ما ضاربه الباب..(طاح)..صار وجهه ملطان دم.... ..وامه حصته وصارت تصرخ..لو تعرفها سرحان..داهود كان يطل سومها) .

وتذرف عينا سرحان دمعة، يمسحها عن وجنته الصغيرة بسرعة، خوفا من ان يعيره اترابه، (يا عيب ع الرجال) .

وتنفض حلقتهم، حافظين عن ظهر قلب رواية (ابو القاسم) . ويجيدون ترديد الاغنية ،ويضيفون عليها، فتكبر، فتكبر .. وتكتبها الايادى الغضة على كراريس المدرسة، ويسمونها (وعد) .

- وفي جانب آخر .. حكاية لـ (وعد) .. طويلة ومتعبة ..

- لم لا تكتب عنها ..؟

- ليس لهذا مكانها ..

- الا تحمل شيئا عن داود ..؟

- سـوءه .

- كيف ؟.

-(فجرالهادى) واحد من الصحاب، كان بينه وبين داود الفة غير عادية، وفجر هدا ، يحمل في داخلة حلم بواحدة من هذه الارض، تعشق العمال والفقراء، هو يسميها (صبحة) ،وجه طولي،كزهرةلوز ندية ،تطلب دفئها من فجر نيساني، وعينين خضراوين بلون الزعتر البري..قال له داود مرة: "الفقراء يسرق حلمهم البعوض .."والبعوض طبقة، تمتص من الفقراء دمهم ،وتتتبع حلمهم فتسرقه) .

ايه . ايه داود، عرفت احلام الصحاب، وتنهدت همهم وعشته وهم احياء، .. وهم يحملون احلامك المسروقة ويعطونها في موتك حياة...وتكبر الشجرة.. وتعطي ثمارها، عمالا يسعون ليرووا ظمأ طبقتهم ، وفلاحين يزرعون الارض ويحفظون عن اجدادهم مواويل عطاء، واخرين يرتشفون من تجربة شيخ الكادحين ليغيروا الى جانب الفقراء وجه الحياة .

- دال -

.. (الشهداء يودعون بالزغاريد، ويغيظهم ان يلبس السواد ،حدادا عليهم) . عادة توارثها اهل قريتنا منذ كانوا عائلة متآلفة على مخاطر الحياة، فوق القمة الجبلية .. ، ايامها كانوا يجتمعون في ليالي الصيف ويحددون مواعيد (مشاويرهم) الى يافا على شكل القمر، ويشربون القهوة، ويستمتعون بحكاية (سالم العبدالله) عن يافا، وبحرها "مدد العين وما ترى". وبيارات البرتقال، وحي العجمي .. وجامع حسن بيك...، وعندما يحل الشتاء، يغنون للمطر، ويحتمعون حول الموقد، ويحكون سيرة ابوزيدالهلالي شعرا.. منذ تلك الايام، وحتى ايامنا هذه، قريتنا تودع قتلاها بزغاريدنسائها .

.. زمن غروب عهد السلطان عبدالحميد ،ومع فجر واحد من ايامه، استيقظت بيوت قريتنا الطينية لتكتحل عيون اهلها .برؤية اثنين من ابنائها ، تدلت اجسادهم بحبال المشنقة..، عاشت قريتنا بعدها وعلى مدى موسم الحصاد بكامله، رجالها في السجون .. ونساؤها تحمل المناجل ، وترعى صغارها والكل ،يلح على فكرة التساؤل، ويشغله دواعي شنق (بدوان، ويونس الرومي) ..

Digitized by Birzeit University Library

ليعرفوا فيما بعد، انهم ابدلوا جملا من جمال "الدولة"، مقابل قتل جوعهم .

ويجمع (المختار) اهل القرية ويحذرهم : (احفظ رأسك عند مخالفة الدولة)..، وتتعاقب الاجيال، ويخرج غلمان قريتنا على وصية مختاريهم، فيشتمونهم بغيظ : (جيل ادرع .. اذا حكيت معاه مابيسمع)وسالم العبدالله) . يحفظ ماضي القرية، وعاداتها : (مضت ايام، كنا نعيش على شحم بطوننا ، ونفتش عن الحنطة في روث الخيل، وتنابل السلطان تتعجرف على اللحمة ...، بعدها اجو النجليز، كانوايموتوا الواحد من الضرب .اذا ضرب حماره، وتغيرت الدنيا، وتعبت (الفلقة)، ورجلينا ما تعبت، كنانربي الديك حول كامل ، ونمنعه عن اولادنا، ويوم ييجو فرسان البادية، يشبعونا (كرابيج) على جلودنا. ونشبعهم ديوك.. عشنا دهرنا بفقر وعتمة .. وكان يخفف علينا حبنا لبعضنا، والفرج قريب .. بس ظلوا ايد وحده...) .

هكذا يختزل سالم العبدالله عمر قريتنا ، ويعطي وصاياه،فيسجلها داود بخطوط طفولية على كراسته، كما هي، وبنفس اللهجة، وبعد خمسة عشر عاما على موت سالم العبدالله وثلاث سنوات على استشهاد داود ...، نبحث في الكراريس، ونقرأها، فنجد الى جانب(تمرين الحساب) كلمات سالم العبدالله ،مكتوبة بقلم رصاص لم تتآكل حروفه، وفي اعلى الصفحة، وبيد داود الفتى كتب ١٣/٩/١٩٧٠م .

فتجرنا كراسة داود الصغير الى الماضي، ومدرسة قريتنا الصغيرة، وتحولق معلمينا حول جهاز (الراديو)..وقتها اختلجت عروقنا مع سفح الدماء في جرش...ووصلة الدم بين من بقوا ومن رحلوا ،ظلت بنفس رعشتها، هنالك يحزنون ويفركون اكفهم بغيظ، ويشتمون ـ بالسر ـ انظمة عرب امريكيا، ويحكون فيما بينهم بمهابة عن (آذار٨٢) ،وهنا تذرف عيناالام دمعة ،وتجف حلوق الصغار وتصيبها غصة لعطش الاطفال الذين شاخوا بفعل "العناقيد" الامريكية، والكبار يشتمون " التضامن العربي" ولكن جهرا ، ويعشقون الوجه الاخر لبيروت.

.. واليوم، يبحث البعض في الوحل عن حق ويتناسون أن في ماضينا عبره، كفيلة بعدم تعثر حاضرنا، مستفيدين مع كل خطوة الى غدنا بخصوبة التجربة ومرارتها .

(الله يرحمك يا داود..، قال مرة : الحق لا يستجدى من سارقه ..) .

وتظل قريتنا ، صغارها وكبارها، السنتهم تلهج بوفاء لداود، ومع كل حزيران، يصنون بأغصان الزيتون والازهار الحمراء ،أكاليل، ويضعونها على شاهد القبر الصخرى، ويقرأون (الفاتحة) وتقبل الصبايا يدي الام ، والكل يجل دموعها الصامتة .. والصحاب يهمسون: (طبت حيا .. وطبت ميتا ..يا رفيق)

Digitized by Birzeit University Library

فان المجال الرئيسي للنضال بين الاشتراكية والرأسم
هو مجال المنافسة الاقتصادية حيث لا بد أن تنتص
الاشتراكية ، بفضل المزايا الكامنة فيها ، والس
الحرب مع البلاد الاخرى ، وانما ضرب المثل على التف
الاجتماعي الأكمل ، والتقدم السريع للقوى الانتاج
وخلق كل الظروف للسعادة والرخاء البشريين ،
الذي يساعد الافكار الجديدة على أسر عقول وقل
الناس . وقد خرج هذا الشكل من أشكال النضال
حيز الوجود بفعل التغيرات الهائلة التي حدثت في ال
فالحرب التي كانت في الماضي ايضاً تعتبر امراً
مرغوب فيه من جانب الشعب كوسيلة لتسوية الصراعا
اصبحت الآن مشحونة باخطار صراع عالمي قد
كارثة مروعه للبشرية كلها . وهذا واضح اليوم
لأعداء الاشتراكية . وقد حدثت تغيرات كبرى
المجال الدولي (زيادة قوة الاشتراكية وحركات ا
العاملة والحركات الديمقراطية في البلاد الرأسمالية و
التحرر الوطني) . ولا يستطيع الامبرياليون الا ان ي
حساب هذه التغيرات . وكل هذا يخلق امكانية وض
تسوية الصراعات الدولية بالوسائل السلمية . ولا
التعايش السلمي التخلي عن حركة التحرر الو
بل إنه – على النقيض من ذلك – يخلق اكثر الظ
ملاءمة لها . وبالاضافة الى هذا – وطالما ان النضا
اجل السلام والتعايش السلمي موجه ضد الامبر
وهي مصدر الخطر العسكري – فان هذا يتيح للج
فهما أفضل لمصالحها الحيوية .

الاممية البروليتارية

letarian Internationalism

ايديولوجية التضامن الأممي للبروليتاريين والش
العاملة في جميع الدول ، وهي مبدأ من الم
الايديولوجية الرئيسية التي تسترشد بها الطبقة
وحزبها . وكان ماركس وانجلز اول من تحدث عن
الأممية البروليتارية في « البيان الشيوعي » (١٨٤٨) ،
برهن على وحدة مصالح عمال جميع البلدان في الن
من أجل التحرر من الرأسمالية . ويتمثل جوهر
البروليتارية في الشعار « يا عمال العالم اتح

التعايش السلمي

Peaceful Coexistence

أحد مبادىء السياسة الخارجية التي تنفذها اتحاد الجمهوريات السوفيتية الاشتراكية والبلاد الاشتراكية الاخرى بهدف الحيلولة دون قيام حرب عالمية جديدة . وفكرة التعايش بين الدول ذات النظم الاجتماعية المختلفة ، قدمها لأول مرة لينين الذي أسس موقفه على قانون التطور غير المتكافيء الاقتصادي والسياسي للرأسمالية . فبناء على قوة هذا القانون لا يتم التحول الى الاشتراكية في جميع البلاد في وقت واحد . انما هو يشغل حقبة تاريخية بأكملها . تبدأ بانتصار الاشتراكية في بلد واحد او بعض البلاد . وتنتهي بانتصار الاشتراكية والشيوعية في جميع انحاء العالم . وهنا تكمن الضرورة الموضوعية للتعايش الطويل الامد بين الدول الاشتراكية والرأسمالية . ويتضمن التعايش السلمي نبذ الحرب كوسيلة لتسوية المنازعات الدولية ، ويقضي عليها بطريق المفاوضات . والتفاهم المتبادل والثقة بين الامم . وعدم التدخل في الشؤون الداخلية . والاحترام الدقيق لسيادة جميع الاقطار . ودعم التعاون الاقتصادي والثقافي على اساس التكافؤ الكامل والمنفعة المتبادلة . ولا تتجسد فكرة لينين عن التعايش بين الدول الاشتراكية والرأسمالية في تخفيف حدة الصراع الطبقي أو السلمي الأيديولوجية البورجوازية . ان التعايش يتم بالوسائل السلمية . ولما كان الامر كذلك .

Digitized by Birzeit University Library

فالطبقة العاملة لكل امة لا تستطيع أن تعتبر كفاحها منفصلاً عن كفاح بروليتاريا الامم الاخرى ، نظراً لأن عدوها ليس هو بورجوازي بلدها فحسب بل بورجوازي الدول الأخرى أيضاً . ومن ثم جاءت المصالح الاساسية المشتركة لبروليتاريا العالم ككل . وفي الاممية البروليتارية يرتبط حب البروليتاريا لبلدها وزعمتها في إن تراه حراً من الاستغلال الطبقي وغيره من اشكال الاستغلال ارتباطاً وثيقاً بتأييد كفاح الشعب العامل في الدول الاخرى . من اجل السلام والديمقراطية والاشتراكية ، وموقف الاحتقار من الامم الاخرى حتى الصغيرة منها ،موقف غريب بالنسبة للاممية البروليتارية لان كل أمة تساهم بنصيبها في الثقافة العالمية . ولقد اوهنت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظيمة وانتصار الاشتراكية في الاتحاد السوفيتي النظام العالمي للامبريالية وقوضت دعائمه . وقدمت عوناً كبيراً للبروليتاريا الأممية في كفاحها العادل ، وفي الوقت نفسه تبدت الأممية البروليتارية في التأييد الذي قدمته الطبقة العاملة الأممية للجمهورية السوفيتية . وقد تحققت افكار الاممية البروليتارية في حل مشكلة القوميات في الاتحاد السوفيتي والبلدان الاشتراكية الاخرى ، وفي خلق نمط جديد للدولة المتعددة القوميات . قائم على الصداقة بين هذه القوميات . ومع تكوين نظام اشتراكي عالمي اصبح المزيد من جوانب لمحتوى الأممية البروليتارية واضحاً . ومن مظاهر الاممية البروليتارية في الظروف الراهنة الصداقة والمساعدة المتبادلة بين الدول التي تكون النظام الاشتراكي العالمي . وقد اصبحت حماية أمن المجتمع الاشتراكي والكفاح من أجل السلام ضد الحرب والمساعدة المقدمة لشعوب الدول المتخلفة لتطوير اقتصادها القومي وثقافتها القومية ، من بين اكثر متطلبات الأممية البروليتارية اهمية . وترتبط الاممية البروليتارية ارتباطاً لا ينفصم بالبطولة الاشتراكية والاخلاص للاشتراكية وللنظام الاشتراكي العالمي. وتتطلب مبادىء الاممية البروليتارية في عصرنا كفاحاً لا هوادة فيه ضد جميع ضروب العزلة القومية وضد ايديولوجية الكوسموبوليتية (المواطنة العالمية) والدفاع الصلب عن وحدة العمال والاحزاب الشيوعية . وكل سعي

يهدف الى تقسيم الشعوب على اساس قومي أو حتى عنصري وجميع مواقف الدول الكبرى تجاه الشعوب الاخرى تتعارض مع ايديولوجية الاممية البروليتارية ، وهي مظاهر لأيديولوجية البورجوازية الصغيرة التي تحل محل النظرة الطبقية نظرة جغرافية أو عرقية . وتدفع الشعوب الى العزلة والانحصارية القومية . وتخرفها عن الحركة الثورية الأممية وتؤدي الى اضعاف الكفاح ضد الامبريالية .

الايديولوجيا

Ideology

نسق من الآراء والأفكار : السياسية والقانونية والأخلاقية والجمالية والدينية والفلسفية . والايديولوجيا جزء من البناء الفوقي (انظر القاعدة والبناء الفوقي) وهي بهذه الصفة تعكس في النهاية العلاقات الاقتصادية ففي مجتمع من الطبقات المتطاحنة يتطابق الصراع الايديولوجي مع الصراع الطبقي . وقد تكون الايديولوجيا علمية ، وقد تكون غير علمية : أي قد تكون انعكاساً صادقاً أو زائفاً للواقع . فمصالح الطبقات الرجعية تفرض ايديولوجية زائفة ، بينما مصالح الطبقات التقدمية الثورية تساعد على تشكيل ايديولوجيا علمية . والماركسية اللينينية ايديولوجيا علمية حقاً . تعبر عن المصالح الحيوية للطبقة العاملة والأغلبية الساحقة من الانسانية المكافحة من أجل السلام والحرية والتقدم ويجدد الاقتصاد تطور الايديولوجيا ، ولكن للايديولوجيا استقلالاً نسبياً . وتعبر عن هذا استحالة التفسير المباشر لمضمون الايديولوجية بواسطة علم الاقتصاد ، كما يعبر عنه عدم تساوي التطور الاقتصادي والايديولوجي وبالاضافة إلى هذا ، فان الاستقلال النسبي للايديولوجيا يظهر بصورة اوضح في عمل القوانين الداخلية لتطور الايديولوجي ، وهي قوانين لا يمكن ردها مباشرة الى علم الاقتصاد ، في المجالات الايديولوجية الأكثر بعداً عن الأساس الاقتصادي . وتفسر الاستقلال النسبي للايديولوجية حقيقة أن التطور الايديولوجي يتأثر بطريقة غير مباشرة بعدد من العوامل التي تتجاوز النطاق الاقتصادي : الاستمرارية الداخلية في تطور الايديولوجيا والدور الشخصي للايديولوجيين الأفراد ، والتأثير المتبادل للأشكال المختلفة للايديولوجية ، الخ .

Digitized by Birzeit University Library

الساعة الثامنة .

والدنيا صيف

وراحت صلاة المغرب !.

هل يقوم "الحاج سعسع" ويغز ركعتين و..

ولكن كيف يفعل ، وهو مكشوف من جهات ثلاث ؟ ومن يدرى ،فقد يخرج له ، من البيارة "واحد" من الحرس الوطني ، من ابناء الضفة ،على الجانب الاخر من الحدود ، ويكون "سعسع من غير حجة" صيدا سائغا وسهلا يتلقى ، عليه،الحرسي شحطة في سلم الترقيات .

والشحطة ،قد يأخذها جندى آخر ، من دولة اخرى ، فسيارة الجيب التي تقل دورية حرس الحدود سوف تمر الساعة ، واذا ما لمحه افرادها قائما قاعدا ، حسبوه" متسللا".

ويصدق فيه القول : " مطرح ما ..... شنقوه"

وهو سوف يكون ، على الحالين ، جيفه!

عجيبا لك ايها الحاج العميل ، تحرص على اداء الصلاة ، في اوقاتها ، وتنتظر رسالة يحملها بائس مقطوع الذراعين ، تحكي "للشين بيت" شيئا عن البنية العسكرية ، والخطوط الخلفية ، والجبهة الداخلية لعدوهم ،وهم بها عارفون .

وبالحروف كلها ، انت "ج.ا.س.و.س" يا حاج. وحجتك هذه ، يقولون انك لم تأت بها من مناسكها ، لكنها علقت ، اوالصقت بك ، حين كنت جائعا في صفوف الاتراك على ارض الحجاز ، فانت من يلقبونه" حاج تركية" او "حاج عسكرية". ومثلك عندنا ،كثير .

وانتظر "سعسع من غير حجه".

وراحت صلاة المغرب .

ولم يحضر "ابن بلوط" مقطوع الذراعين.

وجاء النعي ، ظهر اليوم التالي ، حين اعلنت اذاعات اصحاب الجلالة ، والسمو ، والفخامة ، والدولة ، "ان شابا اقطع الذراعين ،قد قتل ، وهو يحاول اجتياز الحدود ، الى داخل الارض المحتلة!".

ومضت اسابيع .و"بلوط" يمشق عصاه ، يدهنها ،يسقيها من زيت الزيتون ، ويشويها في الطابون ، ثم يعود فيدهنها ، ثم لا يجد من يتحدث اليه ، عن خططه ، غير والدته الصماء الضريرة ، يزعق في اذنيها ،فلا ينال

Digitized by Birzeit University Library

الهواء منهما . لكنه يمضي في التحدث اليها :

" سوف اقتله ،يا اماه! ثم افني ذريته ، فهم لن يلدوا الا فاجرا كفارا! هذه القلة المارقة، قد جعلت من وجوه افرادها مواطيء لاقدام الملك الجديد ، قائد قريتنا وحاكمها العسكري! هذه القلة، مذ نزلت قريتنا ، قد ، والله ،افسدتها وجعلت اعزة اهلها اذلة : هي تبذل للملك الجديد ، من كرامتها . اما نحن فنسرق .في رائعة النهار، ارضنا . ويقتل ، على الانوار الكاشفة في الليل ابناؤنا! لا يا امي.. لا والله لن ينالها يا ام ! لن تخرج روحه من باب المسجد ، او نوافذه ، لسوف ارسلها الى ملك الموت ،عند اول الزقاق، وقبل ان يبلغ المسجد .. لعلك سمعت ، ايتها الام التي لا تموت ، لماذا لا يموت هذا "الحاج سعسع" هذا السعسع من غير حجه .. لقد غرر بابني الاقطع ، الجائع وراء الحدود ، فجنده في خدمة الظلام ، الذى لا يرى من خلاله ، غير لقيمات قليلة ، وامل كبير بلقائنا! قد ذهب ولدى "هزاع" ، وبقي "سعسع"! فليلحق به . اماه .. لا تمسكي بثيابي لن اقتل "سعسع" انتقاما لدم "هزاع" وحده لكنهم كثيرون ، الجياع كثيرون، ولسوف يجد السفاح، من بينهم ، من يبحث عن اللقمة والامل . ولسوف تضيع ارض اخرى ، ويقتل "هزاعون" كثيرون!!"

واقبل "سعسع "الى المسجد، هرولة يريد ان يلحق صلاة الجمعة، تبرزته سيارة الحاكم عند رأس الزقاق .

نزل المؤذن عن سطح المسجد ، وقام المصلون للسنة ..

وسمعت في اجواء المسجد ،مندفعة من الباب ، ومن النوافذ ، استغاثة، لم تثنل عابدا عن صلاته :

" له يا بلوط! له يا ابو هزاع !! اكفني شرك يا رجل !!!".

وهم بالفرار وهو يصيح :

" يا سعادة الحاتشم! يا سعادة الحا.."

وهذه لم يمكنه "بلوط" من اتمامها ، فقد لحق به ، وأهوى ،بالنبوت ،الى ما بين كتفيه، فسقط ،و"سقط" النبوت ، مرة اخرى، فوق رأسه !.

ودخل "بلوط" من الباب الكبير ...

حيا المسجد بركعتين .

وأتم صلاته ،

وخرج مع الخارجين .

Digitized by Birzeit University Library

في الليل
وجهك
عبر نافذتي
دعاني

في الليل
أحلم بين اطرافي
وأطرافي
على كفي
أحملها ،
وعند البدء
أناشها
وتنساني

في الليل
بعدك
أفقد الدنيا

II

على صمتي
ومن صمتي
مع الايام
يا ايام
أحزاني

وأنا بعيدك
فالايام
يا ايام
ألقاها
وتلقاني

هنا الموت
على ارضي

يسابقني
هنا اسقط
لاخلق
من دمي المهدور
ثاني

أيام ....
وجهك
عبر نافذتي
دعاني

أيام ...
فالايام
القاها
وتلقاني
وألقاها
وتلقاني
.....

Digitized by Birzeit University Library

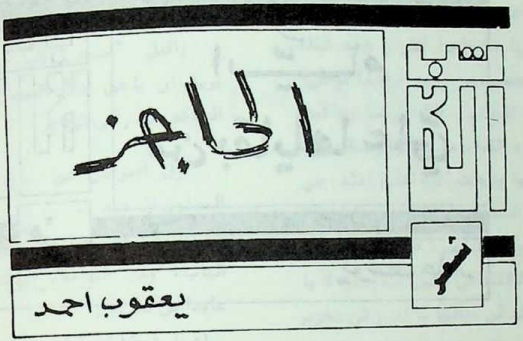

خبأتك في صدرى قمرا
وتفاحتين
وسرت .. لا اعلم كم
ولا متى ..
ولا الى اين
كل ما اعرفه
انهم اوقفوني
وبعد ذلك
لم اعد اشعر
الا بالاحذية الثقيلة
والملح المذاب في العينين
فتشوني ..
نفضوا فقراتي وضلوعي
وفتشوا تحت جلدى
وتحت اظافرى
لم أكن اسمع
ولم أكن ار
كل ما اعرفه
انني خبأتك في صدرى
قمرا
وتفاحتين

Digitized by Birzeit University Library

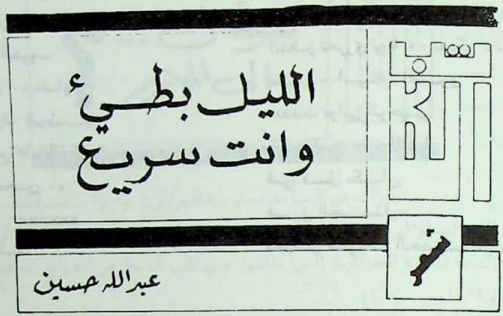

ملاحظة:

" في الذكرى السنوية الاولى للشاعر الفلسطيني الكبير "معين بسيسو الدائم الحاضر في كل صور الشعراء وحتى في كل حرف من حروف كلماته ..."

من خلف اسوار الرحيل
تحبسين الاحزان
فوق قمة شماء
على تلة الذكرى
برفيق يتجلى
لشاعر الالوان ...
يزحف في الازمان
الموت جاءك خلسة
اذ .. حان وقت الرحيل
لن تنساك المدن ...
معين !
هو قلبك فاستلم
اسمعك وسط الظلام
الليل بطيء . وأنت سريع

xxxxxx

دموع الفراق
تطفو على الخدين
عندما
تجيش الذكرى في القلبين
وجدناك صلب الكلمات
فشعرك باق .. ما مات
طاردتك " متاعب " الوطن
فليست الحياة مهبط الكائنات ..
تعكر فيك او في الكلمات
هي درب الشعر المتفجر
من فاهك ايها القادر !
مرة اخرى
اعتراك القلق
حول ارقام هويتي
حول تاريخ الرحيل ..

Digitized by Birzeit University Library

كل شي بعدك اصبح رماديا
فالحرب تشتعل بالحروف
وأنت باق فوق الدروب
تقاوم .. تقاوم .. تقاوم !
الموت بالحروف الوطنية
مثل جندى يرفع هامة الوطن
رغم قساوة المحن ..

xxxxxx

لست بشاعر مثلك
استطيع الموت كما تموتون
ايها الشعراء ....
انتظر تحررى يوما .. بعدكم ..
معين ..انك شاعرى
تعددت موانئ الرحيل
ورست فوق جرح الاعمار
في كل مكان
فوق الجدار
فليبقى مفكوكا الحصار ..

Digitized by Birzeit University Library

سؤال ... الى الحرر ؟

حدثت تطورات في السياسة الخارجية الجزائرية مؤخراً، دفعت العديدين الى التساؤل عن مغزى هذه التطورات، وهل تشكل تراجعا عن المبادئ العامة للثورة الجزائرية التي سلكتها حتى الان ؟، وما هي الدوافع الحقيقية وراء ذلـــك ؟!.

وشكـــرا

صالح خليل عليـان ـ الناصرة

حملـت وكالات الانباء خلال الاسابيع الاخيرة، تصريحات عديدة على لسان محمد شريف مساعدية الرجل الثاني في السلطـــة الجزائرية، دعت صراحة من اجل اعادة مصر الى الصف العربي والدعوة لعقد مؤتمر قمة خاص لهذه الغايـــة .

وقد اثارت تصريحات مساعدية هذه ، وقبلها لقاء الرئيس الشاذلي مع مندوبي الصحافة المصرية العديد من التساؤلات حول هذا التغير في موقف الحكومة الجزائرية، خاصة وانها كانت جزءا اساسيا من دول الصمود والتصدى وامتازت مواقفها تاريخيا بالتصدى لمشاريع الامبريالية ودعوات الاستسلام بالمنطقة .

وقد ارتأت بعض الصحف المحلية، ذات التوجهات اليمينية على مختلف الوانها ، في هذه التصريحات تأكيدا للمقولة التي جرى الترويج لها منذ زيارة عرفات للقاهرة، والتي تتمثل في الادعاء بابتعاد مصر عن كامب ديفيد ،وزوال الحاجة بذلك لاستمرار عزل النظام ومقاطعته عربيـــا .

ولن يكون هذا موضوع مناقشتنا ، نظرا لكثرة ما كتب لنقض هذه المقولة باقلام كتاب ومناضلين مصريين نذكر من بينهم ميشيل كامل ،عضو المكتب السياسي للجنة المركزية للحزب الشيوعي المصرى×، ولكننا سنكتفي بالاشارة الى سيل التصريحات المصرية على لسان مبارك واركان نظامه والتي لم تتوان

× راجع الكاتب ـ عدد ٤٩ ـ التغير في مصر بين الوهم والحقيقة ـ ميشيل كامل .

×× استندت مادة هذا الـرد بشكل اساسي الى لقاء اجرته مجلة النهج مع الصادق هجرس سكرتير حزب الطليعة الاشتراكية في الجزائر .

Digitized by Birzeit University Library

لحظة عن تأكيد التزام مصر باتفاقات كامب ديفيد ومواصلة مسيرة " السلام " التي اختطها السادات ، كما ورد على لسان مبارك في احتفالات ذكرى اكتوبر، كما نشير الى استمرار التبعية اقتصاديا لصندوق النقد الدولي بعد ان بلغت ديون مصر اكثر من ٤٤ مليار دولار، وعسكريا فيما تمثل بالمناورات العسكرية المشتركة مع القوات الامريكية ومنحها العديد من التسهيلات لهذه الغايـــة .

واذا ما كانت طبيعة النظام المصرى وتوجهاته لم تختلف جذريا عن توجهات سلفه ، او على اقل تعديل لا يزال ذلك مثار جدل، فما الذى يدفع اذن نظاما وطنياكالنظـــام الجزائرى للدعوة الى الغاء العزلة عنه، وهل يعني ذلك مظهرا لتحولات داخلية في طبيعة السلطة الجزائرية نفسهـــا ؟؟.

ان هذا المظهر وحده لا يكفي للحكم على ذلك، ولكن اذا ما جرى اخذه بالارتباط بعدد من المظاهر الاخرى في السياسة الداخلية والخارجية فيمكن القول ان هناك تراجعات واضحة في السياسة الجزائرية، اتخذت مسارا محددا اثر وفاة الرئيس السابق بومدين حيث اشتدت الصراعات داخل اجنحة السلطة المختلفة، وجاء المؤتمر الاستثنائي لحزب جبهة التحرير عام ١٩٨١ ليحمل معه عوامل انزلاق نحو اليمين تعمقت في علامات واضحة خلال المؤتمر الخامس للحزب في اواخر عام ١٩٨٣ وتجسدت بشكل ملموس في اعقاب المؤتمر . فعلى صعيد السياسة الداخلية استمر العمل على تفكيك مكتسبات التأميم للاراضي الزراعية الكبرى واراضي الاصلاح الزراعي، وجرت سلسلة من الهجمات المباشرة وغير المباشرة ضد الدور الحيوى لقطاع الدولة في مختلف المجالات، الزراعية الصناعية والثقافية حيث قدمت العديد من التشجيعات والتسهيلات من اجل تنمية القطاع الراسمالي على حساب قطاع الدولة وجمهور العاملين، ويجرى الترويج لذلك فيما يسميه التكنوقراط" بانعدام جدوى الفائدة الاقتصادية لمشاريع الدولة مما يستلزم تسليمها لادارة القطاع الخاص" ويجرى التهديد بناء على ذلك بطرد اقسام واسعة من العامليـــن .

ويعتبر توسيع دور القطاع الخاص جزءا اساسيا من الخطة الخمسية الجديدة في الجزائر ٨٥ — ١٩٨٩م حيث تمثل سياسة انفتاح اقتصادى ،سواء على القطاع الخاص في الداخل او على تشجيع استثمار الشركات الاحتكارية متعددة الجنسيات داخل القطر الجزائـــرى .

وقد حدد وزير التخطيط الجزائرى علي ابوزار دور القطاع الخاص في الخطة الجديدة بقوله" ان الخطة الجديدة اشتملت ادماج القطاع الخاص بقوة في برامج التطوير الاقتصادى" ويشير العديد من المراقبين الى توسع دور هذا القطاع جنبا الى جنب مع انخفاض دور مؤسسات الدولة .

وتحت حجة مساعدة المزارعين مثلا، جرى في شهر اذار رفع اسعار الحبوب بنسبة ١٠٪ ، الا ان ذلك في الواقع كان يشكل تشجيعا اضافيا للاستثمارات الخاصة في الزراعة فضلا عن عبئه الثقيل على كاهل المواطنين الى جانب رفع اسعار البضائع غير المدعومة، والغلاء الفاحش في اسعار العديد من المواد الاستهلاكية، حيث فاق سعر كيلو لحمة البقر ١٥ دولار في شهر نيسان الماضي .

Digitized by Birzeit University Library

ويعتبر توثيق العلاقات الاقتصادية مع الولايات المتحدة، ومع شبكة البنوك الدولية، معلما واضحا في الخطة الاقتصادية الجديدة، فقد جرى مثلا اعادة تنظيم البنوك وتأسيس بنوك جديدة تنوى تحفيز الاستثمارات الخاصة، والتخلي عن الشكل السابق لبنوك الدولة، وتتلقى هذه البنوك دعما ماليا خاصا من بلدان الخليج العربي .

وعلى الصعيد الايديولوجي والثقافي، فانه الى جانب الغزو الملحوظ لنتاجات الثقافة الغربية، وتعميم مختلف المفاهيم الايديولوجية، البرجوازية ـ الامريكية والاوروبية ، يجرى التخلي حتى عن استخدام مفهوم الاشتراكية. بشكله "الجزائري" في وسائل الاعلام المختلفة، ومثلت تصريحات الشاذلي الداعية الى العودة الى مفاهيم ليبرالية واسلامية، الى جانب العمل على تغيير الميثاق الوطني. بما يحدده من توجهات اشتراكية لمسار الدولة، تراجعا ملحوظا لصالح، المفاهيم الجديدة حول تطوير القطاع الخاص، واللامركزية، والحريـــــة الفرديـــــة الخ .

اما على صعيد السياسة الخارجية فان مفاهيم " كالحياد الدولي" وتنويع مصادر السلاح" وغيرها تغطي بقوة سماء الجزائر. وقد مثلت زيارة الشاذلي لواشنطن في نيسان الماضي، احد مظاهر التقارب الواضح مع الولايات المتحدة والغرب، حيث استهدفت الى جانب عقد صفقات اسلحة، عقد مبادلات تجارية طويلة المدى، وعقود شراء اجهزة من شركات امريكية، اضافة الى تبادل بعثات علمية بين البلدين .

وبدلا من الموقف الحازم للجزائر في معاداة الامبريالية، ومشاريعها في المنطقة، تتغلغل مفاهيم "الاشتراكية الدولية" في مواقف الجزائر الرسمية، وقد ظهر ذلك واضحا فيما يتعلق بالموقف من نصب صواريخ بيرشنغ وكروز في صقلية ودول المحيط الاطلسي، فبدلا من المعارضة الحازمة لذلك، جرى توزيع مسؤولية نصب الصواريخ على " "الدولتين العظميين" كما ظهر ذلك فيما يتعلق بالانضمام الى مطالب بلدان اوروبا الغربية في دعوة الاتحاد السوفياتي العودة الى مفاوضات جنيف بغض النظر عن الاسباب التي ادت الى انسحابه من هذه المفاوضات .

ان هذه المظاهر وغيرها من تصاعد موجات القمع على الصعيد الداخلي، تؤكد ظهور تراجعات واضحة في مسار السلطة الجزائرية، وتطرح سؤالا محددا حول طبيعة القوى الطبقية التي تحرك هذه العملية ومدى تأثيرها في سياسة الدولـــة .

واصبح من الواضح الان، ان ماميز تركيب السلطة الجزائرية في السابق، من انعدام التجانس والمراوحة بين عدد من الاتجاهات والمصالح الطبقية، قد خضع لتغير واضح، حيث اظهر المؤتمر الخامس لحزب جبهة التحرير حقيقتين هامتين: الاولى، ان التركيبة الديموقراطية الثورية للسلطة فقدت المبادرة وضعفت على مستوى التوجهات والاشخاص الذين يمثلونها داخل السلطة ـ على الرغم من انها لم تصفى نهائيا ـ . والثانية ان الجناح الذى يمثل ما يسمى" الطريق الثالث" تمكن من تحقيق نجاحات ملحوظة في فرض تصوراته وتوجهه ـ رغم عدم سيطرته المطلقة كذلك .

ومن هنا فان المحرك الاساسي لمجمل

Digitized by Birzeit University Library

هذه التراجعات يمثله اصحاب هذا التيار، والذى يتشكل طبيقيا من ممثلي طموحات بعض الشرائح المتوسطة من البرجوازية والمرتبطة بقوة بالبرجوازية البيروقراطية، ومن الجناح البرجوازى" الليبرالي" والذى يعبرعن مصالح اكثر فئات البرجوازية رجعية وارتباطا بالامبريالية، ويرمي هذا الجناح من خلال تحالفه مع البرجوازية المتوسطة تحت اطروحات" الطريق الثالث" ، تمهيد الطريق لاحقا لانقضاضه الكامل على الاقتصاد واجهزة الدولة، وتحقيق تطلعاته الاكثر رجعيـــة .

غير ان من الضرورى ملاحظة حقيقة هامة، تجد مظهرا لها فيما يلاحظ من استمرار المراوحة بين التمسك بعدد من المكتسبات التقدمية، والعمل على الغائها، وفي تبني سياسة وطنية او التساهل ازاء بعض المشاريع الامبريالية .. الخ من الظواهر المتناقضة في السياسة الجزائرية ،وهذه الحقيقة هي ان الحسم بشكله النهائي لم يتبلور بعد في الجزائر، وان ما يجرى الان يرافقه حالة من الصراع داخل وخارج اجهزة السلطة، ومع ملاحظة ان ذلك يجرى في بلد انجز الكثير ويمتلك تقليدا ثوريا راسخا في النضال ضد الاستعمار وسياساته .

ان احد مظاهر الصراع داخل السلطة، يتجلى في المحاولة الدائمة لممثلي البرجوازية الليبرالية من اجل حسم الصراع نهائيا مع الاجنحة الديموقراطية داخل السلطة وتصفيتها، ومع اقسام البرجوازية المتوسطة كذلك حيث لا يزال هؤلاء يعيشون تعارضا بين مصالح الاحتكارات الامبريالية ، وبين مصالحهم في الحفاظ على السوق الداخلي وحمايته من هجوم الاحتكارات .

وتشارك جماهير الكادحين في هذه المعركة ،حيث تتسع النضالات الجماهيرية من اجل وقف العديد من التراجعات الداخلية وقد تجلى ذلك في محاولة التاثير على قرارات المؤتمر الخامس نفسه، حيث تصاعدت الاضرابات العمالية، وجرت عدة انفجارات شعبية محلية، كمادارت مناقشات عديدة في قواعد حزب جبهة التحرير وفي اطارات الجيش كذلك حول ما ينبغي مواجهته في تطبيقات السياسة الجديدة للحكومة .

وعلى سبيل المثال فقد دفعت التدخلات التقدمية للكثير من اطارات الاقتصاد المشارك في الندوة الوطنية الثالثة للتطور الاقتصادي في شباط ١٩٨٥م الى تغيير اجزاء من خطاب الرئيس الشاذلي المخصص لهذه الندوة ، باجزاء اخرى منسجمة مع ما طرحه هؤلاء .

وبسبب نضالات عمال ميناء الجزائر الذين طردوا من عملهم، و تضامن القوى التقدمية المحلية والعالمية معهم، تحقق ارجاعهم الى اعمالهم ، كما امكن في العديد من المناسبات الغاء تطبيق اجراءات غير ديموقراطية اقرها مؤتمر الحزب فيما يتعلق بانتخابات مجالس العمال .

واذا كان من الصحيح القول، ان نتائج هذا الصراع ، ستحدد الطريق اللاحق للبديل الجزائرية رغم سلبية العديد من المؤشرات الراهنة ،فان من الضرورى القول كذلك، ان استمرار ترويج القيادة الرسمية في م.ت.ف، للعديد من التبريرات فيما يتعلق بالتراجعات على صعيد السياسة الخارجية مثل عودة مصر الى الصف العربي، او الاشادة بدور اوربا الغربية، او الثقة بالوعود الامريكية، وغيرها، ستشكل اسهاما غير محمود في هذا الصراع لصالح خط التراجع في الجزائـــر .

Digitized by Birzeit University Library

القريـــة العربيـــة
مبنـى واستعمـالات اراضـي

القدس - عن جمعية الدراسات العربية بالقدس، صدر كتاب (القرية العربية مبنى واستعمالات اراضي" للدكتور شكرى عراف.

يقع الكتاب في ٢٨٠ صفحة من القطع الكبيـــر امتلأت بالصور الملونةللعديد من الاماكن التي وردت في البحث.

ولعل كتاب الدكتور عراف ،من اكثر الدراسات الجادة، ومن اندرها في تناول هذا الموضوع التراثي الهام، حيث يتناول في بحثه القرية من حيث انماط مساكنها ووظائف البيت فيها ومواد البناء والحجارة المستعملة وطرق القرية والمبنى الوظيفي، كما يتناول الهجرة منها والارض بانواعها المشاع والملكيات والزراعة فيها ومواقع القرى، بالاضافة الى الملاحق بأسماء القرى في جميع المناطق ومعلومات عنها حتى ١٩٨٢ والمستوطنات التي اقيمت فوق قرى عربية.

والجدير بالذكر ان الدكتور شكرى عراف كان اصدر في ايار ١٩٨٢ دراسته القيمة " الارض والانسان والجهد ". وهي دراسة قيمة وجادة تتحدث عن علاقة الانسان بالارض، والتراث الحافل بالنشاط والعمل في الارض ومحاصيلها.

الدكتور شكرى عراف، كان حصل على شهادة الدكتوراة في صيف عام ١٩٨٥. عـــن اطروحته"تاريخ الشرق الاوسط" يقيم في قرية معليا في الجليل الاعلى، ويدّرس في دار المعلمين العرب بحيفا، وكذلك يحاضر في جامعة حيفا.

ويعتمد الدكتور عراف في دراساته وأبحاثه على العمل الميداني حيث يقضي جل وقته في جمع مادته من اصحابها في القرى العربية مباشرة.

نشـــاط اتحـــاد
الكتـــاب الفلسطينيـــين

في قاعة مجمع النقابات المهنية في بيت حنينا وبدعوة من اتحاد الكتاب الفلسطينيين في الضفة الغربية وقطاع غزة نوقشت مجموعتا محمد عليان واسامة العيسة، "ساعات ما قبل الفجر"، و"الحنون الجبلي" على التوالي ،حيث تعكس مجموعة عليان تجربة السجن بكل ابعادها، كما تعكس مجموعة العيسة المخيم وخصوصياتـه.

وقد شارك في النقاش العديد من الكتاب، حيث تحدث عدد منهم ثم فُتح باب النقاش.

الجدير بالذكر ان المجموعتين من اصدار منشورات"دار الكاتب". "

جنـوب افريقيـــا :-

مصيـر "الاداب الافريقية"

عقد في معهد لندن للفنون المعاصرة مؤتمر أدبي تركزت مسالته الرئيسية في الحديث عن المشاكل التي تعترض طريق التطور الادبي في القارة الافريقية.

ومن أهم المسائل التي جرى التطرق اليها في المؤتمر الذى استمر لمدة يومين مسألة "الرقابة المفروضة على اداب

Digitized by Birzeit University Library

جنوب افريقيا ".

وقد قامت مجلة" افريقيا الجديدة" بنشر كافة المداخلات التي تحدثت بهذا الموضوع، والتي استعرضت الرقابة الصارمة والمطاردة السياسية والسجن والنفي التي يتبعها النظام الحاكم بحق الكتاب ذو البشرة السوداء.

وعقب الكاتب الجنوبي الافريقي المشارك في المؤتمر سيغو سيباملا قائلا" بعد الاحداث الدامية في سويتو عام ١٩٧٦ والسلطات العنصرية الحاكمة تحاول طمس وخنق الادب القومي للاغلبية السوداء".

وتحدثت الكاتبة المشهورة مريم الطلالي عن الاجراءات الجديدة التي اتخذتها السلطات العنصرية والتي تمثلت في مصادرة كافة نتاجها الادبي ومنع تداوله في السوق.

الاردن

ديوان شعر

=========

صدر في عمان مؤخرا الاعمال الشعرية للشاعر الفلسطيني الراحل محمود الافغاني الملقب بـ "شاعر الشباب الفلسطيني".

ويظهر في اشعار الافغاني الحب الجارف لفلسطين الجريحة، ولمسقط رأسه يافا. ونلمس في اشعاره الالام والحنين للعودة.

وعقبت مجلة "الفكر" الاردنية على المجموعة الشعرية قائلة" ان المجموعة الشعرية للشاعر الراحل الافغاني ما هي الا جزء بسيط من اعماله الشعرية والادبية، تلك الأعمال التي تحتاج الى جهد كبير من كافة المهتمين لجمعها ولاصدارها في مجموعة متكاملة".

المغرب :-

بحث هام

========

صدر في المغرب كتاب نقدي للكاتب سعيد علوش ويحمل اسم "الرواية والايديولوجيا في المغرب" ويتناول الكتاب الفترة ما بين ١٩٦٠ م ولغاية ١٩٧٥م ويتحدث بامثلة ملموسة وكثيرة عن الاعمال الروائية للعديد من الكتاب المغاربة والجزائريين والتونسيين. ويتحدث الكتاب عن الملامح الرئيسية والاتجاهات الحديثة للادب المغربي.

وثمنت المجلة الجزا
"افاق عربية" في س
تعليقها على الكتاب، ش
هذا البحث الهام في مي
الادب المغربي بشكل خ
والعربي بشكل عام.

"نشيد الحياة" رواية
جديدة ليحيى يخلف

. للكاتب القص
والروائي الفلسطيني العرو
يحيى يخلف صدرت روا
الاخيرة "نشيد الحياة" عن
"دار الحقائق" في العاصم
اللبنانية بيروت.

"نشيد الحياة" التي كا
قد نشرها الكاتب متسلسلة في
"الحرية" تتحدث في الحيا
النضالية والسياسي
والاجتماعية للفلسطينيين في
لبنان قبيل واثناء الاجتياح
الصهيوني العام ١٩٨٢.
وليحيى يخلف مجموعات
قصصية اخرى مثل "نجران
تحت الصفر" (رواية) "المهرة"
(قصص) "نورما ورجل الظلام"
(قصص). تلك المرأة الوردة"
(قصة) و"تفاح المجانين"
(رواية).

Digitized by Birzeit University Library

لوحة للفنان خضر ابو احمد

Digitized by Birzeit University Library

AL-KATEB
For human culture and progress

Editor- Asa'd Al-Asa'd
P.O.Box 20489
Jerusalem
Tel:856931

67

الكاتب
للثقافة الإنسانية والتقدم

Digitized by Birzeit University Library